مجلة آفاق المعرفة

مجلة علمية محكّمة

تُعنى بنشر البحوث العلمية

العدد الثالث

سبتمبر 2022م

مجلة آفاق المعرفة

مجلة علمية محكمة

تُعنى بنشر البحوث العلمية

هيئة التحرير
أ. د. عبدالكريم ميلود حامد
د. أسامة جمعة العجمي
د. محمد حسين بشير
د. الطاهر أحمد الكري
د. إبراهيم محمد الصغير

الهيئة الاستشارية للمجلة
أ.د. موسى محمد زنين
أ.د. حميدة علي البوسيفي
أ.د. سالم امحمد سالم التونسي
أ.د. سميرة محمد ميلاد العياطي
أ.د. عبدالسلام عمار الناجح
أ.د. الناجح أحمد الطيب
أ.د. إبراهيم عبد الله إجبيل

مراسلات المجلة تكون على النحو التالي:

مجلة آفاق المعرفة/ الأصابعة/ الجبل الغربي

للاستفسار يرجى التواصل والاتصال عبر الأرقام والعناوين التالية:

هاتف: 0918412998 0926459217

فايبر: 0926251156

واتساب: 0926251156

البريد الالكتروني: afaqalmaarifaa@gmail.com

صفحة الفيس بوك: مجلة آفاق المعرفة

موقع المجلة: www.afaqjournal.ly

رقم الإيداع القانوني: 549 /2020 دار الكتب الوطنية. بنغازي

الآراء التي تنشر في المجلة لا تعبر إلا عن رأي أصحابها ولا تمثل وجهة نظر هيئة تحرير المجلة.

حقوق النشر محفوظة

الجمعية الليبية لدروب المعرفة/ 2022م

قواعد وشروط وضوابط ومواصفات النشر

بمجلة آفاق المعرفة

ترحب مجلة آفاق المعرفة بنشر البحوث العلمية إذا توافرت بها الشروط والضوابط الآتية:

أ. قواعد النشر وشروطه:ـ

– تنشر المجلة البحوث الأصيلة والمبتكرة الرصينة المكتوبة بأسلوب علمي منهجي.

– تنشر المجلة البحوث المقدمة إليها باللغات (العربية والإنجليزية والفرنسية) على أن يرفق البحث بملخص في أقل من صفحة. وكلمات مفتاحية ما بين 3 – 5 كلمات.

– ألا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر إلى جهة أخرى أثناء تقديمه للمجلة، ويتحمل الباحث كامل المسئولية القانونية حيال ذلك.

– تخضع البحوث المقدمة للنشر في المجلة للتحكيم من قبل محكم أعلى درجة من الباحث ومتخصصين في الموضوع المراد نشره.

– البحوث المقدمة للنشر بالمجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعكس بالضرورة رأي المجلة وأعضاء هيئة تحريرها.

ب. ضوابط النشر ومواصفاته:ـ

– يقدم الباحث نسخة ورقية من البحث مطبوعة على ورق A4، ونسخة إلكترونية على قرص ليزري (CD) ترسل إلى هيئة التحرير أو عبر البريد الكتروني للمجلة.

– يكتب البحث على برنامج (Microsoft Word) بحيث يكون العناوين بحجم 16 وبقية الفقرات بحجم 14 بصيغة (simplified) للغة العربية، وخط نوع (Times New Roman) بحجم 11 للغة الإنجليزية، وتترك مسافة (1.15) للتباعد بين الأسطر.

– يشار إلى جميع المصادر والمراجع التي استعان بها الباحث في متن البحث بطريقة (هارفارد) وهي بإبراز لقب المؤلف وسنة النشر ورقم صفحة الاقتباس بين قوسين مثلاً: (عيسوي، 2009: ص53) بخط حجم 12. وفي نهاية البحث بقائمة المصادر والمراجع تكتب على النحو التالي: عيسوي، عبدالرحمن محمد.(2009): "الصحة النفسية وضغوط العصر"، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة.

– يجب أن تحتوي واجهة البحث على اسم الباحث أو الباحثين ثلاثياً، وعنوان البحث، والتخصص العام والدقيق، والدرجة العلمية، وجهة العمل، والهاتف، والبريد الإلكتروني. ويعاد كتابة عنوان البحث في الصفحة الخاصة بالملخص.

– ترقم صفحات البحث أسفل الصفحة في الوسط.

– ألا يقل عدد صفحات البحث عن (12) صفحة، وألا يزيد عن (25) صفحة.

– رسوم البحث المقدم للنشر (250 دينار) تدفع (50 دينار) عند تسليم البحث لهيئة التحرير – لا ترد – وباقي القيمة (200 دينار) تدفع عند قبول البحث نهائياً للنشر.

هيئة تحرير المجلة

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية العدد الثالث

تسعى مجلة (آفاق المعرفة) العلمية المحكمة إلى إنتاج معرفي من خلال نشر البحوث العلمية القيمة والرصينة وفق المناهج العلمية المتعارف عليها، وذلك تماشياً مع التطور العلمي.

في هذا العدد الثالث بحوثاً علمية في مجال العلوم الإنسانية والتطبيقية، وهي أبحاث تنم عن فكر وجهد البحاث، احتوى هذا العدد على احدى عشر بحثاً. وما يميز هذا العدد هو تنوع البحوث بشتى فروع المعرفة. وذلك بعد أن تم تحكيمها وقبولها للنشر من قبل عدد من المحكمين كل حسب مجال تخصصه مراعين المسؤولية العلمية والأخلاقية والقانونية.

إن صدور هذا العدد ببحوث علمية رصينة وبجودة عالية ودقة في التنسيق والإخراج يعد نجاحاً كبيراً لمجلتنا، ويرجع ذلك لجهود كل من: البحاث والمحكمين والهيئة الاستشارية، وكذلك منسق المجلة ومخرجها. فكل الاحترام والتقدير لهم جمعياً وذلك على ما بذلوه من جهد في إظهار هذا العدد إلى حيز الوجود.

هيئة التحرير

محتويات العدد

الإفتتاحية	ز

أولاً / البحوث باللغة العربية:

ت	عنوان البحث	الصفحة
1	**تَنَوُّعُ السِّيَاقِ اللُّغَوِيِّ فِي مُعْجَمِ النَّفِيسِ للتَلِيسِيِّ وأثرُهُ فِي تَحْدِيدِ دَلَالَةِ اللَّفظِ (دِرَاسَةٌ دَلَالِيَّةٌ مُعْجَمِيَّةٌ)** د.عبدالسلام ميلاد جبريل	1
2	**الغني المصطلحي في الدّرس اللّغوي (تعددًا وتداخلًا)** أ. لطفي فرج عطية المغيربي ، أ. محمد الفيتوري جعيدة	18
3	**مدى الالتزام بإجراءات المحاسبة البيئية ودوره في تحسين جودة المعلومات المحاسبية لأغراض تحقق متطلبات التنمية المستدامة "دراسة ميدانية"** د. عائشة محمد العربي ، د. علي عبد السلام الشريف ، أ. أسماء سليمان النعاس	48
4	**استنطاق السنة عند ابن يونس في جامعه "دراسة تحليلية وصفية"** د. امحمد عبدالحميد المدني	88
5	**تباين خصائص الغطاء النباتي وهشاشة تركيبته في المراعي الطبيعية بمنطقة جنوب الجبل الأخضر** أ. حبيب عوض يونس ، د. منعم وافي سعيد ، أ. إبراهيم مساعد محمد أ. زادم راف الله زادم ، أ.د. يعقوب محمد البرعصي	112
6	**تعقيب ابن السيد البطليوسي على ابن قتيبة في القول بزيادة حرف الجر الباء** د. إبراهيم سعد مكاري	145
7	**آليات العولمة وتفكيك بنية الثقافة القومية "دراسة وصفية تحليلية للواقع الاجتماعي العربي"** د. عبدالحكيم حسن رحومة	165
8	**بكاء الذات عند المعتمد بن عباد (432 -488 هـ) دراسة تحليلية** د. يوسف إبراهيم محمد قطريب أ. صلاح جادالله القديري	194
9	**التحليل الجغرافي للمخطط الشامل لمدينة الاصابعة المعتمد لسنة 2000 والوضع القائم لسنة 2020م.** د. إبراهيم محمد الصغير ، أ. فاتح إبراهيم رمضان عبدالله ، أ. حامد ساسي دغيم	215
10	**مؤسسات المجتمع المدني في ليبيا الواقع والتحديات** د. أسامة جمعة العجمي	232

ثانياً/ بحوث باللغة الانجليزية:

ت	عنوان البحث	الصفحة
1	**Genome analyses of Leishmania lines resistant to 5-fluorouracil** Juma Ahmed Mohamed ALi and Amal Abdussalam Ali Hmaid	1

تَنَوُّعُ السِّيَاقِ اللُّغَويِّ فِي مُعْجَمِ النَّفِيسِ للتِّلِيسيِّ وأَثَرُهُ فِي تَحْدِيدِ دَلَالَةِ اللَّفْظِ
(دِرَاسَةٌ دَلَالِيَّةٌ مُعْجَمِيَّةٌ)

د. عبدالسلام ميلاد جبريل
كلية التربية . جامعة وادي الشاطيء

المستخلص:

يدرس هذا البحث أهم ملامح توظيف السياق في معجم من المعجم العربية وهو معجم النفيس للتليسي، ويبين منهج التليسي في جعل السياق آلية من آليات كشف المعنى وإيضاح الدلالة في المعجم، حيث إن الألفاظ لا يظهر معناها إلا بوضعها في سياق معين، فوظيفة السياق هو تحديد معنى الكلمة، وانطلق البحث من إشكالية تبدو في التساؤل الآتي: إلىٰ أي مدى استطاع التليسي توظيف السياق اللغوي في تعيين دلالة اللفظ في معجمه النفيس؟ وما هي أنواع السياق اللغوي التي استعملها في ذلك، ويهدف البحث إلى بيان جهود التليسي في خدمة المعجمية العربية، وإظهار هذا الجهد كغيره من جهود العلماء العرب في خدمة اللغة بالتأليف في المعجم، واقتضي ذلك السير في البحث وفق المنهج الوصفي اعتمادا علىٰ آلية عرض الشواهد والأمثلة وتحليلها، فجاء مخطط البحث وفق الآتي: مقدمة اشتملت علىٰ بيان أهمية البحث في المعجم وعلاقة ذلك بالبحث في دلالة الألفاظ وتحديد معانيها، واشتملت أيضا علىٰ بيان إشكالية البحث وأسباب اختياره والمنهج المتبع فيه، أما المطلب الأول فخصص للحديث من المؤلِّف وجهوده العلمية وصف معجمه، وفي المطلب الثاني عُرض فيه مفهوم السياق ودوره الفاعل في تحديد المعنى، وجاء المطلب الثالث لعرض أمثلة وشواهد اشتملت علىٰ سياقات لغوية متنوعة وظَّفها التليسي في المعجم منها سياق القرآن الكريم، وسياق الحديث النبوي الشريف، ويضاف إلىٰ ذلك شواهد وأمثلة من سياق الشعر والنثر، ومن النتائج المهمة التي توصل إليها البحث: إن التليسي كان مدركا لأهمية السياق اللغوي ومدى فاعليته في توضيح دلالة الألفاظ، فتنوَّعتْ عنده

السياقات اللغوية من مصادر لغوية مختلفة: من القرآن ومن الحديث ومن الشعر والنثر، ويوصى الباحث بالاعتناء بهذا المعجم طباعة ونشرا وتدريسا لأهميته في البحث اللغوي وتعليم اللغة للمتعلمين والباحثين.

الكلمات المفتاحية: تنوُّع ـ السياق اللغوي ـ الدلالة ـ معجم النفيس ـ التليسي.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فأقول: يرتبط البحث في دلالة الألفاظ بالحركة المعجمية منذ نشأتها الأولى؛ بل كان السبب الأول في التفكير في الصناعة المعجمية هو البحث في دلالة الألفاظ وبيان معانيها، ومع تنامي البحث اللغوي وازدياده وخصوصا في البحث الدلالي ظهرت نظريات ومناهج استهدفت دراسة المعنى والبحث في دلالة الألفاظ ومن بين تلك النظريات النظرية السياقية، ولهذه النظرية جذور في التراث المعجمي العربي، وللسياق أثره الواضح في توجيه المعنى في المعجم العربي في مراحله الأولى حتى العصر الحاضر، ويعد معجم النفيس لخليفة التليسي واحداً من نفائس المعاجم العربية التي عكست القدرة الفكرية لمؤلفه علىٰ الربط بين المعجم والدلالة وتوظيف السياق اللغوي المتنوِّع منهجا للبحث في معاني الألفاظ.

وتأسيسا علىٰ ذلك اقترحنا عنوانا للبحث وهو:

تنوع السياقِ اللغوي في معجم النفيس للتليسي وأثره في تحديد الدلالة

(دراسة دلالية معجمية)

وانطلق البحث من إشكالية تتمحور في التساؤلات التالية :

إلىٰ أي مدى استطاع التليسي أن يربط في نفيسه بين المعجم والدلالة؟ وكيف

تمكَّن من تفعيل السياق اللغوي في تفسير دلالة الألفاظ ؟ وهل لذلك التفعيل ممارسات عملية في معجم النفيس؟

ومن دوافع البحث في معجم النفيس توجيه أنظار الباحثين نحو معجم النفيس، والتعرف علىٰ هذا المُنجَز المعجمي ومنهج صاحبه، وبيان عمق تفكير مؤلِّفه ومدى إسهامه في الدرس المعجمي العربي.

ومن أهداف البحث إثراء البحث في المعجم العربي عموما ومعجم النفيس علىٰ وجه التخصيص لما يحويه من قيمة علمية لغوية.

وتكمن أهمية البحث في إبراز جهود اللغويين في ليبيا ومدى إسهامهم في إذكاء البحث المعجمي العربي ودورهم الفاعل في الصناعة المعجمية.

وأنجزت دراسات سابقة لهذا البحث علىٰ التليسي ومُنجَزِه العلمي منها:

1. خليفة التليسي ناقدا وأديبا، إعداد/ مصطفى جحيدر، رسالة ماجستير (مرقونة)، جامعة طرابلس، كلية الآداب.
2. خليفة التليسي الإبداع والمعرفة، محمود قاسم.

وتأتي هذه الدراسة متناوِلة جهده في خدمة المعجم والصناعة المعجمية في ليبيا بحثا في دور المعجم في تقديم معرفة متميزة للبحث في دلالة الألفاظ بالوقوف علىٰ منهجه وطريقة تفكيره في تتبع المعنى وشرح دلالة الألفاظ، كما تنفرد دراستنا هذه بتقديم التليسي مُعجميًّا من خلال دراسة حاسِّته الفكرية في توظيف السياق اللغوي في تفسير دلالة الألفاظ في أحد أعماله المعجمية وهو معجم النفيس.

يتبع الباحث المنهج الوصفي المعتمد علىٰ آلية التحليل وعرض الأدلة والشواهد من المعجم موضوع البحث؛ وصولا لنتائج مُنتظَرة من هذا البحث بمشيئة الله.

اقترح مخطط للبحث علىٰ النحو التالي:

مقدمة: اشتملت بيان أسباب اختيار الموضوع،وإشكاليته، وأهدافه، وأهميته،

الدراسات السابقة. المطلب الأول/ التعريف بالمؤلِّف والمؤلَّف. المطلب الثاني/ مفهوم الدلالة المعجمية. المطلب الثالث / أنواع السياق اللغوي في معجم النفيس. الخاتمة/ تتضمن أهم النتائج والتوصيات .

المطلب الأول/ التعريف بالمؤلِّف والمؤلَّف.

يفترض التعريف بمؤلف معجم النفيس طرح تساؤل وهو من هو التليسي؟ وما الظروف التي كونت شخصيته العلمية المتنوعة؟ ثم أخيرا ما هي جهوده العلمية ؟

وإجابة علىٰ ما سبق؛ فالتليسي هو خليفة محمد التليسي، ولد سنة 1930م بمدينة طرابلس، وفيها تلقَّى تعليمه بمراحله المختلفة ثم أُجِيز للتدريس منذ سنة 1951 م.

وأما عن مهامه السياسية فقد عمل موظفا إداريًا بمجلس النواب وقتها واعتلى بعدها رئاسة المجلس، وتمَّ تكليفه بوزارة الثقافة والإعلام بين عامي 1964م و1967م وعمل أيضا سفيرا لليبيا بالمملكة المغربية سنة 1968م .

وبعيدا عن نشاطه السياسي له كثير من الأعمال الثقافية والأدبية تتصل بالكتابة والأدب والنشر والإعلام والإذاعة (مليطان، 2001م، ص54 ـ 55) .

كما حاز علىٰ عضوية مؤسسات مهمة في سيرته العلمية منها عضوية رئاسة رابطة الأدباء والكتاب في ليبيا، وعضوية مجمعي اللغة العربية في ليبيا والأردن، فضلا عن عضويته في المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق، وكان لكل ذلك أثره في تكون شخصيته العلمية المتنوعة بين الأدب والنقد واللغة (الشويهدي، 1977م، ص34).

وأما عن نشاطه العلمي فقد كان شاهدا له علىٰ كفاءته الأدبية التي كانت مُسخَّرة لخدمة الأدب في بلده ليبيا، فله من الإنتاج العلمي كتب ومؤلفات منها المحقق ومنها المترجم، ومنها ما يصب في مجال النقد والأدب، ومنها ما يصب في التاريخ، ومنها يصب في اللغة.

ويعد ديوانه الشعري خير ما يؤكد نشاطه الأدبي الذي اشتهر به فغلب علىٰ أعماله الأخرى، ولم يعرف التليسي إلا بشعره وعنايته بالشعر العربي في كتابه الشهير من روائع الشعر العربي (زرقون، 2004م ،ص 177 ـ 178)، وهذا وقد شهد له بذلك محمد الجابري بقوله:" يعد واحدا من كتاب وأدباء المغرب العربي بل تتجاوز شهرته إلىٰ أرجاء الوطن العربي، كما تشهد له أعماله ومؤلفاته الجمة ونشاطه الزاخر في ميادين الكتابة والتأليف " (التليسي، 1989: ص9)

ولعلنا نتوقف علىٰ نشاطه المعجمي المتصل بمجال هذه الدراسة فله في هذا المجال مؤلفات نذكر منها:

1. معجم معارك الجهاد في ليبيا، طبعته ونشرته دار الثقافة سنة 1972م.
2. قاموس التليسي(إيطالي عربي موسع)، تكفل بطباعته الدار العربية للكتاب 1984م.
3. معجم سكان ليبيا، طباعة ونشر دار الريان1990م.
4. قاموس التليسي(إيطالي عربي طلابي)، طبعته الدار العربية للكتاب، 1984م.
5. معجم النفيس معجم لغوي موسع في أربعة أجزاء.

تلك هي نشرة عن حياته العلمية ونتاجه الفكري تبيَّن منها أنه كان مُسهِماً إسهاما مبكرا في الصناعة المعجمية التي تعكس قدرته الفكرية في خدمة المعجم في ليبيا.

وبعد ذلك الجهد العلمي والإنتاج الأدبي واللغوي والتاريخي في خدمة الحركة اللغوية والأدبية والتاريخية في ليبيا يأتي قدر الله ليستوفي التليسي أجله، فكانت وفاته يوم 1/13/ 2010م (؏).

التليسي ومعجم النفيس

يعد معجم النفيس من أنفس مؤلفات التليسي في تقديرنا ويعود ذلك للقيمة العلمية الموسَّعة والممتدة التي يختص بها المعجم فهو يمثل وسيلة من وسائل

التواصل اللغوي، وأداة من أدوات حفظ اللغة، والتعرف علىٰ معاني الألفاظ لتسهيل التفاهم والتواصل والتعبير.

والعنوان الكامل للمعجم هو(النفيس من كنوز القواميس، صفوة المتن اللغوي من تاج العروس ومراجعه الكبرى) (التليسي، 1989: ص9)، من يتأمل العنوان ويعمِّق الفكر فيه سوف يقف علىٰ القيمة العلمية للمعجم؛ وذلك من حيث مادته العلمية المجموعة فيه وما لها من صفة الفصاحة والصحة التي انتقاها التليسي من القواميس العربية، هذا أولا، وثانيا ـ أنه اعتمد علىٰ المتن اللغوي الخالص بعيدا عن التوسع في ذكر الشروح والتطويلات المرتبطة بذكر الأعلام والمدن وغيرها، وثالثا ـ تبيَّن من العنوان المصادر التي اعتمد عليها التليسي في التأصيل للبناء المادي اللغوي لمعجمه وهي كما يبدو من العنوان مصادر معجمية عربية كبرى أصيلة، وذكر منها: لسان العرب، مفردات غريب القرآن وغيرها، فضلا عن تاج العروس (التليسي، 2001: ص1037) .

منهج التليسي في معجم النفيس:

السؤال هنا ما المنهج الذي سار عليه التليسي في جمع مادة معجمه؟

للإجابة علىٰ ذلك قرأنا مقدمة المعجم وتبين من ذلك أن منهجه هو خلاصة ممزوجة لبعض مناهج من سبقه من مؤلفي المعاجم العربية علىٰ مسار السياق الزمني للتأليف المعجمي في الحضارة العربية وعلى ذلك يبدو منهجه بحسب رأينا في التالي:

1. إثبات الصحيح وإهمال المُمات علىٰ نحو ما فعل الجوهري في معجمه الصحاح، ونهج نهجه كثير من صنَّاع المعاجم، ووافق التليسي الجوهري في اختياره كثير من المزايا التي عكست منهجه مثل الاختصار، واعتماد الشواهد من الشعر والقرآن والحديث.
2. اتسم منهج التليسي في معجمه بالذاتية والطابع الشخصي، كما فعل

الزمخشري في أساس البلاغة.

3. حضور الحس التفسيري للمفردات تأثرا بمنهج الراغب الأصفهاني في المفردات في غريب القرآن، فيلاحظ في المعجم احتواؤه علىٰ تفسير كثير من الألفاظ في ضوء سياقها القرآني.
4. يعد منهج الزبيدي ـ بطبيعة الحال ـ حاضرا في معجم النفيس لأنه كما يفهم من عنوانه اختصار لتاج العروس.

يشير ما سبق إلىٰ أن التليسي مزج تلك المناهج، ورأى أنها أفضل المناهج في التأليف المعجمي، ولم يكتف بواحد منها أو بعضها بل اختار منها ومزج بينها، فجمع محاسنها، فكان منهجه موفَّقا له من المزايا والمحاسن ما يجعل لمعجمه قيمة علمية بين المعاجم العربية استعمالا وتداولا كما يظهر في قوله: " هذه المناهج الثلاثة يضاف إليها منهج الزبيدي كانت أمامي وأنا أعدُّ هذا العمل" (التليسي، 2001: ص1037) .

لماذا بذل التليسي هذا الجهد الكبير في صناعة هذا المعجم؟ وما هي غاياته ومقاصده؟

يمكن القول هنا: إن لكل عمل غاية وهدف، وللتليسي في هذا العمل أهداف ذكرها في مقدمة معجمه النفيس نذكر منها:

إن قصده من صناعته لهذا المعجم إلىٰ تعميق الصلة بالمادة اللغوية في أجلِّ مظاهرها من الصفاء والصحة والفصاحة؛ ليفيد منها هو أولا ثم غيره من القراء، وتجلَّى ذلك في حرصه علىٰ تخليص المادة اللغوية من الزوائد والإضافات، وترك التوسع في تتبع التراجم للأعلام أو الإفاضة بالتعريف بمواقع البلدان، وكان ناتج ذلك ظهور متن المعجم في شكل جديد مختصر مهذَّب نفيس فكانت الغاية صحة في الألفاظ علىٰ رأي الجوهري، مُهذَّبة علىٰ مذهب الأزهري، نفيسة كما قصده هو وابتغاها.

يرى التليسي من منطلق الثقة في عمله أنه قد حقق غايته ومقصده في تحقيق نتائج مرضية بالتزامه بعوامل منهجية ساعدته علىٰ بلوغ النتائج والغايات التي كان يتوخاه لهذا العمل فكتب يقول: "وقد التزمت أنا هذا المنهج وأحسب أن النتائج التي انتهيت إليها في عملي هذا الكبير لا تختلف في شيء عن النتائج التي انتهى إليها مؤلفو المعاجم في مطلع النهضة الحديثة وما تلاها حتى يوم الناس" (التليسي، 2001: ص1037).

والحاصل أن صاحب معجم النفيس قد أعدَّ معجمه إعداداً يغلب عليه الإتقان، وأحكم صناعته بدءا من اختيار عنوانه، ومنهجه مرورا بتحديد غاياته ومقاصده من تأليفه فكان النتاج موفَّقا، يحمل خصائص ومزايا ومحاسن تعين القاريء مستعمل المعجم علىٰ سهولة الوصول إلىٰ مراده في البحث عن معنى مفردة أو دلالة عبارة، فالمعجم في أجلِّ محاسنه أنه مُختصَرٌ، مُهذَّبٌ، مُشذَّبٌ، نفيسٌ، يجد فيه القاريء الصلة القوية المتينة باللغة العربية وفق مصادرها من القرآن والحديث الشريف والشعر والنثر برؤية حديثة معاصرة.

السؤال المطروح بعد ذلك كيف استطاع التليسي أن يفسر معاني الألفاظ في معجمه؟ وما هي ملامح توظيف السياق اللغوي في المعجم ؟

للإجابة علىٰ ذلك يرى الباحث أن يتوقف عند عناية اللغويين العرب باللفظ والمعنى في إطار الصناعة المعجمية موظفا مصطلح الدلالة المعجمية .

المطلب الثاني/ مفهوم الدلالة المعجمية.

رغم حداثة المصطلح إلا أنه متأصل في الدرس المعجمي العربي منذ التأسيس الأول لفكرة المعجم التي كان رائدها ابن عباس في منهجه الفريد في البحث في معاني مفردات غريب القرآن منذ القرن الهجري الأول؛ حيث وضع القاعدة الأولى في بناء المعجم العربي، ثم تتالت بعده الجهود في البحث في دلالة الألفاظ من قبل اللغويين والمفسرين فنشطت الصناعة المعجمية وقتها واتسمت بالتنوع

والشمول، فتعددت المعاجم وتنوَّعت وتباينت مناهجها وطرق بحثها في معاني الألفاظ، حتى صار المعجم هو مقصد الباحثين في دلالة الألفاظ ومعانيها (نصار، 1989: ص 30- 31)، ولم يعرف المعجم إلا بكونه" الكتاب الذي يجمع كلمات لغة ما ويشرحها ويوضح معناها ويرتبها بشكل معين" (منذور، 1981: ص 116).

ويعد مصطلح الدلالة المعجمية من المصطلحات المعنية بالربط بين دلالة اللفظ في المعجم، ويفضي ذلك بالقول: إن وظيفة المعجم في معظمها وظيفة دلالية، والمعجم محتوى دلالي ومكْنَز من كنوز دلالة الألفاظ عند جميع الأمم، ومن هنا كان التلازم بين الدلالة والمعجم. (عمر، 2006: ص 187).

وتُعرَّف الدلالة بأنها: البحث عن المعنى في ضوء القوانين والنظريات المقترحة من قبل الباحثين في البحث في المعنى ونتج عن ذلك البحث ظهور علم موضوعه البحث في دلالة الألفاظ وهو علم الدلالة الذي يعنى بدراسة المعنى (عمر، 2006: ص20).

وهذا وقد تمخَّض البحث في دلالة الألفاظ عن ظهور عدد من النظريات التي ركزت علىٰ البحث في المعنى ومن بين تلك النظريات والمناهج: النظرية السياقية، وهي الأكثر شيوعا واستعمالا في تفسير دلالة الألفاظ، وارتبطت هذه النظرية في الدرس الحديث بجهود عالم اللغة الانجليزي (فيرث) (الداية، 1999: ص30)، وكان أكثر تركيزه علىٰ السياق اللغوي ويصفه بأنه عملي وهو الأقدر علىٰ منح الكلمات معناها وخصوصا ألفاظ المشترك اللفظ، ومن هنا جعل وظيفة السياق تحديد المعنى المراد وإبعاد كل المعاني الأخرى المحتملة.

هذا وتعددت أنواع السياق منها: السياق اللغوي، والسياق الثقافي، والسياق العاطفي، وسياق الموقف (بالمر، 1988: ص58).

وتماشيا مع سياق البحث سيتم التركيز علىٰ السياق اللغوي، وبيان تطبيقاته في

معجم النفيس للتليسي.

المطلب الثالث / نماذج توظيف السياقات اللغوية في معجم النفيس.

نُبيِّن تحت هذا المطلب أهم الملامح التي يؤيد اشتغال التليسي علىٰ المنهج السياقي في تحديد دلالة الألفاظ، ونهدف كذلك بيان أهم السياقات التي فعَّلها التليسي في ذلك مثل سياق القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف والشعر والنثر كالأمثال مثلا، إن تعيين تلك السياقات في الحقيقة هو تأكيد لارتباط تلك السياقات بالنَّظم والتركيب الذي يعد هو القالب العملي لتطبيق مفهوم السياق اللغوي في البناء اللغوي.

وإذا حاولنا تعريف السياق اللغوي فهو لا يخرج عن كونه التتابع للمفردات علىٰ المحور الأفقي وفق علاقات تركيبة نحوية، وهو ما قررته نظرية النظم الجرجانية في ضوء مصطلح (التعليق) بين العناصر اللغوية في محور التركيب وهو ـ بدون شك ـ يؤطِّر حقيقة ربط دراسة المعنى بالسياق والتركيب.

إذا يمكن القول: إن التليسي التزم في معجمه المنهجي السياقي في تحديد الدلالة وهو لم يخالف من سبقه من المعجميين العرب في اعتماد السياق اللغوي منهجا لتحديد الدلالة، فحافظ علىٰ ربط السياق اللغوي بالبناء التركيبي في بنية اللغة منطلقا من قاعدة أن السياق اللغوي يتحكم في تركيب الكلمات وفق العلاقات النحوية؛ فالتركيب الصحيح يكون في سياق لغوي صحيح (جبريل، 2008: ص9).

هذا وسبقت الإشارة إلىٰ حضور السياق وتطبيقاته عند اللغويين والمفسرين والبلاغيين العرب.

وسنتوقف علىٰ بعض النماذج والصور متنوعة للسياق اللغوي في معجم النفيس:

أولاـ سياق القرآن الكريم

يعد سياق النص القرآني من أوثق التراكيب اللغوية التي وظَّفها اللغويون العرب في

الاستشهاد علىٰ صحة التركيب لضبط القواعد النحوية، ووظَّفه البلاغيون والنقاد في البلاغة والفصاحة وظهر ذلك جليا عند الجرجاني والباقلاني وغيرهما في فكرة الإعجاز القرآني من خلال نظمه، وسبق الإشارة إلىٰ أن النَّظم في النظرية اللغوية العربية هو تمثيل حقيقي لمفهوم السياق اللغوي في البحث الدلالي، ونذكِّر هنا بأن المعجميين العرب قد وظَّفوا السياق القرآني في تفسير معاني المفردات، ونبين في هذا السياق مدى توظيف التليسي لآيات القرآن الكريم باعتبارها سياقاً لغوياً له أثره في إيضاح دلالة المفردات، ويبدو من النظر في معجم النفيس أنه يركز كثيرا علىٰ توظيف سياق القرآن الكريم، ولعل السبب في ذلك أنه كغيره من المعجميين العرب لا يستغنى عن النص القرآني في تحديد الدلالة، فضلا على أنه اعتمد في معجمه علىٰ كتاب المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، وسنذكر بعض الأمثلة التي توضح اعتماد السياق القرآني ضمن السياق اللغوي العام في المعجم:

1. ذكر في توضيح دلالة لفظ البديع تحت مادة (ب د ع) وما يشتق منها فقال: البديع: المبدع، وهو من أسماء الله الحسنى، ثم استشهد بقوله تعالى:﴿ **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ (سورة البقرة/ 117) ثم يقول: أي؛ مبتدعها ومبتدئها لا علىٰ مثال سبق، ويأتي أيضا تحت نفس المادة (ب د ع) بكلمة (بدع) ويبين دلالتها بقوله البدع: الأمر الذي يكون أولا، ويذكرها في سياقها القرآني في قوله تعالى:﴿ **قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ** ﴾ (الأحقاف/9). وأما ابتدع فهي بمعنى أتى ببدعة ويذكر قوله تعالى:﴿ **وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا**﴾ (الحديد/27) (التليسي، 2001: ص1037).

2. تحت مادة (س ف ر) وما يشتق منها يأتي توظيف التليسي للسياق القرآني في تحديد دلالة لفظ إسفار الصبح الذي يعني؛ أضاء وأشرق مصحوبا بلون ويذكر قوله تعالى: ﴿ **وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ** ﴾ (المدثر/ 34)؛ أي أشرق

بلونه، وكذلك في قوله تعالى:﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ**﴾(عبس/ 38)، من مشتقات الجذر اللغوي(س ف ر) الأسفار، أي الكتب العظام يذكرها في سياق قوله تعالى:﴿ **كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا** ﴾ (الجمعة/5)، السفرة؛ الكتبة: وسفر الكتاب كتبه؛ ومنه قوله تعالى:﴿ **بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (15) كِرَامٍ بَرَرَةٍ** ﴾ (عبس /15 ـ 16)، (التليسي، 2001: ص1037) .

3. يورد تحت مادة (و. ز. ر) كثيرا من الألفاظ المشتقة منها بدلالتها المختلفة مستشهدا بآيات من القرآن الكريم ومنها:

الوِزْرُ: الجبل المنيع، وكل معقل: وزرٌ، ومنه الملجأ والمعتصم، ويذكر قوله تعالى:﴿ **كَلَّا لَا وَزَرَ**﴾ (القيامة /11) .

الوِزْرُ: الإثم، والثقل، وإنما سمي الإثم وزرا لثقله، وأوزار الحرب وغيرها أثقالها وآلاتها، قال تعالى:﴿ **حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا**﴾ (محمد /4)، وفي دلالة الوزر علىٰ الإثم استدل بقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ﴾ (الأنعام /164) .

والوزير: حَبَأ الملِك: الذي يحمل ثقله عنه ويُعِنْهُ برأيه، وهو في قوله تعالى:﴿**وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي** ﴾ (طه/ 29) (الأصفهاني، 1989:ص221).

وهكذا يتضح منهج التليسي في المحافظة علىٰ توظيف آيات القرآن الكريم سياق لغويا في البحث في دلالة الألفاظ وهو في ذلك يقتدي بمنهج من سبقه من المعجمين في اعتبار القرآن الكريم مصدرا من أهم مصادر اللغة في ضبط بنية اللغة: صوتا وصرفا وتركيبا ودلالة.

ثانيا- سياق الحديث الشريف .

تعد أقوال النبي ﷺ أبنية لغوية منتظمة ومركبة تحكمها العلاقات النحوية وهي تأتي بعد القرآن الكريم في مصدريتها اللغوية، وعول عليها أصحاب المعاجم كثيرا في اعتمادها سياقا لغويا لتوضيح الدلالة وبيان المعنى لألفاظ اللغة، وتعد كتب

غريب الحديث من أوفى المصادر للبحث في دلالة الألفاظ، واقتضي ذلك البحث عن آلية توظيف الحديث الشريف ومدى فاعليته في منهج التليسي في معجم النفيس ولا يتأكد ذلك من وجهة نظر الباحث إلا بإيراد بعض الأمثلة علىٰ ذلك من المعجم ونكتفي بذكر بعضها انتقاءً لا إحصاءً:

1. أورد تحت مادة (س ل ف ع) إيضاح دلالة كلمة (سَلْفَعٌ)؛ فذكر: السَّلْفَعُ: الجريء الشجاع الواسع الصدر،ثم قال: السَّلْفَعُ من النساء: الصَّخَابَةُ البَذِيئَةُ السَّيِّئَةُ وساق قوله ﷺ: (شرُّ نِسائِكُمْ السَّلْفَعَةُ) (الأثير، 1988: ص123).
2. وتحت مادة (ن ض ر) يأتي بلفظ (النضرة) وتعني بحسب قوله: النعمة والعيش، وقيل الحُسن والرونق ثم يقول: إذا قلت نضَّر الله امرأً؛ فالمعنى نعَّمَهُ ثم ذكر قوله ﷺ:(نَضَّرَ اللهُ عبداً سَمِعَ مَقالتي فَوَعَاها ثُمَّ أدَّاها إلىٰ من يسمعها) (الترمذي، 1975:ج5،ص33).

ثالثا ـ سياق الشعر العربي.

يشكل وجود الشعر في معجم النفيس ملمحا بارزا؛ حيث تناثرت الشواهد الشعرية في صفحات المعجم وانتشرت ولا تكاد تخلو صفحة من صفحاته من بيت من الشعر العربي للاستشهاد به علىٰ تفسير لفظ أو توضيح دلالة، ويقود ذلك إلىٰ القول بأن التليسي أكد أهمية الشعر باعتباره مصدرا من مصادر اللغة ليس في النحو والقواعد أو القيمة البلاغية؛ بل تعدى ذلك إلىٰ الدلالة وإيضاح المعنى في الصناعة المعجمية، ويعني ذلك في تفكير التليسي أن السياق الشعري له قيمته في بيان دلالة اللفظ وفصاحته.

هذا ويمكن الاستدلال علىٰ ذلك بطائفة من الأمثلة من حضور السياق الشعري في معجم النفيس:

1. ذكر تحت مادة (د ل ك) لفظ الدَّلك، فقال: دلكه بيده دلكا؛ مَرَسَه ودَعَكَه، ومن المجاز: دلكتْ الشمسُ دُلُوكاً: غَرَبتْ، فدلوك الشمس غروبها، ووُظِّف السياق

الشعري في تأكيد ذلك المعنى فجاء بقول ذي الرمة:

مصابيحُ ليستْ باللَّوَاتي يَقُودُهَا نجُومٌ ولاَ بِالآفِلاتِ الدَّوَالِكِ.

والدُّلُوكُ: النزول، قال تعالى:﴿ **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ**﴾(الإسراء/ 79)، (التليسي، 2000:ج2،ص734) .

2. جاء في المعجم تفسير دلالة لفظ (الرَّمِي) بمعنى: قطع صغار من السحاب، وقيل: هي سحابة عظيمة القطر شديدة الوقع، والجمع أَرْمَاءٌ وأَرْمِيةٌ ورَمَايَا، وأتى بقول الشاعر مُليح الهذلي:

حَنينُ اليَمانيِّ هَاجَهُ بعد سَلْوةٍ وَمِيضُ رميٍّ آخِرَ الليلِ معرق.

وذكر أيضا في ورود صيغة الجمع قول جندب الهذلي :

هُنالَكَ لوْ دعوتَ أتاكَ مِنْهُمُ رجالٌ مِثلَ أَرْمِيةِ الحَمِيمِ. (التليسي، 2001:ج2،ص900.) .

3. ومن مشتقات مادة (م ت ع) كلمة (الماتع) ولها دلالات متعددة لا يحددها إلا السياق اللغوي فهو يحدد معناها المراد المقصود وينفي عنها كل المعاني الأخرى المحتملة، ومن دلالات كلمة (الماتِع) ـ كما جاءت في المعجم: الفاضل المرتفع من الموازين، أو الراجح الزائد، ثم أتى بالسياق في بيت حسان القائل:

إنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوماً فازَ سَبْقُهُمْ أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجدِ النِّدا مَتَعُوا.

أي ؛ فضلوا، وارتفعوا، أو رجحوا وزادوا (التليسي، 2000:ج2،ص210) .

رابعا ـ سياق الأمثال .

تمثل الأمثال جنسا من أجناس النثر الأدبي، تظهر في بنيتها اللغوية التتابع والانتظام بين الكلمات حيث تعد سياقا لغويا يمكن توظيفه شاهدا ودليلا في توضيح دلالة الألفاظ ويدل ذلك علىٰ القيمة اللغوية التي يحظى به الأمثال في الصحة اللغوية والفصاحة، وهذا ما جعل للأمثال دورا فاعلا في إيضاح الدلالة وسوقها ضمن الشواهد اللغوية يقول الزمخشري:" هي قصارى فصاحة العرب،

وجوامع كلمها" (الزمخشري، (د ـ ت): ص2)، وتنبَّه أصحاب المعاجم للقيمة اللغوية للأمثال فكانت حاضرة في بناء المادة اللغوية للمعجم واعتبرت آلية لغوية يستعان بها في تفسير المعنى وبيانه في المعجم، وبالنظر في معجم النفيس للتليسي نجد للأمثال فاعلية في تبين الدلالة وشرح المعنى ويمكن الوقوف علىٰ بعض النماذج التي تبين ذلك:

1. جاء في دلالة لفظ الوتد ومعناه: ما رُزَّ في الأرض أو الحائط من خشب، ثم ذكر اللفظ في سياق لغوي وقال: وفي المثل:(**أذلُّ من وتدٍ بِقَاع**)؛ فسياق المثل حدد المعنى المراد للكلمة (وتد) التي ربما تتعد استعمالاتها في الكلام العربي فقد الوتد العروضي، وقد يعني رئيس البلاد (التليسي، 2000: ج4،ص2443).

2. تحت مادة (ر ف أ) أورد المثل (**بالرَّفَاءِ وَالْبَنِين**) (الميداني، 2002: ج1، ص111)؛ لِيُبيِّنَ به معنى (الرفاء) وفي المثل دلالة الدعاء للمتزوج وأفاد ذكر كلمة (الرفاء) معنى الالتئام والاتفاق، والبركة والنماء، وجمع الشمل وحسن الاجتماع، أو بمعنى السكون والهدوء والطمأنينة، وهكذا يفهم مدلول كلمة (الرفاء) في سياقها في المثل (التليسي، 2000:ج2، ص873).

3. أتى بالمثل القائل: (**أَحْشَفاً وَسُوء كِيلة**) (الميداني، 2002: ج1،ص34)، وساقه لبيان دلالة كلمة الْحَشَف في هذا السياق ويحدد معناها وقال: تمرٌ حَشِفٌ: كثير الحشف، وقد أَحْشَفَتْ النخلة صار تمرها حشفا، ومعنى المثل: أتجمع التمر الرديء والكيل المطفف؟ ويضرب لاجتماع خصلتي إساءة على الرجل (478، 2000:ج1،ص478).

وعلى ذلك يمكن القول: إن للمثل توظيفا سياقيا في معجم النفيس لإيضاح دلالة الألفاظ فيه ، وذلك لما للمثل قيمة لغوية في الفصاحة باعتباره تركيبا منتظما متتابعا يمثل جنسا من أجناس النثر العربي وهي بلا ريب تعد من أهم مصادر اللغة.

الخاتمة:

خلص البحث إلىٰ جملة من النتائج نذكر أهمها:

1. تبيَّن من البحث أن التليسي له جهود واضحة في الصناعة المعجمية من خلال أعماله المعجمية المتعددة ومن أبرزها معجم النفيس.
2. اختطَّ التليسي لنفسه منهجا واضحا في اختيار مواد معجمه من الجمع والترتيب والاختصار واختيار الصحيح الفصيح من الألفاظ، وهو بذلك جمع بين منهج المعجميين العرب المتقدمين والمحدثين.
3. تنبَّهه صاحب المعجم إلىٰ أهمية السياق اللغوي في بيان دلالة الألفاظ من القرآن الكريم، والحديث الشريف والشعر والأمثال.
4. بيَّنتْ الدراسة أن الربط بين الدلالة والمعجم من الأسس المهمة في الصناعة المعجمية قديما وحديثا.

أهم التوصيات

1. التركيز علىٰ نشر الأعمال المعجمية التي أسهم فيها المؤلفون الليبيون واعتمادها مراجع ومصادر مهمة للباحثين في الجامعات ومراكز البحث.
2. نوصي الباحثين في الدراسات العليا بالتوجه للأعمال المعجمية للمؤلفين الليبيين والبحث فيها وإظهارها إلى عالم البحث العلمي.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات،(1963) **النهاية في غريب الحديث** ،تح/ الطاهر الزاوي وآخرين، دار إحياء التراث العربي، القاهرة،.
2. بالمر، جورج(1988)، **علم الدلالة إطار جديد**، تر: مجيد الماشطة، دار الفكر، دمشق، ط
3. الترمذي،محمد بن عيسى،(1975)، سنن الترمذي،تح:أحمد شاكر وآخرين،شركة

البابي الحلبي، دمشق،ط2.

4. التليسي، خليفة محمد،(1989)، **ديوان خليفة التليسي**، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط1.
5. التليسي، خليفة محمد،(2001)، **معجم النفيس**، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1.
6. جبريل،عبدالسلام ميلاد،(2008)، **الدلالة السياقية في المستويين الدلالي والتداولي**، رسالة ماجستير، كلية الآداب،جامعة سبها،(مرقونة).
7. الداية،فايز ،(1999)، **علم الدلالة العربي**، دار السلام، دمشق، ط1.
8. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين،(د ت)، **المفردات في غريب القرآن**،تح:محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
9. زرقون، قريرة،(2004)، **الحركة الشعرية في ليبيا**، دار الكتاب الجديد، بيروت،ط1.
10. ن،(1968)، **المعجم العربي نشأته وتطوره**، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط2.
11. مجموعة مؤلفين،(1992) **مجلة الفصول الأربعة**، رابطة الأدباء والكتاب بالجماهيرية ، العدد66.

الغني المصطلحي في الدّرس اللُّغوي (تعددًا وتداخلًا)

أ. لطفي فرج عطية المغيربي – كلية العلوم الاصابعة – جامعة غريان
أ. محمد الفيتوري جعيدة – كلية التربية جامعة الجفارة

المستخلص:

الباحث في المصادر اللغوية يقف أحياناً على تعدد وتداخل في استخدام المصطلحات لبعض المفاهيم اللغوية ، يدفعه إلى ملاحظة ما وقع من خلط بين هذه المصطلحات في أحيان غير قليلة ؛ وسبب ذلك أن دراسة هذه المصطلحات تمثل إشكالاً وتعد من أهم الصعاب التي تعترض الباحثين والدارسين. فتعدد المصطلح وتداخله غدا مشكلة أدت إلى التشتت. فوجدت المترادفات الكثيرة الدالة على ظاهرة واحدة، وتحمل أحياناً كثيرة مفهوماً واحداً .

حاول البحث رصد هذه المصطلحات وتتبعها في كتب التراث اللغوي، وبيان حقيقتها، وتوضيح التداخل فيما بينها مقتصراً على المشهور منها ،ومتجاوزاً المستقر ، مبتدئًا بسيبويه ومن تبعه من العلماء فيما يتعلق بالمصطلحات النحوية (المصطلحات النحوية نشأتها وتطورها ، أبوالعزم ، 1977) (المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، القوزي، 1981) واللغوية وما كان منها متداخلاً مع المصطلحات البلاغية .

الكلمات المفتاحية: الغِنى – المُصطلح – التعدّد – التداخُل – الدّرس اللُّغوي.

المقدمة

الحمد لله الرحيم الرحمان ، خلق الإنسان علَّمه البيان، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحليم المنّان، وأشهد أن سيدنا ونبيّنا محمدًا عبده ورسوله سيّد ولد عدنان ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الجديدان وبعد:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى مقاربة المصطلح في الدّرس اللُّغوي بُغية كشف تداخله وتعدّده المؤدّي بالضرورة إلى التشتت في الفهم والاضطراب والقلق.

ومن المسائل المتداولة التي تؤلّف الإشكال اللّغوي الراهن، هي مسألة المصطلح بوصفها أهم مفاتيح العلوم، والتي شغلت اللّغويين والمفكرين منذ وقت مبكر؛ لما لها من أهمية خاصة في الممارسات اللغوية بشكل عام، ودور فعّال في وضع بعض النظريات، وتسهيل التعامل بين المشتغلين في مجال الدّرس اللّغوي.

والضرورة المنهجية كما يرى الباحث تقتضي منَّا الوقوف على المحاور التالية:

1) تعدد المصطلح وتداخله للمفهوم الواحد:

نحو إطلاق العلماء مصطلحات (الاستغناء وسد المسد والاكتفاء)، على الرغم من أن الاستغناء يختلف في طبيعته وحكمه ومواضعه عن المصطلحين الأخيرين، لكن القدماء خلطوا بين المصطلحات الثلاثة ومفاهيمها، وذكروا ما يمكن أن يكون استغناء تحت باب غيره، والعكس أيضًا. وهذه الظاهرة التي أشرنا إليها (الاستغناء) أوقعت بعض المحدثين في الخلط، بل ربما اشتطوا في بحوثهم، فعدوا هذه الظاهرة ضمن الحذف تارة، وضمن التعويض تارة أخرى، حتى أوصلهم ذلك إلى عدها من قوانين التحويل اللغوية الحديثة التي توصل إليها تشومسكي. ونحو إطلاق سيبويه مصطلح(الخبر) للدلالة على الحال إضافة إلى مصطلح الحال، ونحو إطلاق سيبويه مصطلح (الصفة والنعت على مفهوم واحد. وإطلاق ابن جني على الاشتقاق الصغير اسم الاشتقاق الأصغر إضافة إلى الاشتقاق الصغير في وقت واحد، الأمر الذي أدى فيما بعد إلى اضطراب المصطلح بين الصغير والأصغر والكبير والأكبر إضافة إلى مصطلحات أخرى في هذا الباب.

2) تعدد المصطلح وتداخله بين المدارس النحوية مع اختلاف المفهوم:

نحو مصطلح (الفصل)عند البصريين ومصطلح(العماد)عند الكوفيين ، ومصطلح (ضمير الشأن) عند البصريين ، ومصطلح (الضمير المجهول) أو

(الاسم المجهول) عند الكوفيين ، ونحو مصطلح (الصلة) عند البصريين والصلة عند الكوفيين ، والصلة عند الفراء ، والزيادة عند البصريين. ونحو إطلاق مصطلح (الصفة) عند الكوفيين على حروف الجر وإطلاق مصطلح الصفة أيضًا عند بعض الكوفيين على ظرفي الزمان والمكان.

3) تعدد المصطلح وتداخله نتيجة اختلاف العلوم:

نحو مصطلح(الخبر) ومفهومه عند النحويين ومصطلح الخبر ومفهومه عند البلاغيين .ونحو تداخل مصطلح (الحشو) عند البلاغيين أنفسهم مع مصطلحات أخرى ، كما هو عند النحويين أيضًا.

تمهيد:

المصطلح هو اتفاق مجموعة ما على شيء باسم ما بعد أن ينقل هذا الاسم من معناه اللغوي إلى معنى آخر لمناسبة بينهما، مثل الاشتراك والتشابه، والغرض من ذلك بيان مفهوم الشيء المنقول إليه وتحديده (كشف اصطلاحات الفنون ، التهانوي ، 212/1) .والاتفاق بين النحويين مثلًا على ألفاظ معينة لتؤدي معاني هو ما يسمى عندهم بالمصطلح النحوي. وفي بداية الأمر لم تأخذ كلمة مصطلح معناها كغيرها من الألفاظ الذي حدد لها اليوم إلا بعد زمن طويل. ولذا نجد تعددًا في المصطلح الذي يدل على مفهوم معين، وربما تداخلًا يؤدي إلى الاضطراب عند ذوي الصناعة أنفسهم، أو عندما ينتقل إلى علم آخر فيأخذ مفهومًا مختلفًا، نحو "الخبر" فهو في اصطلاح النحويين يدل على مفهوم معين، وعند البلاغيين له مفهوم آخر قد يتداخل مع المفهوم الأول وقد يخالفه، "حتى يصل اختلاف المفهوم في مصطلح اللفظ حد التندر، فإذا كان النحوي يعرف معنى معينًا لاصطلاح الهمز، فالبدوي من الأعراب يعرف للهمز معنى آخر هو الضغط بشدة" (المصطلح النحوي ، القوزي ، ص23)، فاختلاف المصطلح يعود أحيانًا إلى اختلاف الفنون، أو إلى المناهج المختلفة التي تميزت بها كل فئة، ولهذا برزت

مصطلحات خاصة بالبلاغيين ومصطلحات خاصة بالنحويين، ومصطلحات خاصة بالبصريين من النحويين وأخرى خاصة بالكوفيين وهكذا. ومن العبث أن ينفرد شخص ما بمسألة وضع المصطلح؛ لأنه مشروط بالإجماع. وكان لعلمائنا الأوائل فضلٌ كبيرٌ في وضع المصطلحات النحوية والبلاغية بمعناها العلمي الذي نستخدم أكثره اليوم، وإن لم تنضج وتكتمل وشابها بعض التداخل والاضطراب، أو التعدد والتناقض أحيانًا إلا أن البذرة الأولى قد وضعت على أيديهم ، وهذا التعدد والتداخل يعود أحيانًا إلى أن بعضها كان يذكر بالمفهوم ، وبالمرادف.

وتعد مسألة المصطلح من أهم مفاتيح العلم؛ أي علم . فتعدد المصطلح وتداخله أدى إلى الاضطراب والإرباك عند بعض العلماء. فوجدت المترادفات الكثيرة الدالة على ظاهرة واحدة، وتحمل أحيانًا كثيرة مفهومًا واحدًا. ومن هذه المصطلحات التي تبدو في ظاهرها من المترادفات: الاستغناء، وسد مسد ، والاكتفاء على الرغم من أن الاستغناء يختلف في طبيعته وحكمه ومواضعه عن المصطلحين الآخرين ، كما ذكر عبدالله بابعير (ظاهرة الاستغناء في النحو العربي ، بابعير ، ص8). لكن القدماء خلطوا بين المصطلحات الثلاثة ومفاهيمها، وذكروا ما يمكن أن يكون استغناء تحت باب غيره، والعكس أيضًا. وهذه ظاهرة أي: "تعدد المصطلح" تتكرر في تراثنا اللغوي ، نحو خلطهم أحيانًا في مصطلحات الرفع والضم ، والنصب والفتح مثلًا. ويرى الدكتور علي الحمد أن ما أوقع القدماء وبعض المحدثين في ذلك أنهم اعتمدوا أحيانًا. الدلالة اللغوية في استخدام مصطلحاتهم، فعدوها كلمات عادية أو أسماء، ولم يفرقوا بين هاتين وبين المصطلح (في المصطلح العربي ، الحمد ، الصفحة الخامسة) .أما قول القائل بأن(لا مشاحة في الاصطلاح) فيحتاج إلى فضل تأمل؛ لأن "الناظر في العصر الراهن يرى من أمامه مشاحات كثيرة غدت إزاءها قضية المصطلح عندنا، وربما عند غيرنا، إحدى مشكلات العمل

النقدي التي كثيرًا ما تصدم الناقد الأدبي المختص؛ بله القارئ العادي "(الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية ، ويس ، ص35).

ومن خلال استقرائنا كتب التراث نجد أن المصطلحات تعددت وتداخلت ضمن المحاور التالية:

المحور الأول: تعدد المصطلح للمفهوم الواحد:

أطلق سيبويه مصطلحات (الاستغناء وسد مسد والاكتفاء) للدلالة على مفهوم واحد يقول:" هذا باب ما يقع موقع الاسم المبتدأ ويسد مسده ؛ لأنه مسقر لما بعده وموضع ، والذي عمل فيما بعده حتى رفعه هو الذي عمل فيه حين كان قبله؛ ولكن كل واحد منهما لا يستغنى به عن صاحبه ، فلما جمعا استغنى عليهما السكوت، حتى صارا في الاستغناء كقولك: هذا عبدالله" (الكتاب ، سيبويه ، 128/2). فهو في هذا النص جمع بين المصطلحين، ونجده في موضع آخر قد استخدم مصطلحًا واحدًا:" فترك هذا ؛ لأن من كلامهم الاستغناء بالشيء عن الشيء" (المصدر نفسه ، 158/3) . وقد تبعه في هذا جمهور النحويين، فنجد المبرد استخدم مصطلح الاستغناء في قوله:" واعلم أن أيا مضافة ومفردة في الاستغناء والاحتياج إلى الصلة سواء" (المقتضب، المبرد ، 297/2). وكذلك السيوطي في قوله:" أشبهت حروف الجواب في الاستغناء بها عن لفظ ما بعدها" (همع الهوامع ، السيوطي ،194/2) ، أما الاكتفاء فقد ورد عند سيبويه معنى لكلمة قط، يقول:" وقط معناها الاكتفاء" (الكتاب ، سيبويه ، 228/4) ولم يرد مصطلحا. وورد عند السيوطي مصطلحا، يقول:" وعلله بأن الابتداء بالأخص يوجب الاكتفاء به وعدم الحاجة إلى الإتيان بما هو دونه" (همع الهوامع ، السيوطي ، 160/3). على الرغم من أن الاستغناء يختلف في طبيعته وحكمه ومواضعه عن المصطلحين الآخرين، لكن القدماء خلطوا بين المصطلحات الثلاثة ومفاهيمها، وذكروا ما يمكن أن يكون استغناء تحت باب غيره، والعكس أيضاً.

وهذه الظاهرة التي أشرنا إليها (الاستغناء) أوقعت بعض المحدثين في الخلط، بل ربما اشتطوا في بحوثهم، فعدوا هذه الظاهرة ضمن الحذف تارة، وضمن التعويض تارة أخرى، حتى أوصلهم ذلك إلى عدها من قوانين التحويل (في المصطلح العربي، الحمد ،الصفحة الخامسة).

وردت مصطلحات(الحلف واليمين والقسم عند سيبويه ويقصد بها القسم المعروف فتكرر في الكتاب مصطلح الحلف والمحلوف به والمحلوف عليه واليمين والقسم والمقسم به والمقسم عليه، ولكن الأكثر القسم والمقسم به والمقسم عليه ، وكأن الحلف واليمين عنده تفسير للقسم، يقول:" اعلم أن القسم توكيد لكلامك فإذا حلفت على فعل غير منفي (الكتاب ، سيبويه،3 /104) ، والتاء التي في القسم (المصدر نفسه ، 214/4) ، "ولام اليمين التي في لأفعلن (نفسه ، 217/4) وإذا قلت بالله ووالله وتالله فإنما أضفت الحلف إلى الله سبحانه" (نفسه ، 421/1) فنجده يكرر مصطلح القسم ويراوح بينه وبين اليمين والحلف ، وتبعه في ذلك العلماء، فنجد المبرد يستخدم القسم والحلف، يقول: "للقسم أدوات توصل الحلف إلى المقسم به" (المقتضب ، المبرد ، 318/2) وربما يعود ذلك إلى أنهم يستخدمون أبسط الدلالات لمفهوم القسم ليستوعبها الناشئة ، ولم يكن يعنيهم أن هذا سيحدث إرباكًا وتكدسًا في المصطلحات (منهج تقرير مسائل من النحو ، أبوشهاب، ص92).

استخدم سيبويه مصطلح (الخبر) للدلالة على (الحال) إضافة إلى مصطلح الحال، ويقصد بذلك توضيح المسألة وإدراك المفهوم وقبل أن يحدد المصطلح قال:" فإذا أردت الخبر الذي يكون حالًا، وقع فيه الأمر، فلا تضع في موضعه الاسم الذي جعل ليوضح المعرفة أو تُبين به، فالنكرة تكون حالًا، وليست شيئًا بعينه، قد عرفه المخاطب قبل ذلك (الكتاب، سيبويه ، 114/2) والخبر عندنا نوعان: خبر يكون جزءًا من الجملة لا تتم الفائدة دونه، وخبر ليس بجزء من الجملة، ولكنه زيادة في

خبر آخر سابق له، فالأول خبر المبتدأ، نحو(منطلق) في جملة(زيد منطلق) فهو جزء من الجملة لا تتم الفائدة إلا به، والثاني هو الحال، نحو قولك: جاءني زيد راكبًا، وسمي الحال خبرًا لأنه في الأصل خبر كونك تثبت به المعنى لصاحب الحال كما تثبت بالخبر المبتدأ وبالفعل الفاعل، ففي هذه الجملة أثبت الركوب لزيد دون غيره، ولكن الفرق بينهما أنك في هذه الجملة جئت به لتزيد المعنى في إخبارك عنه بالمجيء، وهو أن تجعله بهذه الهيئة في مجيئه، ولم تجرد إثباتك للركوب، ولم تباشره به، بل بدأت فأثبت المجيء ثم وصلت به الركوب، وهو هنا فضله يتم الكلام دونه ، ولن في الجملة الأولى هو عمدة لا يتم الكلام دونه . ويبدو أن سيبويه في إطلاقه المصطلح لم يعني بتوحيده وجعله متسقا بل كان يحرص على توضيح المفهوم وتسهيل إدراكه (منهج تقرير مسائل من النحو ، أبوشهاب، ص93) ، مع أن في هذا توضيحا للمفهوم إلا أن هذا التذبذب يسبب إرباكًا للقارئ.

كما استخدام مصطلح (القطع) للدلالة على الحال (معاني القرآن ، الفراء ، 215/2 .216) ، وكذلك للدلالة على الوقف(المصدر نفسه ، 354/2). أما على القطع ، فهو عندما تريد النعت فتجد المنعوت معرفة والنعت نكرة فتقطعه. وجمع الفراء بين مصطلحي الحال والقطع في إعراب قوله تعالى(وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) (الزمر ، الآية :67) ، يقول :" وينصب مطويات على الحال أو على القطع " (معاني القرآن ، الفراء ،425/2) وقال في إعراب قوله تعالى: (قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (الأعراف ، الآية:32) نصبت خالصة على القطع ، وجعلت الخبر اللام التي في الذين (معاني القرآن ، الفراء ، 215/2 . 216). وقال في إعراب قوله تعالى: (مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ) (الحج ، الآية:5) ويجوز مخلقة وغير مخلقة على الحال ، والحال تنصب في معرفة الأسماء ونكرتها كما تقول: هل من رجل يضرب مجردا

، فهذا حال وليس نعتاً (معاني القرآن ، الفراء ، 215/2 . 216).وقد استخدم مصطلحا ثالثا للدلالة على الحال، وذلك في إعرابه لقوله تعالى: (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ) (البقرة ، الآية:89) قال:" إن شئت رفعت المصدق ونويت أم يكون نعتًا للكتاب ؛ لأنه نكرة ، ولو نصبته على أن تجعل المصدق فعلا للكتاب لكان صوابا" (معاني القرآن ، الفراء ،55/1)، فهو يستخدم مصطلح(فعلا) للدلالة على الحال. ومن هنا نجد أن استعمال مصطلح واحد ؛ ليدل على غير مفهوم يحدث اضطرابًا لدى القارئ وكذلك استعمال أكثر من مصطلح للمفهوم نفسه ، فالفراء تابع سيبويه في مصطلح الحال ، لكنه استخدم مصطلحين جديدين للمفهوم نفسه، أما الأخفش فاكتفى باستخدام مصطلح الحال يقول:" وإن شئت جعلت غير (الفاتحة ، الآية:7) نصبًا على الحال؛ لأنها نكرة والأول معرفة (شرح المفصل ، ابن يعيش ، 47/3).

استخدم سيبويه مصطلح (الصفة والنعت) للدلالة على مفهوم واحد (دراسة في النحو الكوفي، ديره ، ص230) ، وهذا التعدد جعل شوقي ضيف يزعم أن الفراء" أول من اصطلح على تسمية النعت باسمه" وأن سيبويه كان يسمي النعت صفة ، ولم يذكر النعت بهذه التسمية (المدارس النحوية، ضيف ، ص202) ، وبين المختار أحمد ديره خطأ شوقي هذا (دراسة في النحو الكوفي ، ديره ، ص230). وبعد استقرائي كتاب سيبويه وجدت سيبويه قد استخدم المصطلحين ولكن استخدامه مصطلح الصفة كان أكثر من النعت (همع الهوامع ، السيوطي ، 145/3) ومما ورد في مصطلح النعت قوله:" هذا باب ما أشرك بين الاسمين في الحرف الجار فجريا عليه كما أشرك بينهما في النعت فجريا على المنعوت" (الكتاب، سيبويه ، 437/1) ، ومنه قوله": ومن النعت أيضًا مررت برجلين مثلين" (المصدر نفسه ، 430/1)، ومنه قوله "فأما النعت الذي جرى على المنعوت . فقولك مررت برجل ظريف قبل " (نفسه ، 1/ 421 ، 153/1، 399 ، 421 ،

422 ، 429 ، 430 ، 434 ، 437، 2/ 25 ، 26) .واستخدم مصطلح الصفة والمنعوت في قوله:" ومنه أيضًا مررت برجل صالح بل طالح ، وما مررت برجل كريم بل لئيم أبدلت الصفة الآخرة من الصفة الأولى وأشركت بينهما في الإجراء على المنعوت" (نفسه ، 434/1) ومصطلح الصفة والموصوف أو النعت والمنعوت أو التداخل بينهما نحو الصفة والمنعوت أو النعت والموصوف لم يحدث إشكالًا عند من تبع سيبويه ، فالمصطلح على الرغم من التداخل والتعدد كان مضبوطًا للدلالة على مفهوم الصفة . مع أن الأولى توحيده بالصفة والموصوف أو النعت والمنعوت . أما التداخل حدث عندما تغير المفهوم فقد أطلق سيبويه مصطلح النعت على عطف البيان ، كما أطلق على التوكيد مصطلح الصفة.

أما المبرد فقد راوح في استخدامهما إلا أنه حافظ على التوازن صفة وموصوف أو نعت ومنعوت خلاف سيبويه: وذلك قولك في النعت لا رجل ظريف لك ، النعت منفصل عن المنعوت مستغنى عنه"(المقتضب ، المبرد ، 367/4) ، ويقول في موضع آخر: "تجعل الصفة في موضع الموصوف" (المصدر نفسه ، 42/1).ونجد الفراء يراوح في استخدام مصطلحي الصفة والنعت مع أن الأكثر في كتابه استخدامه مصطلح النعت، ففي قوله تعالى: (وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ) يقول بالصفة :" المبارك رفع من صفة الذكر" (معاني القرآن ، الفراء ، 206/2) وفي قوله تعالى:(وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى) (طه ، الآية:18) يقول بالنعت:" جعل أخرى نعتًا للمأرب وهي جمع" (المصدر نفسه، 231/2) .ومصطلح الصفة عند الكوفيين أخذ دلالة أخرى فأطلق على حروف الجر(الكتاب ، سيبويه ، 304/2) كما أطلق على ظرفي الزمان والمكان ،وذكر السيوطي سبب تسمية حروف الجر بالصفة وحروف الإضافة في قوله:" ويسميها الكوفيون حروف الإضافة ؛ لأنها تضيف الفعل إلى الاسم أي توصله إليه وتربطه به ، وحروف الصفات ؛ لأنها تحدث صفة في الاسم ، فقولك : جلست في الدار" دلت في على

أن الدار وعاء للجلوس " (همع الهوامع ، السيوطي ، 19/2) وهذا النص يدل على أن الكوفيين قد استخدموا مصطلح الصفات أو الصفة للدلالة على حروف الجر ، وذكر الفراء مصطلح الصفة للدلالة على حروف الجر في تفسيره حذف الألف من "بسم الله الرحمن الرحيم " يقول:" لأنها وقعت في موضع معروف لا يجهل القارئ معناه ولا تحذفنها مع غير الباء من الصفات، وإن كانت تلك الصفة حرفًا واحدًا مثل اللام والكاف فتقول: "لاسم الله حلاوة في القلوب، وليس اسم كاسم الله" (معاني القرآن ، الفراء ، 21/1)، فنجده يستخدم مصطلح الصفة بمعنى حرف الجر(وإن كانت تلك الصفة حرفًا واحدًا) ، والصفات بمعنى حروف الجر (ولا تحذفنها مع غير الباء من الصفات).ويذكر الأنباري أن من النحويين من يسمي الظرف الصفة، يقول:" ويسمون الظرف المحل، ومنهم من يسميه الصفة" (الإنصاف في مسائل الخلاف ، الأنباري ، 51/1)، ويرجح أحد الباحثين أن استعمال الصفة لحروف الجر هو مصطلح الفراء وحده ؛ لأنه أورده كثيرًا في كتابه؛ ولأنه كان يؤسس مذهبًا يختلف عن مذهب البصرة في مصطلحاته، ويقول: كما لم أعثر على هذه التسمية قبل الفراء عند أحد من نحاة الكوفة (دراسة في النحو الموفي ، ديره ، ص246) . فثبات مصطلح (الصفة) وتعدد مدلولاته بين(النعت وحروف الجر وظرفي الزمان والمكان) يسبب إرباكًا لدى الدارسين، وقد يوقع في خلط كبير.

تعددت مصطلحات (التمييز والتبيين والتفسير والمميز والمفسر) للدلالة على مفهوم واحد، فقد ورد مصطلح التمييز والتبيين عند المبرد في باب مستقل(هذا باب التبيين والتمييز) يقول:" ومن التمييز ويحه رجلًا ولله دره فارسًا" (المقتضب ، المبرد ، 35/3) ويقول:" واعلم أن التبيين إذا كان العامل فيه فعلًا جاز تقديمه لتصرف الفعل فقلت: تفقأت شحمًا وتصببت عرقًا" (المصدر نفسه ، 36/3) وتابعه في ذلك عدد من النحويين، يقول السيوطي: "التمييز ويقال له: المميز،

والتبيين والمبين والتفسير والمفسر" (همع الهوامع ، السيوطي ، 250/1) ، وهذا التعدد في المصطلح أدى إلى تداخل واضطراب، فنجد أن مصطلح التبيين اختلط مع مصطلح البدل، "قال الأخفش: إنهم يسمونه التبيين، وقال ابن كيسان التكرير وهو التابع المقصود بحكم بلا واسطة" (المصدر نفسه ، 176/3) وفي هذا تداخل بين بابين نحويين مما يسبب إرباكًا للقارئ، وربما يعود هذا التداخل إلى أن هذه المصطلحات بينها نسبة معنوية، فالتمييز: يعني الفرز والعزل، والتفسير : يعني الإبانة، وكشف المغطى، والتبيين: يعني التوضيح، فالمعنى بينها قريب (دراسة في النحو الكوفي ، ديره ، 229 ، 230) ، وابن الأنباري يرى أن" التمييز هو تبيين النكرة المفسرة للمبهم"، ففي هذا التعريف مصطلحات ثلاثة (تمييز، تبيين ، تفسير "مفسرة") (أسرار العربية ، الأنباري ، 196) ، وهنا تتضح مسألة الترادف في المصطلح.

وتعددت المصطلحات المتعلقة بأنواع الاشتقاق: فنجد "الاشتقاق الصغير والأصغر وأضيف مصطلح الاشتقاق العام" للدلالة على مفهوم واحد ، ونجد "الاشتقاق الكبير والأكبر"، ونجد "الاشتقاق الأكبر والإبدال اللغوي"، ونجد "الاشتقاق الكبَّار والنحت "فتعدد المصطلح للدلالة على مفهوم واحد، فهذا ابن جني يطلق مصطلح الاشتقاق الصغير والأصغر معًا للدلالة على مفهوم واحد وذلك في قوله:" فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم، كأن تأخذ أصلًا من الأصول فتتقراه فتجمع بين معانيه نحو سلم، ويسلم، وسالم فهذا الاشتقاق الأصغر" (الخصائص ، ابن جني ،136/2) فهو هنا يستخدم مصطلحي الاشتقاق الصغير والأصغر معًا للدلالة على مفهوم واحد. أما السيوطي فيأخذ مصطلحًا واحدًا وهو الاشتقاق الأصغر، يقول:" وطريقة معرفته تقليب تصاريف الكلمة حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ كضرب فإنه دال على مطلق الضرب فقط ، أما ضارب ومضروب صيغة هي ويضرب واضرب فكلها أكثر دلالة وأكثر حروفًا وكلها

مشتركة في (ض رب) وفي هيئة تركيبها، وهذا الاشتقاق الأصغر المحتج به "(المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي ، 346/1). ورأى بعض المحدثين مصطلحًا جديدًا للدلالة على هذا المفهوم وهو الاشتقاق العام.

وتعدد مصطلح الاشتقاق الكبير فنجد الأكبر والكبير ونجد القلب . وقد ورد عند ابن جني بمصطلحين (الكبير والأكبر) في وقت واحد ، فقد ذكر مصطلح الاشتقاق الأكبر عنوانًا في الخصائص (باب في الاشتقاق الأكبر) وقال تحته: "هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا ، غير أن أبا علي _ رحمه الله _ كان يستعين به، ويخلد إليه ، مع إعواز الاشتقاق الأصغر. (أي الصغير) لكنه مع هذا لم يسمه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة ويستروح إليه ويتعلل به ، وستراه فتعلم أنه لقب مستحسن؛ وذلك أن الاشتقاق عندي على ضربين : كبير وصغير. فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم. كأن تأخذ أصلاً من الأصول فتقرأه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغه ومبانيه. ذلك كتركيب، من (س ل م) ، فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفاته نحو سلم ويسلم وسالم وسلمى والسلامة. وأما الاشتقاق الأكبر أي: الكبير ، فهو أن تأخذ أصلًا من الأصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً، (الخصائص ، ابن جني، 135/2 . 136) فالأكبر عنده هو الكبير كما أن الأصغر هو الصغير ، ولكن هذا التعدد والتداخل أدى إلى اضطراب في المصطلح ترتب عليه اضطراب في المفهوم عند غيره . وارتأى فؤاد ترزي تسميته بالقلب (الاشتقاق ، ترزي ، ص323) وربما أخذ التسمية من تعريفه: أن تأخذ أصلًا من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدًا (الخصائص ، ابن جني، 136/2). وأبقى إبراهيم أنيس على مصطلح ابن جني الاشتقاق الكبير، يقول:" فليس يكفي مثل هذا القدر الضئيل المتكلف لإثبات ما يسمى بالاشتقاق الكبير(أسرار اللغة، أنيس ، ص68).

وكذلك تذبذب عند العلماء مصطلح الاشتقاق الأكبر أو ما يسمى الإبدال اللغوي، وهو أن يكون بين اللفظين تناسبًا في المخرج ، فنجد مصطلح الاشتقاق الكبير والاشتقاق الأكبر والإبدال اللغوي والإبدال الاشتقاقي (الاشتقاق والتعريب، المغربي، ص12) و (دراسات في فقه اللغة، الصالح، ص243). وقد ورد عند ابن جني بالمفهوم دون المصطلح تحت عنوان" تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني "، ومثل بقوله تعالى :" إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزًّا" أي تزعجهم وتقلقهم فهذا في معنى تهزهم هزا ، والهمزة أخت الهاء ، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين (الخصائص، ابن جني، 539/1) وتداخل مصطلح الاشتقاق الكبار مع النحت والمراد منها واحد، ولم أجد لبسًا في استخدامهما، كما في مصطلحات الاشتقاق السابقة. ولو تم الاتفاق على مصطلح واحد . وليكن النحت مثلًا لكان أولى. وأرى أن تعدد المصطلح يوقع في لبس واضطراب، والأولى تحديد المصطلح وليكن على النحو التالي: الاشتقاق الأصغر والاشتقاق الأكبر والإبدال اللغوي والنحت، وبهذا نخرج من مسألة تداخل المصطلح واضطرابه. أما أن ابن جني استخدم الأصغر والصغير والأكبر والكبير فهو واضح عنده للدلالة على مفهوم محدد، ولكنه سبب إرباكًا لمن جاء بعده.

وتداخل عند ابن هشام مصطلح (لا) النافية للجنس مع (لا) التبرئة للدلالة على مفهوم واحد (مغني اللبيب، ابن هشام ، 313) ، مع أن لا التبرئة من اصطلاحات الكوفيين (معاني القرآن، الفراء، 120/1 ، 121)، يقول: "لا على ثلاثة أوجه: أحدها أن تكون نافية؛ وهي على خمسة أوجه: أحدها أن تكون عاملة عمل إن وذلك إذا أريد بها نفي الجنس على سبيل التنصيص، وتسمى حينئذ تبرئة" (مغني اللبيب، ابن هشام، 313) ، فهنا يتداخل المصطلحان للدلالة على مفهوم واحد، ونجده في موضع آخر يضع عنوانا (حذف لا التبرئة) وعنوانا آخر(حذف لا النافية) وهو هنا يفرق بينهما؛ لأنهما من خلال الأمثلة التي طرحها مختلفتان

(المصدر السابق، 834) .وذكر السيوطي أن لا النافية للجنس هي لا التبرئة، وقال:" إن الجمهور على أن(سي) اسم لا التبرئة" (همع الهوامع، السيوطي، 288/2). ويرى المختار ديره أن التبرئة أقرب إلى التعبير عن النفي من مصطلح لا النافية للجنس، "فـ(لا)التبرئة حينما نطلقها في جملة لا تفيد معنى نفي الجنس وحده، وإنما تفيد أيضًا حكمًا متعلقًا بالجنس كقولنا: "لا رجل قائم"، فهنا برأنا الرجل من القيام بعد أن برأنا جنس الرجال من القيام أيضًا" (دراسة في النحو الكوفي، ديره، 271). أقول هنا إن دلالة لا النافية للجنس تؤدي معنى لا التبرئة الذي ذكره المختار ديره فلا جديد، ولكن المسألة تكمن في تعدد المصطلح وتداخله وليس في دلالة المفهوم.

المحور الثاني: تعدد المصطلح وتداخله بين المدارس النحوية مع اختلاف المفهوم:

استخدم البصريون مصطلح (الفصل) ؛ لأن هذه الألفاظ يفصل بها بين الخبر وذي الخبر من غير اعتداد بها في الإعراب، ولا احتياج إليها في العودة على الأسماء، وقد وضعت للتأكيد. (ينظر: الكتاب ، سيبويه، 389/2 . المقتضب، المبرد، 103/4 . رصف المباني، المالقي، ص207 . ابن الحاجب، 302/1 – 303) أما الكوفيون (شرح المفصل، ابن يعيش، 109/3) فأطلقوا مصطلح (العماد)؛ لأن ما بعدها قد يعتمد عليه في بعض المواضع وقال ابن هشام: "سمي عماداً؛ لأنه يعتمد عليه معنى الكلام" ويجعلونها حينئذ أسماء (مغني اللبيب، ابن هشام، ص644). والصحيح عند المالقي (رصف المباني، المالقي، ص208) أنها حروف لا يحتاج إليها في العودة، ولا يكون لها في بعض المواضع فيه محل إعراب. ومن استخدامات الكوفيين لمصطلح العماد قول الفراء في تفسير قوله تعالى: (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ) (الزخرف، الآية:76) جعلت "هم" هاهنا عمادًا، فنصب الظالمين " (معاني القرآن، الفراء، 37/3). فتعدد المصطلح

نفسه (الفصل والعماد) لم يحدث إرباكًا، ولكن الذي أحدث الإرباك توسع دلالته عند الكوفيين (الإنصاف في مسائل الخلاف ، الأنباري، المسألة 98) فلم يعد يطلق على ضمائر الرفع وحدها كما هو المعتاد بل شمل الضمير المنصوب في مثل "إياك" فـ(الكاف) ضمير و(إيا) عماد، وفي كلام الأنباري تعميم أجمل في عبارته الكوفيين، ولم يقل بعضهم ، فهذا ثعلب لا يجيز ذلك ويرى أن ضمائر الرفع وحدها هي التي تقع عمادًا (مجالس ثعلب، ثعلب، 133/1). وتداخل مصطلح العماد عند الكوفيين في مدلوله مع ضمير الشأن عند البصريين، فهذا الفراء يطلق مصطلح العماد أحيانًا على ضمير الشأن ويظهر ذلك في تفسير قوله تعالى (إلا أَنْ تَكُونَ مَيِّتَةٌ) (الأنعام، الآية:145. وينظر معاني القرآن، الفراء، 361/1)، ونحا الدكتور إبراهيم رفيدة باللائمة على محققي كتاب معاني القرآن، وعلى النحاس في إعرابه للقرآن الكريم ، والدكتور شوقي ضيف في المدارس النحوية؛ لأنهم لم يكونوا دقيقين فيما نقلوه عن الفراء ، وما أبدوا من آراء تجاه ضمير الشأن ، وعد الفراء له عمادًا (معاني القرآن، الفراء، 194/1 . 195).

ومن المصطلحات التي تعددت وتداخلت مصطلح (ضمير الشأن) ، فهو ضمير يتقدم الجملة الفعلية أو الاسمية؛ ليمهد لها ويثير الشوق والتطلع إليها، وهو يتضمن معناها، ومدلوله مدلولها، وسمي ضمير الشأن؛ لأنه يرمز للشأن أي: للحال التي يراد الكلام عنها ويطلق الكوفيون مصطلح الضمير المجهول أو الاسم المجهول؛ لأنه لم يسبقه المرجع الذي يعود عليه، ويسميه بعض النحويين ضمير القصة؛ لأنه يشير إلى القصة ، ويسمى ضمير الأمر والحديث . وهذه المصطلحات تشير إلى مفهوم واحد، هو خبر أو حديث مستعظم يسأل عنه فتكون الإجابة عنه بضمير الشأن (شرح الكافية، الاستراباذي، 27/2) . ويذكر ابن مالك أن هذا المصطلح يستخدم ضمن شروط حددها النحويون منها :أن يليه مؤنث أو يشبه مؤنث بمذكر ، أو تكون علامة تأنيث في الذي يليه، فإذا تحققت هذه

الشروط فلا بد من تسميته ضمير القصة (شرح التسهيل، ابن مالك، 160/1) . واستخدم الكوفيون ضمير المجهول؛ للدلالة على المفهوم نفسه؛ لأن ذلك الشأن مجهول؛ لكونه مقدرًا إلى أن يفسر بجملة. واستخدم ابن السراج هذه المصطلحات (ضمير الشأن والأمر والقصة) وقال وهو المسمى بالمجهول (الأصول في النحو ، ابن السراج، 86/1).واستخدم الفارسي ضمير القصة والحديث في توجيه إعراب قوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (الإخلاص، الآية:38) قال: ومن ذهب إلى أن (هو) كناية عن القصة والحديث كان اسم الله عز وجل عنده مرتفعًا بالابتداء و(أحد) خبره (الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، 458/1) واستخدم ابن جني ضمير الشأن والحديث في توجيه إعراب قوله تعالى: (لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا) (الكهف، الآية:38) ، يقول: ألا تراه ضمير الشأن. وقولنا: الله ربي شأن، وحديث في المعنى ومن بربي قرأ:" لكن هو الله ربي و(هو) ضمير الشأن، والجملة بعده خبر عنه (المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ابن جني، 31/2) ويطلق الفراء مصطلح العماد على ضمير الشأن ، ففي قوله تعالى: (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ) (الحج، الآية:46) قال الفراء:" الهاء هاء عماد توفى بها إنّ (معاني القرآن، الفراء،288/2).

ومن المصطلحات التي تداخلت عند سيبويه ودلت على مفهومين مختلفين (اسم الفاعل) و(اسم المفعول)، فاستخدمهما سيبويه للدلالة على اسم كان وخبرها إضافة إلى دلالتهما الصرفية، فقد سمى اسم كان(اسم الفاعل) وخبرها(اسم المفعول)، ثم سمى الأول فاعلًا والثاني مفعولًا، وهذه المصطلحات مضطربة عنده فقد استعمل ما دل على الصيغة الصرفية (اسم الفاعل واسم المفعول) في مكان ما يدل على وظيفة (اسم كان وخبرها)، ثم استعمل ما دل على وظيفة الفاعل والمفعول في مكان اسم كان وخبرها ، يقول تحت باب(الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد):" وذلك قولك: كان ويكون

وصار، وما دام ، وليس وما كان نحوهن من الفعل مما لا يستغني عن الخبر، تقول: كان عبدالله أخاك، فإنما أردت أن تخبر عن الأخوة، وأدخلت كان لتجعل ذلك فيما مضى (سيبويه، الكتاب، 45/1) ، ويقول في موضع آخر :"وإذا كان معرفة فأنت بالخيار ، أيهما جعلته فاعلًا رفعته" (المصدر نفسه، 41/1) ، واستخدم المبرد المفعول للدلالة على خبر كان، واستعمل اسم كان وخبرها ، يقول:" فإن كان الاسم والخبر معرفتين، فأنت بالخيار، تقول : كان أخوك المنطلق، وكان أخاك المنطلق (المقتضب، المبرد، 87/4) ، واستخدم ابن السراج مصطلح اسم كان وخبرها كان ذلك المضمر اسم (كان) وكانت الجملة خبرها (الأصول في النحو، ابن السراج، 86/1) وقال الفارسي:" ويستقيم أن تقدم الخبر على الاسم فتقول: كان أخاك زيد ، وكان منطلقًا زيد" (المقتصد في شرح الإيضاح، الجرجاني، 405/1) ومن هنا نجد اضطرابًا في المصطلح عند سيبويه ، وضبط له بعد المبرد؛ لأن المبرد استخدم المصطلحين.

ومن المصطلحات التي تعددت وبالتالي تداخلت نتيجة اختلاف المدارس (الحشو، والزيادة، واللغو، والاعتراض) وما يرادفه(الالتفات، والاحتراز، والاحتراس، والتطويل، والتذييل) ،.ومن خلال تصفح بعض كتب اللغة وجدت تفاوتًا في استخدام هذه المصطلحات على النحو التالي:

استخدم الخليل مصطلح الحشو والزيادة (الجمل في النحو، الفراهيدي، ص263 ، 288، 316) .وكذلك استخدم سيبويه مصطلح الحشو واللغو والتوكيد والزيادة (الكتاب، سيبويه، 140/3 ، 211/4– 226) .وأطلق المبرد مصطلح الزيادة (المقتضب، المبرد، 183/1 ، 137/4) .وأضاف ابن جني مصطلح الاحتياط والتمكين (الخصائص، ابن جني، 103/3– 108).

وأمام هذا التذبذب في إطلاق هذه المصطلحات وجدت الخليل بن أحمد قد استخدم مصطلح (حشو) في الحديث عن بعض الآيات ،وذلك في تعليقه على

قوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً) (الأنبياء، الآية:48) .فذكر أن معناه: آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء. وبيَّن أنه" لا موضع للواو ههنا إلا أنها أدخلت حشوا" (الجمل في النحو، بن أحمد، ص288) . وذكر في موضع آخر أن "لا حشو مثل قول الله وعز: (مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ) (الأعراف، الآية:12) . فمعناه أن تسجد (الجمل في النحو، بن أحمد، ص301، 302). "ولا التي للصلة قوله تعالى: (فَلا أُقْسِمُ) (القيامة، الآية:1) معناه أقسم ولا صلة"(الجمل في النحو، بن أحمد ، ص302).

وكذلك نلاحظ أن سيبويه تابع الخليل في إطلاق هذه المصطلحات. فقد استخدم مصطلحات (حشو) و(زيادة) و(لغو) في الكتاب عند حديثه عن الحروف الزائدة؛ لأنه كان ينظر إلى تأثير هذه الحروف فيما بعدها (الكتاب، سيبويه، 111/3)، وذلك قوله في زيادة (إن):"وتكون لغوًا في قولك: ما إن يفعل" (المصدر نفسه، 220/4)، واللغو عنده ما لم يحدث إذا جاء شيئًا من العمل لم يكن قبل أن يجيء. ويقول في حديثه عن (ما) في قوله تعالى (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ) (النساء، الآية:155) وهي لغو في أنها لم تحدث إذا جاءت شيئًا لم يكن قبل أن تجيء من العمل، وهي توكيد للكلام" (الكتاب، سيبويه، 221/4) .وذكر الحشو في المقام نفسه بقوله:" لا يجوز لك أن تفصل بين الجار والمجرور بحشو (المصدر نفسه، 111/3).كما استخدم مصطلح(حشو) عند حديثه عن(لا)، وذلك قوله:" فمما فصل بينه وبين لا بحشو قوله تعالى(لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ) (الصافات، الآية:47 . ينظر: الكتاب، سيبويه، 299/2) فعد (فيها) حشوا فصل بين (لا) واسمها مع أن له موقعًا إعرابيًا وارتباطًا نحويًا ، وهذا لا يحسن إلا أن تعيد لا الثانية؛ لأنه جعل جوابًا ، ولم تجعل لا بمنزلة ليس؛ لوجود الفصل (الكتاب، سيبويه، 298/2 . 299).وتابع النحاة الخليل وسيبويه في إطلاقهم هذه المصطلحات الأمر الذي دفع ابن يعيش إلى إرجاع تعدد المصطلحات إلى

اختلاف المدارس، فالبصريون يعبرون بالزيادة واللغو؛ والكوفيون بالصلة والحشو. وذلك في قوله: "والصلة والحشو من عبارات الكوفيين، والزيادة والإلغاء من عبارات البصريين" (شرح المفصل، ابن يعيش، 128/8). مع أن الأمر على غير ما ذكر فهذه المصطلحات وجدت عند البصريين كما وجدت عند الكوفيين وليست خاصة بمدرسة دون أخرى. ويبدو أن هذه المصطلحات أكثر ما تطلق عند النحاة على زيادة الحروف، ويكون دخولها وخروجها سواء، لا تغير أصل المعنى بل تمنحه معنى إضافيًا أكده النحاة بقولهم تفيد التوكيد وبينه ابن جني بالإحاطة والتمكين.

ونجد الفراء يطلق مصطلح الصلة على الأحرف الزائدة في القرآن الكريم تأدبًا وتورعًا من أن يكون في القرآن الكريم زائدًا، فعندما أعرب قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّـهِ لِنتَ لَهُمْ) (آل عمران، الآية:159) قال وما صلة والدليل تخطي تأثير حرف الجر إلى الاسم الواقع بعدها وهو (رحمة بالجر)، وفي قوله تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ) (النساء، الآية:155) قال:" المعنى فبنقضهم" أي: أنه حذف "ما" في المعنى فهي حرف صلة (معاني القرآن، الفراء، 244/1) ، ويستمل مصطلح الصلة مع الحشو في سياق واحد، فعند حديثه عن الآية: (إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ) (البقرة، الآية: 271) يقول رفعت "هي" بـ"نعما" ولا تأنيث في "نعم" ولا تثنية إذا جعلت "ما" صلة لها فتصير "ما" مع "نعم" بمنزلة "ذا" من حبذا ولو جعلت "ما" على جهة الحشو كما تقول: عما قليل آتيك" (معاني القرآن ،الفراء، 57/1، 58). ويستخدم مصطلح اللغو للدلالة على الأحرف الزائدة ، لكنه لا يطلقها على الأحرف الزائدة في القرآن بل استخدمه للدلالة على الزائد في الشعر والكلام العادي يقول في تعليقه على اجتماع "ما" و "إن" في قول الشاعر:

مَا إنْ رَأَيْنَا مِثْلَهُنَّ لِمَعْشَرٍ ... سُودِ الرُّؤُوسِ، فَوَالِجٌ

"لاختلاف اللفظين يجعل أحدهما لغوًا " (المصدر نفسه، 176/1). ومن هنا نجد أنه استخدم (الصلة والحشو واللغو) للدلالة على الحرف الزائد. وحصل تداخل في

مصطلح الصلة عند الفراء مع مصطلح الصلة عند البصريين الذي هو صلة الموصول، ففي تعليقه على الآية: (مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ) (البقرة، الآية: 245) علل الرفع في قراءة (فيضاعفه له) قائلًا: "من رفع جعل الفاء منسوقة على صلة الذي، ومن نصب أخرجها من الصلة وجعلها جوابا لـ"من"؛ لأنها استفهام" (معاني القرآن، الفراء، 158/1) ، فهو هنا لا يقصد حرف صلة بل يقصد(يقرض) الذي وقع صلة الموصول، والتداخل في المصطلح هنا سبّبَ إرباكًا أوقع الأنصاري في لبس وذلك عندما يقول عن الصلة والحشو: "كلاهما يراد به ما يقع بعد الأسماء الموصولة ويسمى صلة الموصول" (أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ، الأنصاري ، ص441) .

المحور الثالث: تعدد المصطلح وتداخله نتيجة اختلاف العلوم:

يتعدد المصطلح ويتداخل نتيجة اختلاف العلوم، فمثلًا مصطلح الخبر له معنى عند البلاغيين يختلف عنه عند النحويين، وقد يتداخل معه وقد يخالفه، فهو عند النحويين "الجزء الذي حصلت به الفائدة مع المبتدأ غير الوصف المذكور"(أوضح المسالك، ابن هشام، 176/1) وعند البلاغيين هو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته، نحو قولنا: جاء زيد، فهذه الجملة أفادت نسبة المجيء إلى زيد والحكم به عليه، فإن وافق ذلك الواقع كان الخبر صادقًا ووصف الكلام بالصدق، وإن خالفه كان الكلام كاذبًا ووصف الكلام بالكذب(علم المعاني، عبدالفتاح، ص30)، ونجد أن الخبر عند الجرجاني نوعان: نوع يكون جزءًا من الجملة لا يتم المعنى إلا به، ونوع ليس بجزء من الجملة، وهو بهذا يتداخل مع مصطلح الخبر عند سيبويه (ينظر ص6 من البحث).

وهذا شأن مصطلح الحشو عند النحويين (ينظر ص14 من البحث) وعند البلاغيين تعدد وتداخلت دلالته . فتداخلت عدة مصطلحات عند البلاغيين مع مصطلح الحشو رأى مطلقوها أنها تشبه الحشو على النحو التالي:

1- تداخل مصطلح الحشو مع التتميم، فعندما علق ابن رشيق القيرواني على (ظالمين) في بيت ابن المعتز يصف خيلاً (ديوان ابن المعتز، ص364):

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِيْنَ سِيَاطَنَا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٌ وَأَرْجُلُ

قال: "إتيانه بهذه اللفظة التي هي حشو في ظاهر الأمر أفضل من تركها، وهذا شبيه بالتتميم" (العمدة، القيرواني، 114/2) . وأرى أن القول بالتتميم أولى من الحشو.

2- تداخل مصطلح الحشو مع الالتفات والاحتراس فعندما علق القيرواني على (إن بقيت) في قول الفرزدق: (ديوان الفرزدق، ص455)

سَتَأْتِيكَ مِنِّي - إِنْ بَقِيْتَ - قَصَائِدُ يُقصِّر عَنْ تَحْبِيرِهَا كُلُّ قَائِلِ

قال: "فقوله (إن بقيت) حشو في ظاهر لفظه، وقد أفاد به معنى زائداً، وهو شبيه بالالتفات من جهة، وبالاحتراس من جهة أخرى" (العمدة، القيرواني ، 114/2 . وعلم المعاني، فيود، 198/2).

3- داخل مصطلح الحشو مع التطويل: "وهو ألا يتعين الزائد في الكلام" ، فالزيادة إذا لم تحقق فائدة في الكلام تسمى تطويلاً أو حشواً وذلك إذا كانت غير متعينة، كالمترادفين: الكذب والمين، والنأي والبعد وأقوى وأقفر، ونوم ونعاس، وحظ ونصيب (الإيضاح في علم المعاني) . ومنه قول عنترة (ديوان عنترة، ص16):

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثَمِ

فأقوى وأقفر بمعنى واحد، ولا يتغير المعني بإسقاط أيهما، وأرى أنها جاءت لإكمال الوزن وتأكيد المعنى. ومنه قول الحطيئة (ديوان الحطيئة ، رواية وشرح ابن الساكت، ص10):

قَالَتْ أُمَامَةُ لا تَجْزَعْ فقلتُ لَهَا إِنَّ العَزَاءَ وإِنَّ الصَّبْرَ قَدْ غُلِبَا

والصبر والعزاء بمعنى واحد أيضاً. فنرى القزويني يفرق بينهما فتارة يوضح التطويل بقوله: "وهو ألا يتعين الزائد في الكلام، نحو قوله: وألفي قولها كذباً

ومينا"، وتارة يوضح الحشو بقوله: والحشو ما زائد، وهو ضربان: ما يفسد المعنى (الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص174)، وما لا يفسد المعنى، وذكر بعض الشواهد التي يتعين أنه ذكرت سابقًا.

4- تداخل مصطلح الحشو مع مصطلح الاعتراض عند بعض البلاغيين (ينظر: البديع، ابن المعتز، ص154. الصناعتين، العسكري، ص48، 394 . العمدة، القيرواني، 71/2، 113 . الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص174، 197) وذكر ذلك العلوي في الطراز قائلاً: "وبعضهم يسميه الحشو؛ وحده كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو أسقط لبقي الكلام على حاله في الإفادة" (كتاب الطراز، العلوي، ص283) .

الاعتراض مصطلح من المصطلحات التي اشتغل بها البلاغيون، وبينوا مواضعه ودلالاته إلا أن هذا المصطلح كان مضطرباً عندهم خلاف النحويين الذين كان عندهم مستقرًا (البديع، ابن المعتز، ص154. وينظر: كتاب الصناعتين، ص392) فنجده يتكرر بتسميات مختلفة: الالتفات، والاستدراك، والتتميم، والتمام، والتكميل، والحشو، ومعظمها من اصطلاحات البيانيين فلهم اصطلاحات مخالفة لاصطلاح النحويين (الخصائص، ابن جني، 335/1 . وينظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الرازي، ص287 . مغني اللبيب، ابن هشام، 259، الالتفات في البلاغة العربية، طبل، ص20).

أ) فتداخل مصطلح الالتفات مع الاعتراض: فمصطلح الالتفات عند ابن المعتز وقدامة بن جعفر والعسكري ومن تبعهم (ينظر: البديع، ابن المعتز، ص152. 154 . نقد الشعر، بن جعفر، ص146 . الصناعتين، العسكري، ص392 . المثل السائر، ابن الأثير، 4/2) غير ابن رشيق ثابت واضح الدلالة إلى جانب مصطلح الاعتراض. في حين نجد ابن رشيق جعل مصطلح الاعتراض وأمثلته تحت الالتفات (العمدة، ابن رشيق، 71/2) . ولا غرو أن يحصل هذا الخلط لقوة

التماثل والملاءمة في الدلالة لهذين المصطلحين؛ مع أن أبا القاسم السلجماسي (المنزع البديع في تحسين أساليب البديع، السلجماسي، ص442 . وينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة العربية، طبل، ص22) انتقد هذا الخلط في دلالة مصطلحي الاعتراض والالتفات، واعترض على من جعل مصطلح الالتفات مشتركًا مع الاعتراض، ويرى أنه غلط عدهما نوعاً واحداً غير متباين، ومن أمثلة ابن رشيق التي أوردها تحت باب الالتفات قول كثير عزة (ديوان كثير، عزة، ص507. وينظر: الصناعتين، العسكري، ص48):

لو أنَّ الباخلينَ – وأنتِ منهمْ – رَأوكِ تعلَّمُوا مِنْكِ المِطالاَ

على أنه التفات مع أنه اعتراض بين اسم (أن وخبرها) وهو قوله (وأنت منهم) فهو اعتراض كلام في كلام. وبين أن ابن المعتز ذكر ذلك وجعله بابًا على حدته بعد الالتفات وسائر الناس يجمع بينهما (العمدة، ابن رشيق، 71/2 . وينظر: البديع، ابن المعتز، ص154) . ومنه قول عوف بن محلم (المصدر نفسه، 72/2):

إنَّ الثَّمانينَ – وبُلِّغْتَها – قدْ أَحْوَجَتْ سَمْعي إلى تَرْجُمانْ

"فقوله (وبلغتها) التفات ، وقد عده جماعة من الناس تتميمًا، والالتفات أشكل وأولى بمعناه" (المصدر نفسه، 72/2). مع أن هذه الشواهد جميعًا ترد تحت باب الاعتراض عند ابن المعتز(البديع، ابن المعتز، ص154)، والعسكري(الصناعتين، العسكري، ص394) ، ومن تبعهم. وكأن ابن رشيق عندما يعد الاعتراض جزءًا من الالتفات بمعناه الواسع يلتفت فيه إلى الجانب المعنوي قبل الجانب التركيبي، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن الاعتراض باب من أبواب شجاعة العربية (جوهر الكنز، الحلبي، ص130 . نقلًا عن: جماليات اللغة، إسماعيل، ص881).

ب) وتداخل مصطلح الاعتراض مع التتميم: فهناك شواهد تدرج تحت باب التتميم في حين هي من الاعتراض، فكل شاهد وقع فيه الاعتراض، أو ما يسمى بالتتميم

بين متلازمين، يطلب كل منهما الآخر، ويمكن أن يستغنى عنه فهو اعتراض. فلا يمكن أن نقول إن على حبه في قوله تعالى: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً) (الإنسان، الآية:8) . اعتراض؛ لأن التركيب يطلبه ولا يستغنى عنه. في حين نقول إن (يا جنتي) في قول المتنبي (ديوان المتنبي، 57/1):

وَخُفُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتِ لَهِيبَهُ يَا جَنَّتِي -لَرَأَيْتِ فِيهِ جَهَنَّما

اعتراض؛ لأنه وقع بين فعل الشرط وجوابه، ويمكن أن يستغنى التركيب عنه نحويًا. ولكن له دلالة ومعنى، فهو ضروري لإقامة الوزن، وفي الوقت نفسه أفاد تتميم المطابقة بين (الجنة، وجنهم) (الطراز، العلوى، ص450).

ج) وتداخل مصطلح الاعتراض مع الاحتراس، ولم يرد (الاحتراس) على أنه باب مستقل عند المتقدمين من البلاغيين (ينظر: الصناعتين، العسكري، ص389 . العمدة، ابن رشيق، 81/2، 113، 116) ، بل كانوا يعدونه معنى من معاني التتميم، في حين ورد على أنه باب مستقل عند القزويني (الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص195)، ومن أمثلة وقوع الاحتراس بين متلازمين ويشارك حينها الاعتراض قول طرفة بن العبد (ديوان طرفة بن العبد، ص88 . وينظر: الصناعتين، العسكري، ص390، والعمدة، ابن رشيق، 81/2 ، والإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص195 ، وعلم المعاني، عبدالفتاح، 210/2):

فَسَقى دِيَارَكَ – غَيْرَ مُفْسِدِها – صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي

فقوله (غير مفسدها) احتراس عن المطر المسترسل الذي يسبب الخراب والدمار، وقع بين متلازمين. ويسمى التكميل بالاحتراس عند القزويني (الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص195) ، وهو اعتراض توسط بين متلازمين. ومنه قول عبد الله بن المعتز في وصف الخيل: (ديوان ابن المعتز، ص364)

صبَبْنَا عَلَيْهَا – ظَالِمِينَ – سِيَاطَنَا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٌ وَأَرْجُلُ

فقوله (ظالمين) احتراس بين الفاعل ومفعوله، دفع له ما قد يتوهم من أنّها بطيئة في المشي، ثقيلة في السير. وقد مر في باب الحشو (العمدة، القيرواني ، 113/42، 114)، وقال عنه ابن رشيق إنه يشبه التتميم.

د) وتداخل مصطلح الاعتراض مع التكميل: فالتكميل أو الإكمال هو التتميم عند العسكري (الصناعتين، العسكري، ص389).

هـ) وتداخل مصطلح الاعتراض مع التذييل: فقد يشمل الاعتراض بعض صور التذييل(الطراز ، العلوى، ص453) أي ما يكون بجملة لا محل لها من الإعراب، وقعت بين جملتين متصلتين معنى ، نحو:" فلان ينصر الحق – إن الحق منصور – ويخذل الباطل."

وبعد هذا العرض نخلص إلى أن هذه المصطلحات متداخلة؛ لأن الدلالة المعنوية بينها متقاربة إلى درجة كبيرة. فنجد أنه استخدم مصطلح التتميم بمعنى التكميل، والتذييل بمعنى التتميم، والتكميل بمعنى الاحتراس، ونتج عن هذا التداخل ورود بعض الشواهد في أكثر من باب، ففي الوقت الذي يطلق على شاهد ما اعتراض يطلق عليه تتميم، وهكذا، فإن الاعتراض ما وقع بين متلازمين ليس له ارتباط نحوي، أما إذا وقع بفضلة فليس اعتراضًا؛ "لأن الفضلة لابد لها من إعراب". وعليه فإن هناك اتصالًا وثيقًا بين الاعتراض والحشو. فكلما دخل التركيب بين متلازمين مع إمكانية الاستغناء عنه، دون أن يحدث خللًا في التركيب يعد اعتراضًا(حشوا)، من غير أن نغفل الجانب المعنوي له .

وعليه فإن هذا البحث لم يجمع كل المصطلحات التي تعددت وتداخلت بل اكتفى بإلقاء الضوء على مسألة تعدد المصطلح وتداخله التي يعج بها التراث اللغوي، ولا بد من باحثين كثر يضيفون إلى هذا الجهد المتواضع ما ينير جنبات كثيرة تناولتها بإجمال، ويوسع ما ورد في هذا البحث منها بإيجاز.

والحمد لله رب العالمين

الخاتمة

يبدو أن مسألة المصطلح وتداخله في الدرس اللغوي متنوعة ، مما أدى بالضرورة إلى اضطراب المصطلحات من حيث الدلالة والمفهوم؛ الأمر الذي نتج عنه غيابً المفهوم الدقيق، وظهر بدله المفهوم الأقرب إلى الدلالة اللغوية التي بقيت – في غالب الأحيان – متمايزة بتمايز نظرة أصحابها واتجاهاتهم، وقد أدّى هذا الثراء اللغوي والاختلاف المذهبي إلى تسرّب وجود المترادفات الكثيرة الدالة على مفهوم واحد . أي (الاختلاف في المسمّيات والاتفاق في المفهوم الواحد).

ومن هذا الطرح نخلص إلى أن مقاربة إشكالية المصطلح في الدرس اللّغوي كشفت عن مجموع من الملاحظات منها:

1. فشل الدرس اللّغوي القديم والحديث في انتاج مصطلح لغوي موحّد كثير الذيوع والانتشار.
2. تعدد المصطلح وتداخله يؤدى – حتمًا – إلى عدم التمكن من الاستعمال السليم والصحيح للمفهوم وضبطه.
3. من الملاحظ أيضًا أن الدراسات اللغوية في ظل الثقافة العربية مازالت تبحث عن استقرار منظومة اصطلاحية تفي بحاجات الدارسين والمنشغلين، وتوفر لهم لغة التواصل الخاصة، وهذا لن يتأتى إلا بإنشاء منظمة مختصة تسهر على التنسيق في مجال المصطلح، وتوفر لها الأدوات الضرورية للاجتهاد والإنتاج.

ثبت بالمصادر والمراجع

1. القرآن الكريم (حفص عن عاصم) .
2. ابن الأثير(ضياء الدين)، المثل السائر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ،د.ط، 1939م.

3. ابـن السـراج ، الأصـول فـي النحـو ، تحقيـق عبـد الحسـين الفتلـي ، مؤسسـة الرسالة، ط1، 1985.
4. ابن العبد (طرفة) ،الديوان ، دار صادر بيروت، 1961م.
5. ابن المعتز ،الديوان، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت ، د.ط ،د.ت.
6. ابـن المعتز، البـديع، تحقيـق محمـد عبـد المـنعم خفـاجي، دار الجيـل، بيـروت، ط1، 1990م.
7. ابـن جنـي (أبـوالفتح عثمـان) ، المحتسـب فـي تبيـين وجـوه شـواذ القـراءات والإيضاح عنها ، لجنة إحياء كتب السنة ، القاهرة ، ط2 ، 1994م.
8. ابن جني (أبوالفتح عثمان) كتاب الخصائص ، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ط4 ، 2006.
9. ابن خالويه (الحسين بن أحمد) ، الحجة في القراءات السبع ، دار الشروق ، بيروت ، ط، 2000م.
10. ابن مالك ، شرح التسهيل ، تحقيق محمد عطا ، دار لكتب العلمية ، بيروت ، د.ط، 2001م.
11. ابن هشام ، أوضح المسالك ، المكتبة العصرية ، بيروت، د.ط، 2003م.
12. ابن يعيش، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر د.ط، د.ت.
13. أبو العزم(سعيد)، المصطلحات النحوية نشأتها وتطورها" رسالة ماجستير ، كلية دار العلوم ، القاهرة، 1977م.
14. أبو شهاب (حمدة عبدالله) ، منهج تقرير مسائل من النحو ، رسالة دكتوراه ، جامعة اليرموك ، كلية الآداب، الأردن ، 2004م.
15. الاسـترابـاذي(رضـي الدين)،شـرح الكافيـة، دار الكتـب العلميـة ، بيـروت ، د.ط، د.ت.
16. إسـماعيل(عـز الـدين)، جماليـات اللغـة، مـن كتـاب(قراءة جديـدة لتراثنـا النقدي)، النادي الأدبي الثقافي، جدة، أبوللو للنشر، القاهرة ، د.ط،د.ت.

17. الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 1987م.
18. الأنصاري (أحمد مكي)، أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ، د.ن، القاهرة، د.ط، 1964م.
19. أنيس (إبراهيم) ، من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، ط6 ، 1987م.
20. بابعير (عبدالله صالح) ، ظاهرة الاستغناء في النحو العربي ، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك ، كلية الآداب ، الأردن ، 1993م.
21. ترزي (فؤاد حنا) ، الاشتقاق ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط1 ، 2005م.
22. التهانوي (محمد علي) ، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، مكتبة لبنان ، لبنان ، ط1 ، 1996م.
23. ثعلب (أحمد بن يحي) ، مجالس ثعلب ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، 1960م.
24. الجرجاني (عبدالقاهر) ، المقتصد في شرح الإيضاح ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، ط1 ، 2008م.
25. الحُطيئة (أبومليكة) ، ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1993 – 1413م .
26. الحلبي (نجم الدين بن الأثير)، جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذي اليراعة ، شركة الإسكندرية للطباعة والنشر ، مصر ، 2009م.
27. الحمد (علي توفيق) ، في المصطلح العربي شروطه وتوحيده ، مجلة جامعة الخليل للبحوث ، فلسطين ، 2005م.
28. ديره (المختار أحمد) ، دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1 ، 1991م.

29. السلجماسي (أبو القاسم)، المنزع البديع في تحسين أساليب البديع، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط ، د.ط، 1981م.
30. سيبويه ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1 ، د.ت.
31. السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، د. ت.
32. الصالح(صبحي)، دراسات في فقه اللغة ، دار العلم للملايين ، بيروت، ط7، 1978م.
33. ضيف (أحمد شوقي) ، المدارس النحوية ، دار المعارف ، مصر ، ط7 ، 2019م.
34. طبل(حسن)، أسلوب الالتفات في البلاغة العربية، دار الفكر العربي ،القاهرة، ط1، 1998م.
35. عبد العال سالم مكرم ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، دار البحوث العلمية ، بيروت، د.ط، د.ت.
36. عزة (كثير)، الديوان، جمعه إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت،د.ط، 1971م.
37. العسكري، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي وزميله، المكتبة العصرية، بيروت ، د.ط، 1998م.
38. العلوي (يحيى بن حمزة)، كتاب الطراز، مراجعة وضبط محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م.
39. عنترة ،الديوان ، دار صادر، بيروت، ط1، 1992.
40. الفراء ، معاني القرآن ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد النجار،دار السرور، بيروت، د.ط ، د.ت.

41. الفراهيدي(لخليل بن أحمد)، الجمل في النحو، تحقيق فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م.
42. الفرزدق، الديوان ، شرحه علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م.
43. فيود(بسيوني عبد الفتاح)، علم المعاني، مؤسسة المختار، القاهرة ودار المعالم الثقافية، السعودية، ط1، 1998م.
44. القزويني ،الإيضاح في علم البلاغة، ا، تحقيق عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار، القاهرة، ط 1 ، 1999م.
45. القوزي (عوض)، المصطلح النحوي ، جامعة الرياض ، الرياض(المملكة العربية السعودية) ط 1 ، 1981م .
46. القيرواني(ابن رشيق)،العمدة في محاسن الشعر، ، تقديم صلاح الدين الهواري، دار مكتبة دار الهلال ، بيروت، ط1، 1996م.
47. مازن المبارك، مغني اللبيب، دار الفكر، بيروت، ط6 ، 1985م.
48. المالقي ، رصف المباني ، ، تحقيق أحمد الخراط، دار القلم ، دمشق، ط2 ، 1985م.
49. المبرد ، المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة أحياء التراث الإسلامي القاهرة ، ط3 ، 1994م.
50. المتنبي، الديوان ،مصطفى سبتي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1 ، 1986م.
51. المغربي (عبد القادر) ،الاشتقاق والتعريب ، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ، د.ط، 1947م.
52. ويس (أحمد محمد)، الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية، كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة ، الرياض ، ط1 ، 2003م.

مدى الالتزام بإجراءات المحاسبة البيئية ودوره في تحسين جودة المعلومات المحاسبية لأغراض تحقق متطلبات التنمية المستدامة "دراسة ميدانية"

د. عائشة محمد العربي
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية- جامعة مصراتة

د. علي عبد السلام الشريف
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية- جامعة مصراتة

أ. أسماء سليمان النعاس
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية- جامعة مصراتة

المستخلص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مفهوم التنمية المستدامة ومتطلباتها، ودور المحاسبة البيئية على تحقيق هذه المتطلبات، والتعرف على الالتزامات البيئية للشركات الصناعية وأثرها على تحقق جودة المعلومات المحاسبية وكيفية معالجة التكاليف البيئية في سجلاتها، وفي سبيل تحقيق أهداف البحث تم صياغة الفرضية الأساسية والتي مفادها أن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين الإلتزام بتطبيق إجراءات المحاسبة البيئية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية. وتم الاعتماد في جمع البيانات المتعلقة بالدراسة على قائمة الإستقصاء والتي تم توزيعها على المحاسبين والعاملين بالإدارات والأقسام المالية بالشركة الليبية للحديد والصلب، وقد توصلت الدراسة من خلال ذلك إلى عدة نتائج أهمها أنه توجد علاقة بين الإلتزامات البيئية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية من، وأيضاً توجد علاقة بين التكاليف والمنافع البيئية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية لإغراض تحقق التنمية المستدامة. هذا وقد أوصت الدراسة على ضرورة قيام معدي التقارير والقوائم المالية في الشركة محل الدراسة الالتزام بالخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية، لما تحققه من توفير معلومات كافية في ضوء متطلبات التنمية المستدامة وأبعادها البيئية والاقتصادية والاجتماعية، والعمل على وضع التشريعات والأنظمة والقوانين التي تلزم كافة الشركات الصناعية الليبية لاتخاذ الإجراءات اللازمة للحد من ظاهرة التلوث الناتجة عن ممارستها لأنشطتها، فضلا عن إصدار معيار محاسبي بيئي يهتم بالتنمية المستدامة.

كلمات مفتاحية: المحاسبة البيئية – جودة المعلومات المحاسبية – التكاليف البيئية – الإلتزامات البيئية– التنمية المستدامة.

المقدمة:

إن التسارع في التغيرات الاقتصادية واختلال موازين القوى العالمية حتم على معظم دول العالم التوجه نحو الحفاظ على البيئة وذلك في إطار التنمية المستدامة.

حيث يعتبر تحقيق التنمية المستدامة أحد أهم أهداف الدول من أجل الحفاظ على الموارد الطبيعية وتخفيض تكاليف المنتجات والحفاظ على البيئة من الأثار الضارة للنشاطات الصناعية، ومع تنامي الهيئات والمنظمات الداعية لحماية البيئة استحدثت العديد من القوانين والتشريعات في هذا الشأن ، حيث أنه لا يمكن حماية البيئة وتنميتها بدون تكاليف وإلتزامات وهنا ظهر دور المحاسبة في حل القضايا والمشاكل البيئية، فمواكبة علم المحاسبة للتطورات المجتمعية الحاصلة في العالم أدى إلى ظهور المحاسبة البيئية حيث برزت كأداة رقابية للنشاطات البيئية في المنشأت الصناعية من أجل الحد من الإنتهاكات البيئية وتقليل الإنبعثات الضارة وتخفيض تكاليف تصنيع المنتجات على المدى الطويل .

وتقوم منظمات حماية البيئة في الدول المختلفة بتحميل الشركات الصناعية بتكاليف حماية البيئة، فلم تعد مسؤولية الشركات الصناعية مسؤولية اقتصادية فقط بل أصبحت مسؤولية اقتصادية بيئية ،فقد تم وضع إطار علمي لمفهوم البيئة والتلوث البيئي وطبيعة التكاليف البيئية والتعرف على أسس القياس والتحليل للتكاليف البيئية وبيان دورها في تحسين جودة المعلومات المحاسبية، وذلك بعد أن كانت أغلب الشركات تواجه مشاكل بقياس وتحليل التكاليف البيئية والإفصاح عنها ضمن القوائم المالية ، حيث كانت المحاسبة التقليدية تخفي التكاليف البيئية ضمن عناصر التكاليف غير المباشرة مما ينتج عنها معلومات غير دقيقة واتخاذ قرارات خاطئة.

وعليه يتناول البحث مدى الإلتزام بإجراءات المحاسبة البيئية (إلتزامات، تكاليف، منافع) ودوره في تحسين جودة المعلومات المحاسبية لاغراض تحقق المتطلبات (الاجتماعية، البيئية، الاقتصادية) للتنمية المستدامة للمنشأت الصناعية.

1- الدراسات السابقة: يستعرض الباحثين بعض الدراسات السابقة التي لها علاقة بالدراسة وبصورة موجزة على النحو التالي:

1-1 دراسة (الجازوي، البرعصي ،2018): هدفت الدراسة إلى معرفة واقع تطبيق المحاسبة عن الأثار البيئية والإفصاح البيئي في الشركات الصناعية الليبية وعلاقتها بتحقيق التنمية المستدامة. ولتحقيق هدف الدراسة تم الإعتماد على مسح ومراجعة أدبيات الدراسة في البيئة المحلية. توصلت الدراسة إلى نتيجة مفادها غياب تطبيق المحاسبة البيئية في الشركات الصناعية الليبية الأمر الذي كان له أثر ه في عدم الوصول إلى الأداء البيئي المنشود في البيئة الليبية. أوصت الدراسة بضرورة إلزام الشركات الصناعية الليبية بتطبيق المحاسبة البيئية والإفصاح عن أداءها البيئي.

1-2 دراسة (الفاخري ، الوريدي ، 2017): هدفت الدراسة إلى معرفة مدى مساهمة تطبيق المحاسبية البيئية بالشركات النفطية في تحقيق التنمية المستدامة. ولتحقيق هدف الدراسة تم استخدام المنهج الاستنباطي الاستقرائي، ولتغطية الجانب العملي تم تصميم صحيفة الاستبانة لتجميع البيانات اللازمة لاختبار الفرضيات المصاغة، ولقد تم توزيعها على الموظفين في القسم المالي وقسم المراجعة بالشركات محل الدراسة. وتوصلت الدراسة عند اختبار فرضية الدراسة إلى عدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية حول مدى مساهمة المحاسبة البيئية في تحقيق التنمية المستدامة في الشركات النفطية محل الدراسة. وأوصت

الدراسة أيضاً بضرورة الاهتمام بالمحاسبة البيئية كوسيلة لتحقيق التنمية المستدامة في الشركات الليبية النفطية.

1-3 دراسة (خزام ، 2016): هدفت الدراسة معرفة مفهوم وطبيعة التكاليف البيئية وتحديد أهم الأثار البيئية الضارة المترتبة عن الشركات الصناعية وتحديد أهم المناهج والمداخل للقياس والإفصاح عن هذه التكاليف. ولتحقيق هدف الدراسة تم صياغة فرضية مفادها أنه لا يؤدي الإفصاح عن التكاليف البيئية إلي تحسين جودة المعلومات المحاسبية المقدمة، أما الدراسة الميدانية فقد اعتمدت على جمع البيانات المتعلقة بالدراسة من خلال استقصاء تم توزيعها على المحاسبية والعملين بالأقسام والإدارات المالية بالشركات الصناعية والنفطية العاملة في المنطقة الغربية من ليبيا. وتوصلت الدراسة أن هذه المنظمات تقوم بالحد الأدنى للمحافظة على البيئة وتقوم بالإنفاق على العديد من الأنشطة البيئية وتدرج ضمن إجمالي التكاليف الإضافية غير المباشرة ولا يتم الإفصاح عنها بشكل صريح كتكاليف مرتبطة بحماية البيئية ولا تفصح عن الأضرار البيئية التي تسببها ضمن قوائمها المالية وملحقاتها.

1-4 دراسة (لومايزية ، 2020): هدفت الدراسة إلى معرفة مدى مساهمة المحاسبة البيئية في تحقيق التنمية المستدامة في الجزائر. وتوصلت الدراسة إلى أن المحاسبة البيئية تعتبر مصطلح نسبيا ظهر مع زيادة الاهتمام بقضايا محافظة البيئة وحمايتها واستحداث التشريعات والقوانين الخاصة بها وتعد الجزائر من أهم الدول التي تسعى من خلال سياستها إلى المحافظة على البيئة وقد تجسد اهتمامها لمشاركة في العديد من البرامج سواء كان على المستوى العربي الأفريقي الدولي، فالبعد البيئي للتنمية المستدامة يحتم على المؤسسات الصناعية مسايرة المستجدات في هذا الشأن،لا سيما فيما يخص التكاليف البيئية الأمر الذي يؤدي إلى إستخدام العادل للموارد.

1-5 دراسة (شيخ، عوادي، عوادي، 2019): هدفت الدراسة إلى إبراز دور محاسبة التكاليف البيئية في تحسين المعلومات المحاسبية باعتبار ان محاسبة التكاليف البيئية تعتبر أداء تمد المستفيدين ومتخذي القرارات بالمعلومات المحاسبية حول التكاليف المتعلقة بالنواحي البيئية لإعطاء صورة كاملة عن أداء المؤسسة. ولقد تم إجراء دراسة ميدانية بمؤسسة نفطال بسكرة، حيث تم الاعتماد على المنهج الوصفي لاختبار الفرضيات. وتوصلت الدراسة عدم وجود تطبيق فعلي للمحاسبة البيئية في المؤسسة محل الدراسة بالرغم أنها تتبع القوانين والتشريعات في قياس تكاليفها البيئية.

"**تتميز الدراسة الحالية في أنها تربط بين المحاسبة البيئية في تحسين جودة المعلومات المحاسبية وتحقيق التنمية المستدامة لأكبر شركة صناعية في ليبيا والتي لها أثار بيئية كبيرة**".

2- مشكلة الدراسة: لخصت الدراسات السابقة نتيجة مفادها غياب تطبيق اجراءات المحاسبة البيئية في الشركات الصناعية الليبية، مما نتج عنه عدم الافصاح عن التكاليف/الأضرار البيئية بقوائمها المالية.

إن حصر جميع تكاليف المنشأة في حساب التكاليف التقليدية دون الأخذ في الإعتبار التكاليف البيئية، يؤدي إلى إضعاف الثقة في جودة المعلومات المحاسبية المقدمة وذلك لإهمالها جانب كبير من المعلومات البيئية التي تؤثر بشكل جوهري في عملية اتخاذ القرارات التشغيلية والاستثمارية من قبل مستخدمي هذه المعلومات.

كما توصلت احدى الدراسات الى نتيجة مفادها: عدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية حول مدى مساهمة المحاسبة البيئية في تحقيق التنمية المستدامة في الشركات النفطية الليبية.

ان إبراز دور المحاسبة البيئية في تحسين جودة المعلومات المحاسبية، يعتبر أداة مهمة تمد متخذي القرارات بالمعلومات المحاسبية حول التكاليف المتعلقة بالنواحي البيئية، لم يأخذ اهتمام الكثر من البحاث والمؤلفين.

وعليه فإن عدم تطبيق إجراءات المحاسبة البيئية؛ سوف يكون له مردود سلبي على جودة المعلومات المحاسبية للمنشأة؛ وبالتالي على التنمية المستدامة للدولة، وهذه تمثل مشكلة الدراسة والتي يمكن صياغتها في التساؤل الرئيسي التالي:

هل لتطبيق إجراءات المحاسبة البيئية دور في تحسين جودة المعلومات المحاسبية وتحقق متطلبات التنمية المستدامة للمنشأة ؟

ويمكن تجزئة التساؤل الرئيسي إلى الأسئلة الفرعية التالية:

- هل هناك علاقة بين الإلتزامات البيئية للمنشأت الصناعية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية؟
- هل هناك علاقة بين إدراج التكاليف البيئية في التقارير المالية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية؟
- هل هناك علاقة بين المنافع البيئية وتحقق متطلبات التنمية المستدامة؟

3- أهمية الدراسة :

1. تضيف هذه الدراسة المعرفة بالإلتزامات والتكاليف والمنفعة البيئية التي تنجم عن ممارسة المنشأة لأعمالها ودور المحاسبة في ظلها.
2. تنمي الوعي البيئي لكافة شرائح المجتمع في التعرف على أداء تلك المنشأت تجاه مسؤولياتها البيئية.
3. تساعد المنشأت نحو الإيفاء بمسؤوليتها البيئية.
4. تمثل إضافة للمعرفة والفكر المحاسبي في ليبيا ضمن مجال المحاسبة البيئية.

4- أهداف الدراسة: يتمثل الهدف الرئيسي للدراسة في دراسة مدى الالتزام بتطبيق إجراءات المحاسبة البيئية ودوره في تحسين جودة المعلومات المحاسبية لإغراض تحقق متطلبات التنمية المستدامة للشركات الصناعية. ويمكن ترجمة الهدف الرئيسي إلى الأهداف الفرعية التالية:

1. العلاقة بين الإلتزامات البيئية للمنشأت الصناعية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية.
2. العلاقة بين إدراج التكاليف البيئية في التقارير المالية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية.
3. العلاقة بين المنافع البيئية وتحقق متطلبات التنمية المستدامة.

5- فرضيات الدراسة: في ضوء مشكلة الدراسة وأهدافها، تسعى الدراسة إلى التحقق من صحة الفرض الرئيسي التالي:

الفرضية الرئيسية: "هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين الإلتزام بتطبيق إجراءات المحاسبة البيئية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية".

وتنقسم هذه الفرضية إلى الفروض الفرعية التالية:

الفرضية الأولى: هناك علاقة ذات دلالة معنوية بين الإلتزمات البيئية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية".

الفرضية الثانية: "هناك علاقة ذات دلالة معنوية بين إدراج التكاليف البيئية بالتقارير المالية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية".

الفرضية الثالثة: " هناك علاقة ذات دلالة معنوية بين تحقق المنافع البيئية للشركات الصناعية وبين تحقق متطلبات التنمية المستدامة".

6- منهجية الدراسة: ستعتمد الدراسة على كل من المنهج الاستقرائي والاستنباطي، حيث يعتمد المنهج الخليط بين الاستقرائي والاستنباطي على هدف

استقراء واستنباط بعض الكتابات والدراسات السابقة التي يتضمنها الفكر المحاسبي المتعلق بالموضوع وكيفية الاستفادة منها فى معالجة مشكلة الدراسة.

7- مجتمع وعينة الدراسة: يتمثل مجتمع وعينة الدراسة في كافة المحاسبين العاملين في الإدارات المالية والأقسام المحاسبية التابعة للشركة الليبية للحديد والصلب، وسيتم الاعتماد في أسلوب جمع البيانات على الاستبيان، حيث سيتم تصميمها بشكل يخدم أهداف البحث ويتم توزيعها على مفردات العينة لهذه الشركة.

8- حدود الدراسة:

8-1 النطاق المكاني: تقتصر الدراسة الميدانية على شركة صناعية (الحديد والصلب) في مدينة مصراتة ليبيا، وذلك لأن مشكلة التلوث البيئي أكثر انتشار وظهورا في هذا القطاع الصناعي.

8-2 الحدود الزمنية: وهي الفترة المنقضية بدءا من تصميم قائمة الإستبيان وحتى جمعها وإدخالها على الحاسب وهي الفترة من 10-4-2021 إلى 25-5-2021 .

8-3 الحدود الفنية:

- **الحدود الفنية المتعلقة بمتطلبات التنمية المستدامة** تم تركيز من خلال الدراسة موضوع البحث على البعد البيئي من أبعاد تحقق متطلبات ومؤشرات التنمية المستدامة.
- **الحدود الفنية المتعلقة بتحسين جودة المعلومات المحاسبية** تم من خلال الدراسة موضوع البحث الإفصاح على الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية لأغراض تحسين جودة المعلومات المحاسبية.

9- الدراسة النظرية:

9-1 ماهية التنمية المستدامة:

في عام 1978 أنشئت في الأمم المتحدة لجنة عالمية اختصت بدراسة البيئة والتنمية وعرفت "لجنة" التنمية المستدامة" كما وردت في تقرير "مستقبلنا المشترك" هي التنمية التي تلبي حاجات الجيل الحاضر من دون المساومه على قدرة الأجيال المقبلة في تلبية حاجاتهم (اللجنة العالمية والبيئية 1989). والتنمية المستدامة هي التي تحقق التوازن بين التفاعلات لمنظومات البيئة الثلاث (المحيط الجوي، والمحيط الاجتماعي، والمحيط الصناعي) وتحافظ على سلامة النظم البيئية وحسن أدائها، وهي مجموعة السياسات المتخذة لنقل المجتمع إلى وضع أفضل باستخدام تكنولوجيا مناسبة للبيئة أيضا، ولتحقيق التوازن بين بناء الطبيعة وهدم الإنسان لها. وفي مؤتمر قمة الأرض الذي عقد عام 1992 عرفت منظمة اليونسكو التنمية المستدامة بحسب أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والمؤسساتية والثقافية (العامري، الرشم، 2020، ص8).

تزخر الأدبيات العلمية بتعريفات كثيرة جدا لتنمية المستدامة لعدد من العلماء والباحثين، يعرف (البريدي، 2015، ص53) تعريف شامل لتنمية المستدامة: كل ما يؤدي على ترقية عادلة متواصلة للحياة البشرية حاضرا ومستقبلا ضمن غطاء حضاري إستراتيجي تعاقدي يصون وينمي البيئة والموارد.

9-2 متطلبات أو أبعاد التنمية المستدامة:

تقوم التنمية المستدامة على ثلاث أبعاد وهي البعد البيئي والبعد الاقتصادي والبعد الاجتماعي، يمكن شرح الأبعاد الثلاثة في(عبداللطيف، حميد، 2018، ص112-113):

- **البعد البيئي:** يتمثل في استغلال الأمثل للموارد الطبيعية والحفاظ عليها والتنبؤ بها، حيث يتمحور هذا البعد حول الطاقة، القدرة على التكيف والإنتاجية البيولوجية
- **البعد الاقتصادي:** يتمحور حول الانعكاسات الاقتصادية علي البيئة وتتعلق عناصره بالنمو الاقتصادي المستديم، العدالة الاقتصادية وإشباع الحاجات الأساسية.
- **البعد الاجتماعي:** يتمحور حول البعد الإنساني، إذ يجعل من النمو وسيلة للإلتحام الاجتماعي وضرورة اختيار العدالة بين الأجيال، وتتعلق عناصره في المساواة في التوزيع، المشاركة الشعبية، التنوع الثقافي والانصاف والعدل في اختيارات النمو.

مما يتضح من عرض لأبعاد التنمية المستدامة (الجازوي، البرعصي، 2018، ص4): أن البعد البيئي فيها في الأساس، وأن البعدي الاجتماعي والاقتصادي يرتبطان بشكل مباشر بالمحافظة على البيئة وتحسينها، بمعنى أن حماية البيئة وحماية مواردها من الاستنزاف يحقق التنمية المستدامة إلى حد بعيد.

3-9 علاقة المحاسبة بالتنمية المستدامة:

إن العلاقة ما بين التلوث البيئي والمحاسبة تتمثل في دور النظام المحاسبي في توفير المعلومات اللازمة لاتخاذ القرارات وتقييم الأداء، إن الهدف الأساسي من محاولة إخضاع الأداء البيئي للمؤسسة للإطار النظري للمحاسبة في التوصل إلى نظام محاسبي متخصص يعمل على قياس وتسجيل الأنشطة البيئية ومراجعتها والإفصاح عنها في التقارير المالية.

وفي ظل إتساع القطاع الصناعي والتطور التكنولوجي، الأمر الذي يترتب عليه تكاليف ومصروفات إضافية تستدعى ضرورة تحديد وقياس هذه التكاليف من أجل الوصل إلى ميزة تنافسية من خلال الشفافية في المعلومات المنشورة لإضفاء

الثقة من المستخدمين لهذه المعلومات وبالتالي فان الدور المحاسبي في مواجهة مثل هذه المشاكل المتعلقة بكيفية معالجة التكاليف البيئية الخاصة في ظل الوعي المتزايد من قبل الشركات بضرورة الاهتمام بالعلاقة بين التنمية والبيئة، إذ أن المنافع الناتجة عن ممارسة النشاط الذي يؤثر على الدخل القومي لا يعد منفعة حقيقة إذ لم تأخذ عناصر التكاليف البيئية بالاعتبار ادراجها ضمن تكلفة المنتج النهائي.

لذلك فقد كان من الطبيعي أن تقوم المنظمات المهنية بدورها المحاسبي والمهني للمساعدة في إعداد ومراجعة تلك القوائم المالية، الأمر الذي يتطلب وجود معايير منظمة، فقد أصدر مجلس معايير المحاسبية المالية الأمريكية، والاتحاد الدولي للمحاسبين معايير تم تطبيقها على الأداء البيئي، ومن هذه المعايير نذكر:

- (SFAS. N 0.5) يقابله (IAS. N 0.10) وهما يختصان بالمحاسبة والإفصاح عن الأحداث الطارئة التالية لتاريخ الميزانية.
- fASB interpretation N 0.14 ويتعلق بالخسارة المحتملة.

والتي تم استخدامها في تحديد الأصول والالتزامات البيئية باعتبارها من العناصر الإجمالية. كما أصدرت لجنة معايير المحاسبة المالية الأمريكية، عدة إصدارات تتعلق بالأداء البيئي للمؤسسات وأهم هذه الإصدارات الأتي:

- رسملة التكاليف المنفقة لمعالجة التلوث البيئي.
- المحاسبة عن الالتزامات البيئية.

في المملكة المتحدة تم إصدار معيار نظام إدارة البيئة BS775 لتحديد الأولويات وتوضيح الأهداف البيئية الملائمة، وتسهيل التخطيط والرقابة وعمليات التصحيح المتعلقة بالبيئة، وفحص الأنشطة للتأكد من أن السياسة البيئية قد تم تطبيقها. وأنها مازالت ملائمة.

كما أوصت لجنة معايير المحاسبة الإنجليزية بضرورة عرض المؤسسات لأنشطتها البيئية والإفصاح عن التكاليف والعوائد المترتبة عن هذه الأنشطة، كما أصدر البرلمان الأوروبي قانونا على شكل خطة بيئية، يختص بالعلامات البيئية والإدارة البيئية وخطة المراجعة، ولقد تم تصميم هذه الخطة بهدف استعادة قوى السوق في مجال البيئة، وتحفيز المنافسة على أسس بيئية، وكان الهدف منها تحسين الأداء البيئي للأنشطة الصناعية (الفاخري، الوريدي، 2017، ص8-10)

4-9 تعريف المحاسبة البيئية:

تعتبر المحاسبة البيئية امتداد لمجال محاسبة التكاليف، وتختص بتحديد وقياس العمليات المتعلقة بقيام المنشأة بمواجهة مسؤوليتها البيئية بما يمكن من تحديد نصيب المنتج من التكاليف البيئية، والافصاح عن تلك التكاليف في التقارير المحاسبة بصفة دورية بما يساعد جهات عديدة –داخلية وخارجية– في اتخاذ القرارات المناسبة، وتعد أهداف محاسبة التكاليف بصورة عامة أهدافا للمحاسبة البيئية(حمودة،..،83).

وعرف (خزام، 2016، ص60) المحاسبة البيئية بأنها فرع من فروع المحاسبة يهدف إلى إدماج البعد البيئي لعمليات المنشأة في الأساليب والممارسات المحاسبية بهدف قياس تكلفة أنشطة حماية البيئة من التلوث الناتج عن عمليات المنشأة والإفصاح عن نتائج القياس في التقارير والقوائم المالية للأطراف المستفيدة .

كما تم تعريفها بأنها نظام وعلم اجتماعي يقود إلى فهم وإدارة أفضل للجوانب البيئية وما يتعلق بها من تكاليف يعمل على تحديد وقياس نقدي لقيمة الاضرار البيئية التي تسببها شركة معينة للبيئة المحيطة بها نتيجة للأنشطة التي تمارسها ومن ثم القيام بعملية المعالجة المحاسبية لقيمة تلك الأضرار وإظهارها في القوائم المالية(العريبي، الوريد، 2017، ص8)

أي أن المحاسبة البيئية: تعني القياس والإفصاح عن الأداء البيئي للمؤسسات الناتجة عن الأنشطة، البرامج والمشاريع المختلفة التي تمارسها القطاعات الاقتصادية والتي تؤثر بصفة مباشرة على البيئية والمجتمع في تقاريرها المالية وتقديمها للجهات المعينة، لرصد تأثيراتها على الواقع الحالي والمستقبلي (حق الأجيال القادمة) ما يجعل جميع المؤسسات الخاصة والحكومية تلتزم بزرع روح المسؤولية الاجتماعية بين أفرادها لمواجهة الأوضاع المتغيرة بإتباع سياسة التنويع للتقليل من استنزاف الموارد البيئية (مانع، بشوع، بوزيدي، 2019، ص400).

عرف (نسية، مسعود، 2021، ص67) أن المحاسبة البيئية: هي وسيلة لتحديد التكاليف المنفقة من طرف المؤسسة في سبيل حماية البيئة والحفاظ عليها، وذلك تطبيقا للقوانين البيئية.

عرف (شيخ، عوادي، عوادي، 2019، ص22) أن المحاسبة البيئية أحد الفروع المحاسبة وهي أيضا عبارة عن أداء تمد مستخدمي المعلومات المحاسبية بالمعلومات عن التكاليف البيئية وإعطاء صورة واضحة على أداء المؤسسة والمساهمة في تحسين جودة المعلومات المحاسبية.

9-5 مقومات المحاسبة البيئية:

هناك مقومات لتطبيق المحاسبة البيئية، لخصها (العريبي، الوريدي، 2017، ص8-10) كما يلي:

1- **توفر الوعي البيئي:** ان زيادة وعي الإدارة واهتمامها بالبيئة وإدراكها للأثار الناجمة عن ممارسة الأنشطة الاقتصادية على البيئة هذا ما يدفع بالإدارة لكي تعمل بأسلوب صديق للبيئة.

2- **الالمام بالمزايا المتحققة من تطبيق المحاسبة البيئية:** لكي يتم تطبيق محاسبة البيئية يجب التعرف على المزايا التي يتم تحقيقها من وراء العمل بالمحاسبة البيئية خصوصا في ظل قلة القوانين الملزمة لحماية البيئة.

3- **توفر الخبرات في مجال المحاسبة البيئية:** إن الجوانب الجديدة للمحاسبة البيئية المطلوب توفيره تتطلب من المحاسبين مهارات وخبرات متخصصة جدا سواء من حيث القياس أو من حيث مهارات العرض والإفصاح.

9-6 أهداف المحاسبة البيئية:

يمكن توضيح أهم أهداف المحاسبة البيئية من خلال ما يلي (تجاني، عزة، ...، ص191) :

1- إعداد بيانات عن المبيعات والتكاليف الإجمالية التي تهدف إلى الحفاظ على البيئة وحمايتها لكل فترة مالية، مما يؤدي إلى متابعة المنشأة لتطوير هذه النفقات من فترة إلى أخرى واتخاذ القرارات المناسبة.

2- إعداد التقارير عن النفقات البيئية لتوضيح مدى إلتزام المنشأة بتطبيق القوانين والتشريعات البيئية.

3- توضيح المسؤولية الاجتماعية والبيئية للمنشأة لضمان الاستمرارية.

4- إظهار المنافع والوفرات البيئية التي خصصتها المنشأة في كل فترة مالية.

ويمكن القول بأن المحاسبة البيئية هدفها توفير معلومات عن الأنشطة البيئية للمنشأة للأطراف الداخلية والخارجية وهذا ما لا يتعارض مع هدف المحاسبة عموما.

9-7 مستويات ممارسة المحاسبة البيئية:

تمارس المحاسبة البيئية على مستوين، المستوى الجزئي والمستوى الكلي من خلال ما يلي (مانع، بشوع، بوزيدي، 2019، ص400):

- **مستوى الاقتصاد القومي:** وتعني تحديد وقياس استهلاك الموارد الطبيعية (المتجددة وغير متجددة) للدولة وكذلك تقييم مخزونها في نهاية كل فترة، بغرض التخطيط والرقابة وصنع القرارات على مستوى القومي.
- **مستوى المؤسسة:** وتعمل المحاسبة البيئية وفقا لهذا المستوى على اتجاهين_ الاتجاه الأول: يهتم بممارسة المحاسبة البيئية لغرض ترشيد قرارات الأطراف الخارجية (المحاسبة المالية البيئية)_ والاتجاه الثاني: ممارسة المحاسبة البيئية لغرض ترشيد قرارات إدارة المؤسسة (محاسبة نظم الإدارة البيئية).

9-8 التحديات التي تواجه المحاسبة البيئية:

1- اختلاف الثقافات وأثرها على تطور الاتصالات بين المحاسبة والمهن الأخرى:

يجب أن يتمتع موظفو البيئة بمعرفة واسعة عن البيئة، ويجب أن يكون لديهم الخبرة بتدفق الطاقة والماء والمواد الأخرى ضمن المنظمة، إلا أنهم لا يمتلكون المعرفة الكافية بكيفية قيد هذه الأمور في السجلات المحاسبية، من جانب اخر فان المحاسبين والمراقبين الماليين لديهم كافة المعلومات المحاسبية إلا أنه غالبا ما تكون معرفتهم محدودة بالبيئة التي تواجه المنظمة، ولا في تدفقات الموارد الطبيعية.

وكذلك الأقسام الأخرى لديها أهداف مختلفة متوقعة من أنشطة المحاسبة البيئية على سبيل المثال الجهات التي ستكون مسؤولة عن التكاليف البيئة، فمراكز الإنتاج المنتجة للنفاية ليس لديها المعرفة بكلفة تلك النفاية.

2- اختفاء المعلومات المتعلقة بالتكلفة البيئية ضمن حسابات التكاليف غير المباشرة:

ان هناك أمثلة عديدة لتكاليف متعلقة بالبيئة ذات أهمية إلا أنها تختفي بصورة أو أخرى في السجلات المحاسبية ضمن مسمى المصاريف الغير مباشرة، وعند ظهور الحاجة الماسة لمثل هذه المعلومات فلن يكون من السهل إيجادها إذ يفترض تبويب هذه التكاليف حسب العمليات والمنتجات التي تتسبب في تحقيقها.

3-صعوبة تتبع التكاليف وتدفق واستخدام الموارد:

فبالرغم من توفر برمجيات متخصصة في متابعة حركة الموارد داخل المنظمة مثل برنامج تخطيط الموارد المنظمة، إلا أن المعلومات التي توفرها هذه البرمجيات ستبقى غير كافية وغير دقيقة أو تفصيلية لأغراض دراسة الكفاءة والبيئة وقيمة المواد المختلفة إذ قد يتم ترحيل هذه المشتريات إلى حسابات إجمالية، مما يصعب عملية الحصول على معلومات الكميات الفعلية المستهلكة سنويا من المواد.

4-صعوبة الحصول على معلومات تكليفية عن البيئة من السجلات المحاسبية:

التقارير المحاسبية لا تحتوي بشكل عام معلومات تخص التكاليف البيئية المستقبلية رغم أنها قد تكون ذات أهمية نسبية على نشاط المنظمة، بسبب أن التقارير المحاسبية غالبا تكون ذات طبيعة تاريخية، إضافة إلى أنها تفتقر إلى تكلفة البيئة غير ملموسة.

9-9 مراحل تطبيق محاسبة التكاليف البيئية:

لقد أصبحت المحاسبة البيئية مؤخرا تدرج ضمن برنامج أعمال المؤسسة، ومن أجل تطبيقها بالشكل المناسب والملائم يجب إتباع مجموعة من الخطوات، نشرحها فيما يلي (نسبة، مسعود، 2021، ص68):

- **المرحلة الأولى:** ضرورة إنشاء أو بناء ما يعرف بالسياسة البيئية للمؤسسة، وهي عبارة عن مجموعة الأهداف التي تسعى المؤسسة لتحقيقها اتجاه البيئة، بالإضافة إلى التحديد الدقيق لمدى مسؤولية المؤسسة لتحقيق هذه الأهداف.
- **المرحلة الثانية:** هي مرحلة الخطط التفصيلية، حيث تقوم المؤسسة بإعدادها لتحقيق الأهداف التي برمجتها في المرحلة الأولى، كما تقوم بتحديد الأنشطة المالية وغير المالية، التي يجب على المحاسبين توليها في إطار الاهتمام بالبيئة ومواردها.
- **المرحلة الثالثة:** يتم فيها التسجيل والتقرير عن كافة الأنشطة الرقابية على البيئة ومواردها المنفذة في الخطوة السابقة، وهذا يعني إدخال البيئة وقضاياها في صلب العمل المحاسبي سواء من خلال إدراج المعلومات البيئية في صورتها المالية أو الكمية في التقارير المالية السنوية، أو في تقارير منفصلة ملحقة بها.

ومن المراحل السابقة تستنتج أنه يجب إتباع خطوات متسلسلة من أجل تطبيق جيد وسليم للمحاسبة البيئية، وذلك انطلاقا من إعداد وتنفيذ سياسة بيئية ذات جودة تسجيل في إحدى تقارير المؤسسة بغية الاستفادة منها في عملية اتخاذ القرار.

9-10 مزايا تطبيق المحاسبة البيئية:

إن وجود نظام المحاسبة لبيئية في المشروعات الاقتصادية يحقق لها العديد من المزايا والأهداف منها ما يلي (خزام، 206، ص62-63):

1) تحقيق قياس أدق لأداء المشروعات سواء للدخل من خلال تخصيص السليم للتكاليف البيئية واظهار القيمة الحقيقة للمشروع.
2) توفير معلومات أفضل عن التأثيرات البيئية للمشروعات للمساعدة في تحقيق الرقابة على التلوث وترشد القرار.

3) تقليل مخاطر المشرعات الاقتصادية بسبب ردود الأفعال الشعبية والرسمية مثل مقاطعة السلع التي تنطوي على مخاطر بيئية.
4) توفير المعلومات المطلوبة عن التكاليف والالتزمات البيئية في التقارير والقوائم المالية مما يزيد الثقة في جودة هذه التقارير وما تتضمنه من معلومات.
5) عرض الأثار البيئية لأنشطة المنظمة في صورة تقارير بيئية تخدم أغراض تقييم الأداء وكذلك من صحة وسلامة المعلومات البيئية الواردة في التقارير والقوائم المالية.
6) وجود المعلومات المحاسبية والمالية المتعلقة بالأداء البيئي يمكن من تحديد واختيار الموارد اللازمة لتحقيق الإدارة المثلى للبيئة.
7) وجود المعلومات المحاسبية والمالية المتعلقة بالأداء البيئي يساعد في معاونة الأجهزة المختصة في إعداد الخطط والبرامج البيئية.
8) توفير مؤشرات بيئية يمكن أن تساعد في تحقيق الرقابة على الأداء البيئي واتخاذ القرارات الملائمة.
9) إضفاء الثقة على مدى مشروعية الأنشطة الرئيسية للشركات.

9-11 دور المحاسبة البيئية في تحقيق التنمية المستدامة:

يمكن القول أن المحاسبة البيئية تساهم في دعم سياسة التنمية المستدامة من خلال (عابدين، رشوان، ....، ص16):

- تحمل المنشأة لتكاليف منع الأضرار البيئية أو تجنبها (سواء بالماء أو الهواء أو التربة أو الإنسان أو الحيوان) في الوقت الحاضر أو المستقبل نتيجة لمزاولتها لنشاطاتها المختلفة.
- اعتبار تكلفة المحافظة على البيئة وحمايتها ضمن تكلفة الإنتاج، مما أدى إلى دخول التكاليف البيئية والاجتماعية في دائرة الوظيفية المحاسبية.

- تطوير نظام التكاليف ليشمل الجوانب المالية والاقتصادية لأداء التكاليف البيئية كلها، وضرورة تحليل الأداء البيئي لإحداث المنظمة وبيان انعكاس ذلك على تكاليف الإنتاج وأسعار البيع.
- تقييم كفاءة استخدام مواد الخام.
- المساهمة في اكتشاف مصادر جديدة للمواد الخام والطاقة.
- الإفصاح عن المطلوبات الناشئة بسبب التعويضات عن الأضرار البيئية في الموارد الطبيعية.
- إعداد تقارير دورية عن الموارد الطبيعية من أجل إنجاز وظيفة الرقابة والمتابعة البيئية، لإعلام إدارة الشركة بمستوى الأداء البيئي للشركة، وإعلام المجتمع بالأنشطة البيئية للشركة.
- المساهمة في تحديد العائد المتحققة من تطبيق سياسات التنمية المستدامة.

9-12 ماهية الإلتزامات والتكاليف والمنافع البيئية:

9-12-1 الإلتزامات البيئية:

الإلتزام البيئي هو تعهد بيئي محتمل ناتج عن أحداث سابقة سوف يتأكد وجودها بوقوع أو عدم وقوع حدث أو أكثر من الأحداث المستقبلية غير المؤكدة، أو هي تعهدات حاظرة ناتجة عن أحداث سابقة ولم يتم الإعتراف بهذه التعهدات بسبب(خزام، 2016، ص100-103):

- أنه ليس من المحتمل أن ينجم عنه تدفق خارج لموارد ذات منافع اقتصادية لتسوية هذا التعهد.
- لأنه من الصعب قياس هذا التعهد بموضوعية.

وقد أصدرت لجنة معايير المحاسبة الدولية المعيار المحاسبي الدولي رقم (37) بعنوان المخصصات والإلتزامات المحتملة والأصول المحتملة. حيث يعد هذا

المعيار مناسبا لمعالجة الأصول والإلتزامات المحتملة والمخصصات الناتجة عن العوامل البيئية.

9-12-2 التكاليف البيئية: إن ممارسة المؤسسة لأنشطتها قد يؤثر بشكل أو بأخر على البيئة، ولهذا وجب حماية البيئة ومحاولة التقليل من أثارها بقدر الإمكان، مما يتطلب تحمل تكاليف معينة تدعى بالتكاليف البيئية.

وقد عرفت التكاليف البيئية بأنها (خزام، 2016، ص79) "كافة التضحيات والأعباء النقدية وغير النقدية المرتبطة بالمحافظة على الجودة البيئية وكذلك تكاليف الفشل البيئي الخارجي".

ويقصد بالتكاليف البيئية من وجهة نظر المؤسسة: جميع التضحيات (الصريحة والضمنية) التي تتحملها المؤسسة لأجل منع الأضرار البيئية أو تجنبها (سواء بالماء أو الهواء أو التربة أوالإنسان أو الحيوان) في الوقت الحاضر أو المستقبل نتيجة لمزاولتها لنشاطاتها المختلفة، ولأجل تصحيح الأخطاء والأضرار المترتبة على تصرفات وقرارات اتخذتها، لها أثار سلبية في البيئة (فارس، الضويفي، 2011، ص42).

9-12-3 المنافع البيئية: "هي كل ما يمكن أن تحققه المؤسسة الصناعية من فوائد مباشرة أو غير مباشرة نتيجة قيامها بمجموعة من الأنشطة البيئية المختلفة في الوقت الحالي لتجنب الالتزامات المستقبلية" (مانع، بشوع، بوزيدي، 2019، ص401).

10- الدراسة الميدانية:

10-1 مجتمع وعينة الدراسة:

يتكون مجتمع وعينة الدراسة من جميع المحاسبين ورؤساء الأقسام العاملين في الشركة الصناعية للحديد والصلب العاملة بمدينة مصراتة، أي أنه تم استخدام أسلوب المسح الشامل.

10-2 تجميع بيانات الدراسة:

يمكن تجميع البيانات بطرق متعددة ومن مصادر مختلفة، وطرق تجميع البيانات تتمثل في (المقابلة_الملاحظة_صحيفة الاستبانة)

حيث تم استخدام الاستبانة لتجميع البيانات من عينة الدراسة اللازمة لاختبار الفرضيات وذلك لأنها تعتبر من أهم الوسائل المرتبطة والمكملة لبعضها حول مشكلة الدراسة وعروضها ليجيب عنها المشارك، ثم تفريغ هذه الاستبانة ليتم بعد ذلك تبويبها وتحليلها واستخلاص النتائج منها وصولا لتحقيق أهداف الدراسة.

10-3صحيفة الاستبانة:

10-3-1 تصميم صحيفة الإستبانة:

تم إعداد الإستبانة على أساس مستنبط من مناهج البحث العلمي، حيث تم وضع قائمة فقرات مكتوبة ومحددة تتضمن كل محاور موضوع الدراسة مصنفة حسب فرضية الدراسة وماهي العبارات والخطوات التي تخدم الفرضية، بحيث يصبح من الممكن وضع الإجابات على هذا المحور في شكل قابل للتحليل الإحصائي السليم، لغرض الوصول إلى النتائج والتوصيات.

وقد قسمت صحيفة الاستبانة إلى قسمين على النحو التالي:

القسم الأول: عبارة عن معلومات عامة عن المشاركين في الدراسة لمعرفة ما بينهم من اختلافات قد تؤثر على أداء مهامهم.

القسم الثاني: تم جمع معلومات حول اختبار صحة الفرضية الرئيسية للدراسة والمتمثلة في: "**هناك علاقة ذات دلالة معنوية بين الإلتزام بتطبيق إجراءات المحاسبة البيئية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية وتحقق متطلبات التنمية المستدامة**"، وذلك من خلال معرفة أراء المشاركين حول صحة الفرضيات الفرعية:

المحور الأول: يحتوي على أسئلة متعلقة بالفرضية الفرعية الأولى: توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين الإلتزمات البيئية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية".

المحور الثاني: يحتوي على أسئلة متعلقة بالفرضية الفرعية الثانية:" توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين إدراج التكاليف البيئية بالتقارير المالية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية".

المحور الثالث: يحتوي على أسئلة متعلقة بالفرضية الفرعية الثالثة: "توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين تحقق المنافع البيئية للشركات الصناعية وتحقق متطلبات التنمية المستدامة".

10-3-2 توزيع وتجميع الاستبانة:

تم استخدام أسلوب الاتصال المباشر (التسليم باليد) كلما أمكن ذلك عند القيام بتوزيع صحيفة الاستبانة، وذلك تفاديا لضياعها وعدم رجوعها للباحثين وتوصيلها لأفراد عينة الدراسة الفعلية، حيث تم توزيع (70) استمارة استبيان واستلم منها (40) استمارة استبيان أي بنسبة ... الاستمارات الصالحة للتحليل (30) استمارة استبيان أي بنسبة... التي اعتمد عليها في تحليل البيانات والوصول للنتائج واقتراح التوصيات.

10-4 التحليل الوصفي للبيانات الدراسة:

أولا : الخصائص الوصفية للبيانات المتعلقة بالمشاركين في الدراسة:

سيتم في هذا الجزء تحليل البيانات الخاصة بالمشاركين في الدراسة باستخدام التحليل الإحصائي (العدد والنسبة) وذلك لمعرفة الاتجاه العام لإجابات المشاركين.

10-4-1 توزيع عينة الدراسة حسب الصفة:

جدول رقم (1) يبين توزيع عينة الدراسة حسب الصفة

الصفة	العدد	النسبة
محاسب	3	%10.0
مدير مالي	9	%30.0
أخرى	18	%60.0
الإجمالي	30	%100.0

شكل رقم (1) يبين توزيع عينة الدراسة حسب الصفة

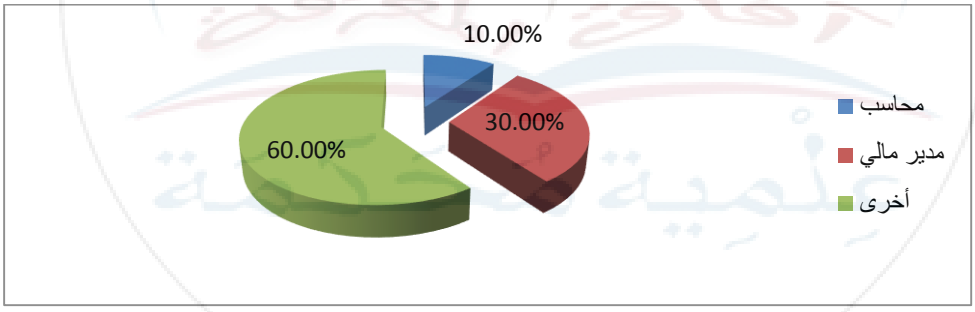

نلاحظ من الجدول السابق أن نسبة(60%) من العينة المشاركة في الدراسة يحملون صفات مختلفة مثل رؤساء أقسام وهندسة وأخرى ، ثم تليها مدير المالي وكانت نسبتهم (30%) ثم تليها محاسب بنسبة (10%) مما يعطي مؤشر مؤشرا جيدا لمدى تفهمهم لموضوع الدراسة بحكم تخصصهم المهني.

10-4-2 توزيع عينة الدراسة حسب المؤهل:

جدول رقم (2) يبين توزيع عينة الدراسة حسب المؤهل العلمي

المؤهل العلمي	العدد	النسبة
بكالوريوس	12	%40.0
ماجستير	6	%20.0
دكتوراه	2	%6.7
أخرى	10	%33.3
الإجمالي	30	%100.0

شكل رقم (2) يبين توزيع عينة الدراسة حسب المؤهل العلمي

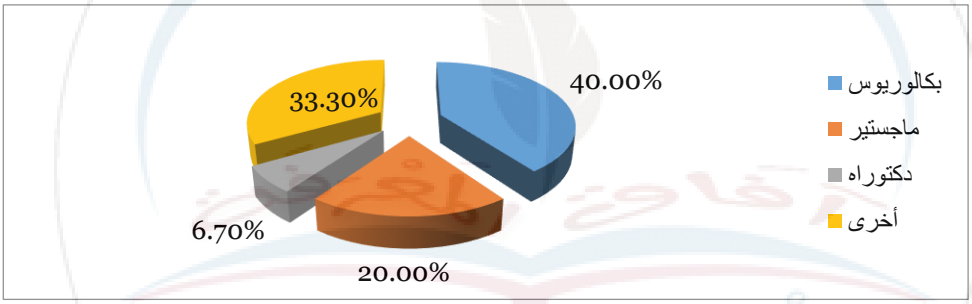

يلاحظ من الجدول السابق أن ما نسبته (40%) من المشاركين في الدراسة يحملون شهادة بكالوريوس ونسبة (33.30%) يحملون شهادات أخرى ونسبة (20%) يحملون شهادة ماجستير، ونسبة (6.70%) يحملون شهادة دكتوراه، وهذا من شأنه تعزيز نتائج الدراسة بالإضافة إلى تفهم المشاركين لموضوع الدراسة.

10-4-3 توزيع عينة الدراسة حسب التخصص العلمي:

جدول رقم (3) يبين توزيع عينة الدراسة حسب التخصص

التخصص	العدد	النسبة
محاسبة	2	%6.7
اقتصاد	6	%20.0
تمويل	2	%6.7
إدارة	8	%26.7
تسويق	1	%3.3
أخرى	11	%36.7
الإجمالي	30	%100.0

شكل رقم (3) يبين توزيع عينة الدراسة حسب التخصص

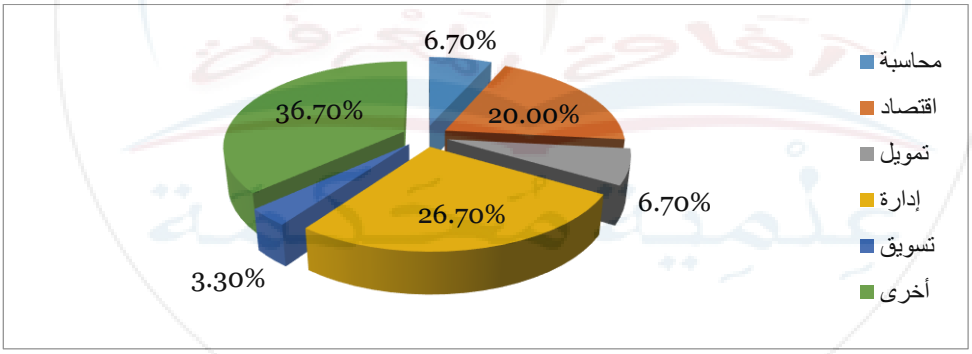

نلاحظ من الجدول السابق أن ما نسبته (36.7%) من المشاركين في الدراسة يحملون تخصصات أخرى ونسبة (26.70%) مما يحملون تخصص إدارة ونسبة (20%) مما يحملون تخصص اقتصاد ونسبة (6.70%) مما يحملون تخصص المحاسبة ونسبة (6.70%) مما يحملون تخصص تمويل ونسبة (3.30) مما يحملون تخصص تسويق، مما يعطي مؤشرا جيدا لمدى تفهمهم لموضوع الدراسة بحكم تخصصهم المهني الأكاديمي.

10-4-4 توزيع عينة الدراسة حسب سنوات الخبرة:

جدول رقم (4) يبين توزيع عينة الدراسة حسب عدد سنوات الخبرة

عدد سنوات الخبرة	العدد	النسبة
أقل من 5 سنوات	3	%10.0
من 5 إلى أقل من 10 سنوات	10	%33.3
من 10 إلى أقل من 15 سنة	3	%10.0
15 سنة فأكثر	14	%46.7
الإجمالي	30	%100.0

شكل رقم (4) يبين توزيع عينة الدراسة حسب عدد سنوات الخبرة

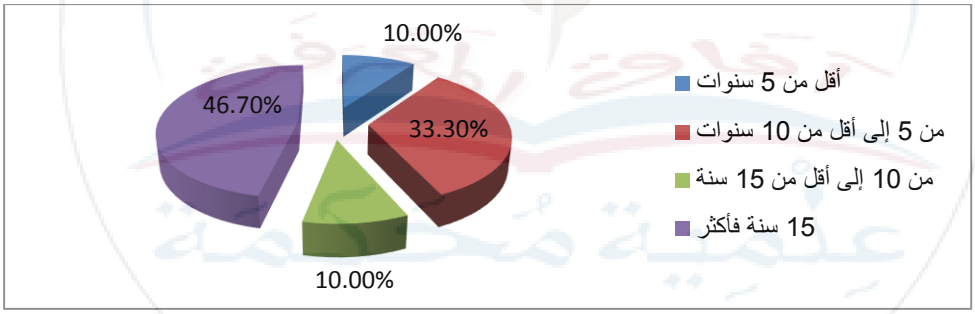

نلاحظ من الجدول السابق أن ما نسبته (46.70%) من المشاركين في الدراسة مدة خبرتهم أكثر من 15 سنة، وأن نسبة (33.30%) مدة خبرتهم تتراوح بين 5 سنوات وأقل من 10 سنوات، وأن نسبة (10%) مدة خبرتهم تتراوح بين 10 سنوات إلى أقل من 15 سنة، وأن نسبة (10%) مدة خبرتهم أقل من 5 سنوات، وهذا يعتبر مؤشرا جيدا لأن أغلب المشاركين في الدراسة لديهم خبره جيدة ويمكن الإعتماد على إجابتهم.

10-5 صدق وثبات أداة الدراسة:

الصدق بصفة عامة أن العبارة الموجودة في الاستبيان تقيس ما يفترض في البحث قياسه بالفعل, أما الثبات فهو أن يعطي الاستبيان نفس النتائج إذا أُعيد تطبيقه, وقد تم لهذا الغرض عرض صحيفة الاستبيان المعدة لما سبق الإشارة على مجموعة من المتخصصين لإبداء الرأي حولها وتحديد بعض الملاحظات حولها, وبعد اعتمادها تم قياس الصدق والثبات عن طريق حساب معامل ألفا كرنباخ للصدق والثبات كما بالجدول رقم (5).

جدول رقم (5) يبين قيمة معامل ألفا كرنباخ للمحاور الثلاثة بصحيفة الاستبيان

الفقرات	قيمة معامل ألفا كرنباخ
فقرات المحور الأول	0.820
فقرات المحور الثاني	0.923
فقرات المحور الثالث	0.763
الفقرات ككل	0.938

من خلال النتائج الواردة بالجدول السابق نجد أن قيم معامل ألفا كرنباخ مناسبة للدلالة على صدق وثبات أداة الدراسة وملاءمتها للدراسة.

10-6 أساليب التحليل الإحصائي لبيانات الدراسة:

تناول هذا الجانب من التحليل اختبار فرضيات الدراسة للوصول إلى قرار بشأن فرضيات الدراسة وذلك باستخدام البيانات التي تم الحصول عليها من الاستبانات الموزعة على المشاركين في الدراسة وباستخدام التحليل الإحصائي المناسب وهو اختبار الإشارة واختبار معامل الإرتباط بيرسون وذلك لدراسة تأثير تطبيق إجراءات المحاسبة البيئية على تحسين جودة المعلومات المحاسبية لأغراض تحقق متطلبات التنمية المستدامة.

اختبار الإشارة:

إجراء اختبار الإشارة الإحصائي لتحديد الاتجاه العام حول كل عبارة من عبارات استبيان الدراسة بحيث أنه إذا كانت قيمة مستوى الدلالة P-value أكبر من 0.05 فهذا يدل أن الاتجاه العام حول هذه العبارة بالحيادية أما إذا كانت قيمة مستوى الدلالة P-value أقل من 0.05 فهذا يدل أن الاتجاه العام حول هذه العبارة بالموافقة أو عدمها وفي هذه الحالة ننظر لقيمة الوسط كما موضح بالجدول التالي :

الوسط	1 إلى أقل من 1.8	من 1.8 إلى أقل من 3	من 3 إلى أقل من 4.2	من 4.2 إلى 5
الاتجاه العام	لا أوافق بشدة	لا أوافق	أوافق	أوافق بشدة

ولاتخاذ القرار حول هذه الفرضية تم استخدام برنامج (SPSS) لإجراء التحليل الإحصائي والوصول إلى اتخاذ القرار.

إختبار الفرضية الفرعية الأولى:

تمت دراسة هذه الفرضية في مجتمع الدراسة عن طريق عينة الدراسة لاختبار الفرضية التي تنص على أنه **(توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين الإلتزمات البيئية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية)** وتم اختبار هذه الفرضية لكل فقرة من فقرات الاستبيان الخاصة بهذا الفرضية عن طريق التحليل الإحصائي المناسب وأجريت الحسابات عن طريق البرنامج الإحصائي SPSS وكانت النتائج كما بالجدول رقم (6):

جدول رقم (6) يبين نتائج التحليل الإحصائي لمحور الالتزامات البيئية

العبارة	لا أوافق بشدة	لا أوافق	محايد	أوافق	أوافق بشدة	الوسط Mean	مستوى الدلالة P-value	الرتبة	الاتجاه العام
تعد مشكلة التلوث البيئي الصناعي في ليبيا من المشكلات الجوهرية.	0	2	1	9	18	4.43	0.000	1	أوافق بشدة
	0.0	6.7	3.3	30	60				
تعمل الشركة على إيجاد حلول مناسبة للتقليل من مشكلة التلوث البيئي.	0	0	3	16	11	4.27	0.000	4	أوافق بشدة
	0.0	0.0	10	53.3	36.7				
تقوم الشركة بإدارة الانشطة الإنتاجية والتسويقية بحيث لا تؤثر سلبا على البيئة.	0	1	2	22	5	4.03	0.000	7	أوافق
	0.0	3.3	6.7	73.3	16.7				
يشترط عملاء وموردو الشركة على ضرورة إتباع المعايير البيئية في عملية الانتاج.	0	1	7	15	7	3.93	0.000	8	أوافق
	0.0	3.3	23.3	50	23.3				
يوجد في الهيكل التنظيمي	0	0	2	16	12	4.33	0.000	2	أوافق بشدة
	0.0	0.0	6.7	53.3	40				

للشركة قسم خاص بمراقبة أنشطة الشركة وأثارها البيئية.									
تمتلك الشركة موارد بشرية ذات كفاءات عالية في مجال البيئة.	1	1	2	22	4	3.90	0.000	9	أوافق
	3.3	3.3	6.7	73.3	13.3				
تهتم الشركة بتطوير كفاءاتها البشرية في مجال البيئة.	0	1	7	16	6	3.90	0.000	9	أوافق
	0.0	3.3	23.3	53.3	20				
تقوم الإدارة العليا بالاستعانة بالجهات الاستشارية والخبراء لتقديم المشورة في مجال المحاسبة البيئية.	0	0	5	17	8	4.10	0.000	6	أوافق
	0.0	0.0	16.7	56.7	26.7				
تطبق الشركة الارشادات والأنظمة الخاصة بالبيئة للحفاظ على البيئة ومواردها.	0	0	2	21	7	4.17	0.000	5	أوافق
	0.0	0.0	6.7	70	23.3				
تعمل الشركة على إيجاد حلول مناسبة	0	0	0	21	9	4.30	0.000	3	أوافق
	0.0	0.0	0.0	70	30				

للتقليل من مشكلة التلوث البيئي للمساهمة في تحقيق التنمية المستدامة.									
تعمل الشركة على توعية عمالها بأهمية التنمية المستدامة.	0	2	4	19	5	3.90	0.000	8	أوافق
	0.0	6.7	13.3	63.3	16.7				
تعمل الشركة على معالجة مخلفات العملية الانتاجية بشكل إيجابي.	0	1	3	23	3	3.93	0.000	8	أوافق
	0.0	3.3	10	76.7	10				
تهتم الشركة بالانبعاثات الصادرة منها.	0	2	6	14	8	3.93	0.000	8	أوافق
	0.0	6.7	20	46.7	26.7				
تلتزم الشركة بالحفاظ على البيئة ومواردها.	0	0	4	21	5	4.03	0.000	7	أوافق
	0.0	0.0	13.3	70	16.7				
تتحمل الشركة تكاليف عند الاضطرار بالبيئة المتواجدة.	1	1	6	18	4	3.77	0.000	10	أوافق
	3.3	3.3	20	60	13.3				
العام	–	–	–	–	–	4.06	0.000	–	أوافق

من خلال النتائج بالجدول السابق نجد أن:

1. أكثر العبارات موافقة على هذه الفرضية هي (تعد مشكلة التلوث البيئي الصناعي في ليبيا من المشكلات الجوهرية) بوسط 4.34 أي بالموافقة بشدة على هذه العبارة, وأقلها موافقة هي (تتحمل الشركة تكاليف عند الاضطرار بالبيئة المتواجدة) بوسط 3.77 أي بالموافقة.
2. الاتجاه العام لهذه الفرضية بالموافقة بوسط يساوي 4.06 أي أنه يمكن القول أنه (**توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين الالتزامات البيئية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية**).

إختبار الفرضية الفرعية الثانية:

تمت دراسة هذه الفرضية في مجتمع الدراسة عن طريق عينة الدراسة لاختبار الفرضية التي تنص على أنه (**توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين إدراج التكاليف البيئية بالتقارير المالية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية**) وتم اختبار هذه الفرضية لكل فقرة من فقرات الاستبيان الخاصة بهذه الفرضية عن طريق التحليل الإحصائي المناسب وأجريت الحسابات عن طريق البرنامج الإحصائي SPSS وكانت النتائج كما بالجدول رقم (7):

جدول رقم (7) يبين نتائج التحليل الإحصائي لمحور التكاليف البيئية

العبارة	لا أوافق بشدة	لا أوافق	محايد	أوافق	أوافق بشدة	الوسط Mean	مستوى الدلالة P-value	الرتبة	الاتجاه العام
بالشركة نظام محاسبي يمكن من احتساب تكاليف البيئة.	1	0	10	8	11	3.93	0.000	3	أوافق
	3.3	0.0	33.3	26.7	36.7				
تستطيع الشركة قياس تكاليفها البيئية بدقة وليس بشكل تقريبي.	1	0	10	11	8	3.83	0.000	5	أوافق
	3.3	0.0	33.3	36.7	26.7				

العبارة	لا أوافق بشدة	لا أوافق	محايد	أوافق	أوافق بشدة	الوسط Mean	مستوى الدلالة P-value	الرتبة	الاتجاه العام
تمثل التكاليف البيئية نسبة كبيرة ضمن التكاليف الكلية.	0	2	11	14	3	3.60	0.000	10	أوافق
	0.0	6.7	36.7	46.7	10				
يتم تصنيف التكاليف البيئية كتكاليف متغيرة.	0	0	11	15	4	3.77	0.000	7	أوافق
	0.0	0.0	36.7	50	13.3				
تدرج التكاليف البيئية ضمن القوائم المالية للشركة.	0	1	9	14	6	3.83	0.000	5	أوافق
	0.0	3.3	30	46.7	20				
تقوم الشركة بالافصاح عن كل تكاليفها البيئية.	0	1	11	13	5	3.70	0.000	8	أوافق
	0.0	3.3	36.7	43.3	16.7				
يساعد تبويب الأنشطة البيئية على تحسين جودة المعلومات المحاسبية.	0	0	5	14	11	4.20	0.000	1	أوافق بشدة
	0.0	0.0	16.7	46.7	36.7				
تساعد المحاسبة البيئية في ترشيد القرارات وضمان دقة المعلومات المحاسبية.	0	0	7	17	6	3.97	0.000	2	أوافق
	0.0	0.0	23.3	56.7	20				
تقوم الشركة بتطوير نظم الملومات المحاسبية لتلائم التطورات البيئية.	0	1	5	19	5	3.93	0.000	3	أوافق
	0.0	3.3	16.7	63.3	16.7				
يوجد دور للمحاسبة البيئية في تحسين جودة المعلومات المحاسبية في الشركات	0	0	8	20	2	3.80	0.000	6	أوافق
	0.0	0.0	26.7	66.7	6.7				

العبارة	لا أوافق بشدة	لا أوافق	محايد	أوافق	أوافق بشدة	الوسط Mean	مستوى الدلالة P-value	الرتبة	الاتجاه العام
الصناعية الليبية.									
تساعد دراسة وتحليل التكاليف البيئية الشركة في استجابتها للقوانين الحالية الخاصة بحماية البيئة.	0	1	3	22	4	3.97	0.000	2	أوافق
	0.0	3.3	10	73.3	13.3				
يتم احتساب وتسجيل استهلاك أصول معالجة التلوث مع باقي أصول الشركة.	0	2	10	14	4	3.67	0.000	9	أوافق
	0.0	6.7	33.3	46.7	13.3				
تعمل الشركة على اعداد تقارير دورية خاصة بالتكاليف وتقدمها لجهات محددة.	0	1	6	17	6	3.90	0.000	4	أوافق
	0.0	3.3	20	56.7	20				
العام	-	-	-	-	-	3.85	0.000	-	أوافق

من خلال النتائج بالجدول السابق نجد أن :

1. أكثر العبارات موافقة على هذه الفرضية هي (يساعد تبويب الأنشطة البيئية على تحسين جودة المعلومات المحاسبية) بوسط 4.20 أي بالموافقة بشدة على هذه العبارة, وأقلها موافقة هي (تمثل التكاليف البيئية نسبة كبيرة ضمن التكاليف الكلية) بوسط 3.60 أي بالموافقة.
2. الاتجاه العام لهذه الفرضية بالموافقة بوسط يساوي 3.85 أي أنه يمكن القول أنه **(توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين إدراج التكاليف البيئية بالتقارير المالية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية)**

إختبار الفرضية الفرعية الثالثة:

تمت دراسة هذه الفرضية في مجتمع الدراسة عن طريق عينة الدراسة لاختبار الفرضية التي تنص على أنه **(توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين تحقق المنافع البيئية للشركات الصناعية وتحقق متطلبات التنمية المستدامة)** وتم اختبار هذه الفرضية لكل فقرة من فقرات الاستبيان الخاصة بهذه الفرضية عن طريق التحليل الإحصائي المناسب وأجريت الحسابات عن طريق البرنامج الإحصائي SPSS وكانت النتائج كما بالجدول رقم (8):

جدول رقم (8) يبين نتائج التحليل الإحصائي لمحور المنافع البيئية

العبارة	لا أوافق بشدة	لا أوافق	محايد	أوافق	أوافق بشدة	الوسط Mean	مستوى الدلالة P-value	الرتبة	الاتجاه العام
تعمل الشركة على إيجاد حلول مناسبة للتقليل من مشكلة التلوث البيئي للمساهمة في تحقيق التنمية الاجتماعية والبيئية.	0	0	1	17	12	4.37	0.000	1	أوافق بشدة
	0.0	0.0	3.3	56.7	40				
احتواء المعلومات المحاسبية القدرة التنبؤية يساعد في إعداد خطة التنمية المستدامة للشركة.	0	0	8	17	5	3.90	0.000	6	أوافق
	0.0	0.0	26.7	56.7	16.7				
تعتبر التنمية المستدامة غاية وهدف تسعى الشركة للوصول إليه من خلال اتخاذ القرارات البيئية	0	0	4	21	5	4.03	0.000	4	أوافق
	0.0	0.0	13.3	70	16.7				

العبارة	لا أوافق بشدة	لا أوافق	محايد	أوافق	أوافق بشدة	الوسط Mean	مستوى الدلالة P-value	الترتيب	الاتجاه العام
والاجتماعية والاقتصادية.									
يعتبر الإفصاح عن المعلومات البيئية تعبير عن مدى التزام الشركة بالتشريعات والقوانين البيئية.	0	0	3	20	7	4.13	0.000	2	أوافق
	0.0	0.0	10	66.7	23.3				
يؤدي تطبيق التنمية المستدامة في الشركة إلى المحافظة على الموارد الطبيعية والبيئية.	0	0	3	22	5	4.07	0.000	3	أوافق
	0.0	0.0	10	73.3	16.7				
يؤدي التزام الشركة بتحسين جودة المعلومات المحاسبية إلى تقارير عن التنمية المستدامة ذات جودة عالية.	0	1	4	20	5	3.97	0.000	5	أوافق
	0.0	3.3	13.3	66.7	16.7				
العام	-	-	-	-	-	4.08	0.000	-	أوافق

من خلال النتائج بالجدول السابق نجد أن :

1. أكثر العبارات موافقة على هذه الفرضية هي (تعمل الشركة على إيجاد حلول مناسبة للتقليل من مشكلة التلوث البيئي للمساهمة في تحقيق التنمية الاجتماعية والبيئية) بوسط 4.37 أي بالموافقة بشدة على هذه العبارة, وأقلها موافقة هي (احتواء المعلومات المحاسبية القدرة التنبؤية يساعد في إعداد خطة التنمية المستدامة للشركة) بوسط 3.90 أي بالموافقة.

2. الاتجاه العام لهذه الفرضية بالموافقة بوسط يساوي 4.08 أي أنه يمكن القول أنه (توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين تحقق المنافع البيئية للشركات الصناعية و تحقق متطلبات التنمية المستدامة).

أولاً: النتائج:

اختبرت الدراسة الميدانية الفرضية الرئيسية للدراسة " هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين الإلتزام بتطبيق إجراءات المحاسبة البيئية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية" عن طريق اختبار مجموعة من الفرضيات الفرعية وكانت هذه الفرضيات ونتائجها كما يلي:

1. هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين الإلتزمات البيئية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية، وقد أسفرت نتائج الدراسة الميدانية بخصوص هذه الفرضية على أنه توجد علاقة تأثير إحصائية ذات دلالة معنوية بين الإلتزمات البيئية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية.
2. هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين إدراج التكاليف البيئية بالتقارير المالية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية، وقد أسفرت النتائج الدراسة الميدانية بخصوص هذه الفرضية على أنها توجد علاقة تأثير إحصائية ذات دلالة معنوية بين إدراج التكاليف البيئية بالتقارير المالية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية.
3. هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين تحقق المنافع البيئية للشركات الصناعية وتحقق متطلبات التنمية المستدامة، وقد أسفرت النتائج الدراسة الميدانية بخصوص هذه الفرضية على أنها توجد علاقة تأثير إحصائية ذات دلالة معنوية بين تحقق المنافع البيئية للشركات الصناعية في ظل تحقق متطلبات التنمية المستدامة.

ويمكن القول أن الدراسة توصلت إلى أن:

هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين الإلتزام بتطبيق إجراءات المحاسبة البيئية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية في الشركة الصناعية للحديد والصلب، وقد أسفرت النتائج الدراسة الميدانية بخصوص هذه الفرضية على أنه توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الإلتزام بتطبيق إجراءات المحاسبة البيئية وتحسين جودة المعلومات المحاسبية.

ثانياً: التوصيات:

من خلال الدراسة الميدانية اتضح أنه يوجد تأثير الالتزام بتطبيق إجراءات المحاسبة البيئية على تحسين جودة المعلومات المحاسبية لأغراض تحقق متطلبات التنمية المستدامة، ولتعزيز هذه النتيجة نوصي بالأتي:

1. تنمية الوعي البيئي لأفراد المجتمع والمؤسسات من خلال عقد المؤتمرات والندوات العلمية الخاصة للتعريف بأساليب الحماية والمحافظة على البيئة.
2. ضرورة قيام معدي التقارير في الشركة بالالتزام بالخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية، لما تحققه من توفير معلومات عن التنمية المستدامة وأبعادها البيئية والاقتصادية والاجتماعية.
3. العمل على وضع التشريعات والأنظمة والقوانين التي تلزم كافة الشركات الصناعية الليبية لاتخاذ الإجراءات اللازمة للحد من ظاهرة التلوث الناتجة عن ممارستها لأنشطتها الإنتاجية، فضلا عن إصدار معيار محاسبي بيئي يهتم بالتنمية المستدامة.
4. إقامة الدورات التدريبية للمحاسبين في الشركات الليبية في مجال المحاسبة البيئية، وإقامة الندوات لتوعية كافة الأطراف ذات العلاقة بأهمية المحاسبة عن التأثيرات البيئية.
5. ضرورة مواصلة البحث العلمي في مجال المحاسبة البيئية.

6. إعطاء التكاليف البيئية الأهمية التي تستحقها لدورها المهم في تحسين مخرجات المعلومات المحاسبية.
7. ضرورة إدراج البعد البيئي كهدف تسعى الشركة لتحقيقه إلى جانب هدف الربح.

المراجع :

- البريدي، عبدالله عبدالرحمن،2015، التنمية المستدامة، ط1، مكتبة ملك فهد الوطنية.
- عبداللطيف، عثمان، حميد، بن حجوبة،2018، دور الضرائب الخضراء في تفعيل الجباية البيئية وتحقيق التنمية المستدامة، مجلة مينا للدراسات الاقتصادية، المجلد1،العدد1.
- الجازوي، صالح أبو بكر، البرعصي، عبدالسلام حسين،2018، واقع المحاسبة البيئية والافصاح عن التأثيرات البيئية في الشركات الصناعية الليبية وعلاقتها بتحقيق التنمية المستدامة.
- حمودة، نور الدين، نحو نظرية للمحاسبة البيئية والاجتماعية، دار الاكاديمية، طرابلس، ليبيا
- جمعة، أنس بهجت،2011، مشكلات الإفصاح عن المحاسبة البيئية والاجتماعية للشركات المساهمة العامة الفلسطينية، رسالة ماجستير.
- خزام، ميلاد سعيد امحمد،2016، أثر الاعتراف بالتكاليف البيئية للمنظمات الاقتصادية على تحسين جودة المعلومات المحاسبية المقدمة، دراسة ميدانية، جامعة الجبل الغربي، ليبيا.
- العريبي، عبدالفتاح عثمان، الوريدي، عبدالرحمن احمد،2017، مدى توفر مقومات تطبيق المحاسبة البيئية، دراسة ميدانية، المؤتمر العملي الأول لحماية البيئة والتنمية المستدامة.
- ثابت، ثابت حسان، عبدالرحمن، عمر توفيق، 2019، دور المحاسبة البيئية في تعزيز التنمية المستدامة.

- بوعزيز، أمينة، 2018، المحاسبة البيئية في ظل النظام المحاسبي المالي، مذكرة لنيل الماستر، جامعة العربي بن مهدي.
- فارس، فضيل، ضويفي، حمزة ،2011، المحاسبة البيئية كألية لدعم وتحسين الأداء البيئي في ظل المسؤولية الاجتماعية للمؤسسة، الملتقى الدولي الثاني، الطبعة الثانية، المنعقدة بجامعة ورقلة.
- العامري، سعود جايد مشكور، رشم، محمد حسن،2020، المسؤولية البيئية للشركات الصناعية وأثرها على اعداد استراتيجية بيئية للتنمية المستدامة.
- مانع، سبرينة، بشوع، سعاد، بوزيدي، هدى ،2019، مساهمة المحاسبة البيئية في تحقيق التنمية المستدامة، ملتقى الدولي: الاتجاهات الحديثة للتجارة الدولية.
- الحسن، عبد الرحمن محمد،2011، التنمية المستدامة ومتطلبات تحقيقها، ملتقى استراتيجية الحكومة في القضاء على البطالة وتحقيق التنمية المستدامة، السودان.
- نسية، مولاي، مسعود، درواسي ،2021، القياس والإفصاح المحاسبي عن التكاليف البيئية في المؤسسات الصناعية، الجلد12، العدد1.
- تجاني، بشرة، عزه، الأزهر، أساليب القياس والإفصاح المحاسبي عن محاسبة التكاليف البيئية، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، العدد 34.
- شيخ، عبدالقادر، عوادي، عبدالقادر، عوادي، مصطفى،2019، دور محاسبة التكاليف البيئية في تحسين المعلومات المحاسبية، مجلة الاقتصاد والتنمية المستدامة،المجلد2،العدد2.
- الفاخري، صلاح محمد، الوريدي، عبدالرحمن احمد،2017، مدى مساهمة المحاسبة البيئية بالشركات النفطية الليبية في تحقيق التنمية المستدامة، المؤتمر العمل الأول لحماية البيئة والتنمية المستدامة.
- عابدين، حسني عابدين، رشوان، عبدالرحمن محمد، دور المحاسبة الخضراء في تحسين جودة المعلومات المحاسبية لتحقيق التنمية المستدامة، دراسة ميدانية.
- يوريدي، فدوى،2019، دور المحاسبة الخضراء في تحقيق التنمية المستدامة دراسة حالة في المؤسسة INERGA –فرع عين مليلة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر الأكاديمي.

استنطاق السنة عند ابن يونس في جامعه "دراسة تحليلية وصفية"

د. امحمد عبدالحميد المدني

كلية الآداب الأصابعة. جامعة غريان

المستخلص:

(منهج استنطاق السنة عند الإمام ابن يونس دراسة "تحليلية وصفية") تهدف هذه الدراسة إلى المساهمة في إبراز جهود الإمام ابن يونس في الاستدلال بالسنة النبوية على الأحكام الفقهية، من خلال عرض ودراسة بعض الأمثلة من خلال كتابه الجامع لمسائل المدونة، للوقوف على المنهج الذي اتبعه في ذلك.

ولتحقيق تلك الأهداف من هذه الدراسة قسمتها على قسمين الأول جعلت فيه التمهيد للحديث عن ابن يونس وجامعه، والقسم الثاني خصصاه للحديث عن ملامح منهجه في استنطاق السنة النبوية، وبعد دراسة تلك الأقسام توصلت إلى مجموعة من النتائج؛ أهمها: أن ابن يونس جمع في كتابه بين نقل أقوال المالكية والاستدلال عليها بالأحاديث والآثار، حيث أحصيت له أكثر من ألفي حديث في أغلب الكتاب، وهذا يدحض تهمة أن المذهب المالكي لا يهتم بالدليل، كما توصلت إلى أن ابن يونس له معرفة كبيرة بعلم الحديث دراية ورواية، إذ نجده كثير الحفظ، وله تدخلات وتعليقات في الأحاديث تصحيحا وتضعيفا وبيانا للمعنى، كذلك التزم ابن يونس في كثير من الأحيان باتباع الدليل الصحيح، وأخيرا يمكن القول أن جامع ابن يونس يعتبر من أهم كتب المالكية المطرزة بالأدلة من الكتاب والسنة.

الكلمات المفتاحية:ابن يونس – استنطاق – جامع ابن يونس – السنة –الاستدلال

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد.

فإن السنة النبوية المطهرة هي المصدر الثاني للتشريع، أودع الله تبارك وتعالى فيها أحكامه وتشريعاته، إذ لها أثر كبير في الفقه الإسلامي وأصوله، اعتمد عليها الفقهاء في الاجتهاد والإفتاء، ومنهم المالكية الذين كانت لهم اليد الطولى في ذلك؛ ولا تعجب من ذلك فإمامهم يكنى بإمام دار الهجرة –مهبط الوحي–، حيث كان الإمام مالك يعتمد على الحديث النبوي في كثير من فتاويه نظراً لبيئته الحجازية التي كانت تزخر بالحفاظ والمحدثين الذين تلقوا الحديث النبوي عن الصحابة وورثوا من السنة ما لم يتح لغيرهم من أهل الأمصار.

ومن أهم المصنفات عند المالكية **(الجامع لمسائل المدونة وشرحها)** فهو كتاب منيف الشأن، سامي المكانة، سماه كثير من العلماء **(مُصحف المذهب)**، ومؤلفه الإمام ابن يونس (451هـ) من أبرز علماء المالكية وأدقهم فقها، لُقِّب بمالك الصغير، وهو أحد الأربعة الذين اعتمد الشيخ خليل ترجيحاتهم في مختصره.

ولا شك أن دراسة مناهج العلماء في فهم أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وإدراك مقاصدها، وتطبيقهم لذلك الفهم على ما يطرأ لهم من قضايا ومسائل، من أسمى الغايات التي يطمح إليها طالب العلم، والإشكال الذي تقوم عليه الدراسة: هل كان للإمام ابن يونس منهج موحد سار عليه في فهم السنة المطهرة في ثنايا كتابه الجامع لمسائل المدونة؟ وما مدى تأثير ذلك في الاستدلال بالسنة النبوية عنده؟.

من هنا جاء هذا البحث ليجيب عن تلكم التساؤلات، وليسلِّط الضوء على

مدى اهتمام الإمام ابن يونس بالسنة النبوية، وتبيان المنهج الذي اتبعه في فهم السنة وتأويلها، فاخترت للبحث عنوان **(منهج استنطاق السنة عند الإمام ابن يونس)** ومن خلال استقراء جزئي للكتاب، يمكن القول بأن الإمام ابن يونس قد اتبع منهجا منضبطا في فهم أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم واستنباط الأحكام الفقهية منها، إذ يتمثل ذلك المنهج في عدة محاور من أهمها: **(عرضها على القرآن الكريم، والاستعانة بسبب ورود الحديث، كذلك الاستعانة بالسياق، وبجمع طرق الحديث، ومحاولة دفع التعارض بين الأحاديث، ثم الاستعانة بفقه الصحابة والأئمة)**، ومن خلال تلك المحاور يصل الشيخ إلى فهم واضح لمراد النبي صلى الله عليه وسلم من حديثه.

حيث انصب البحث على تلك المحاور التي اتبعها ابن يونس في فهم الحديث مع ذكر أمثلة توضيحية لكل محور، كما بين مدى تأثير ذلك على توجيهه الفقهي للحديث النبوي.

وقبل الولوج في تقسيمات البحث لابد من أن نبين المقصود من لفظة "**استنطاق**" في العنوان؛ فهو مشتق من "نطق"، وأقصد به هنا استخراج الأحكام الفقهية من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك من خلال فهم صحيح للأحاديث مبني على علم ومعرفة، ومن حكمة الله في خلقه أن جعل العقول تتفاوت، والأفهام تختلف من شخص إلى شخص، إذ الفهم هو معرفةٌ، والمعرفة لها طرق وأدوات قد تختلف من شخص إلى شخص، فيفهم إنسان من نص معين ما لا يفهمه غيره، يقول ابن القيم: "وتفاوت الأمة في مراتب الفهم عن الله ورسوله لا يحصيه إلا الله، ولو كانت الأفهام متساوية لتساوت أقدام العلماء في العلم، ولَمَا خص سبحانه سليمان عليه السلام بفهم الحكم"، وحسبك من ذلك قول من آتاه الله كامل الفهم والعلم: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»(الترمذي، 34/5)، ورغم الاختلاف الفطري في الفهم والإدراك

إلا أنه لابد من منهج موحد للفهم بغض النظر عن توحيد الفهوم، إذ ليس المقصود مجرد الفهم بل المنهج الذي تم اتباعه للوصل إلى ذلك الفهم، وأخيرا أثبت أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها في خاتمة البحث.

تمهيد [بين ابن يونس وجامعه]

أولا– ابن يونس سيرة وأثر

– **اسمه:** أبو بكر محمد بن عبدالله بن يونس التميمي الصقلِّي، الأفريقي المالكي، صقلي المولد، قيراوني الأصل والمنشأ، التميمي نسباً (عياض، د.ت، 114/8؛ عبدالوهاب، 1990، 276/2)، والصقلي نسبة لأبيه، نُسب بها أباه لأنه سافر إليها واستقر بها، واشتهر بـ"ابن يونس" عند أغلب علماء المالكية، غير أن بعضهم ينعته بـ"الصقلي" كابن عرفة والقاضي عياض (ابن فرحون، د.ت، 240/2؛ ابن مخلوف، 1424هـ، 164/1؛ الحسن، 1416هـ، 245/2) .

مولده ونشأته

ولد رحمه الله تعالى في بلدة "بَلَرْم" عاصمة صقلية التي كانت تزخر –في ذلك الوقت– بالعلماء خاصة المالكيين، ولم تذكر المصادر التي ترجمت له تاريخ ولادته ولا تحدثت عن نشأته وطلبه للعلم، ثم انتقل إلى القيروان عاصمة العلم بالمغرب العربي أواخر القرن الرابع الهجري، ليستقر بها حتى آخر حياته، وهذا يؤكد احتمالا غير جازم أن ولادته كانت بين [370هـ و 380هـ] ليكون شابا وقت رحلتهم إلى القيروان (محفوظ، 1994م، 148/5، الزركلي، 2002م، 99/5).

نشأ ابن يونس في بيئة علمية مزج فيها بين صقيلية والقيروان، حيث كانت ولادته بصقيلية فأقام فيها نيفا من الزمن أخذ من مشايخها وعلمائها كثيرا من العلوم، ثم انتقل إلى القيروان –وكانت تُشد إليها رحال طُلاب العلم والمتفقهة (المراكشي، 1426هـ، ص255)– فاستقر بها شابا واستقى من علومها، وتفقه بفقائها حتى أصبح من كبارها عالما وفقهيا، بل حاز لقب مالك الصغير.

- شيوخه:

نظرا لتلك النشأة الممزوجة بين صقلية والقيروان نجد أن لابن يونس مزيج كذلك بين مشايخهما، فكان من أبرز مشايخه الصقليين: **أبو بكر بن أبي العباس** فقيه صقلية وعالمها، **والقاضي أبو الحسن الحصائري** قاضي صقلية وفقيهها أخذ عنه خلق كثير، **والفرضي عتيق بن عبدالجبار**، هؤلاء أهم مشائخ ابن يونس من صقلية.

وأما من القيروان فلم تذكر المصادر له مشايخ كثر، إذ اكتفت بذكر شيخين له، وهذا أمر لا يقبل، إذ لا يُعقل عالم بهذا القدر يكون له شيخان فقط، وكذلك يقف الإنسان مذهولا مستغربا عندما لا يجد ترجمة مفصّلة لابن يونس –وهو بهذا القدر– في كتب التراجم إلا في ثلاثة أو أربعة مصادر فقط، والشيخان هما:

الشيخ أبو الحسن القابسي [403هـ] فقيه القيروان ومحدثها، أول من أدخل رواية صحيح البخاري إلى إفريقية وعليه الاعتماد في الحديث سندا ومتنا.

الشيخ أبو عمران الفاسي [430هـ]، تخرّج به خلق كثير، كان يدرّس القراءات والفقه، وعلم الرجال (الدباغ، د.ت، 134/3، عبدالحي، 1406هـ، 168/3).

تلاميذه:

بعد أن اكتمل بنيانه، وانحنت سنابله بالعلم، تصدّر التدريس والافتاء والتأليف، حيث جلس يدرّس الفقه والحديث والفرائض (عبدالوهاب، 1990، 676/2)، ولكن كما هو الحال في مشايخه لم نجد في المصادر التي ترجمت له ذكر تلاميذ له، وقد ذكر أحد الباحثين أنه وجد إشارة لبعض تلامذته فقال: "وبعد التفتيش وفق الله عز وجل بالوقوف على اثنين منهم هما: أبو البهاء عبدالكريم بن عبدالله الصقلي، [517هـ]، و أبو الحفص عمر بن يوسف بن محمد القيسي الصقلي [526هـ]" (المباركي، 1997م، 31/1–32).

حياته العلمية وثناء العلماء عليه

كان لابن يونس مكانة علمية مرموقة مكنته علو كعبه في الفقه حتى ألّف كتابا عظيما سماه من بعده بمصحف المذهب(الحسن، 1416هـ، 245/2)، ومن خلال البحث في كتب التراجم يمكن –في هذا المقام– ذكر طرف من كلام أئمة العلم فيه، حيث نعتوه بما هو أهله، وذكروا أخباره وسيرته.

قال القاضي عياض: "كان فقيهاً فرضياً حاسباً ... وصنف في الفرائض وشرحاً كبيراً للمدونة عليه اعتماد الطالبين بالمغرب للمذاكرة (عياض، د.ت، 114/8)"، ويقول صاحب الديباج: "كان فقيهاً إماماً فرضياً" (عياض، د.ت، 240/2)، بينما يصنفه مخلوف من ضمن علماء الترجيح، وهذه المرتبة لا يصلها إلا عالم متبحر في العلم حيث قال: "الإمام الحافظ النظار أحد العلماء وأئمة الترجيح الأخيار" (ابن مخلوف، 1424هـ، 165/1)، حيث انبنا ذلك التصنيف بالترجيح على ما اعتمد عليه الشيخ خليل في مختصره، إذ يقول في مقدمة المختصر "وبالترجيح لابن يونس" (خليل، 1426هـ، ص11)، ولم يقتصر الوصف بالعلم والترجيح فقط، بل نجد من وصفه بالمجاهد الذي لا يشغله الاشتغال بالعلم عن الجهاد لإعلاء كلمة الله، يقول ابن فرحون: "وكان ملازماً للجهاد موصوفاً بالنجدة" (ابن فرحون، د.ت، 240/2)، ويقول صاحب الفكر السامي: "كان فقيها إماما عالما فرضيا، ملازما للجهاد، موصوفا بالنجدة مشهورا في المذهب المالكي" (الحسن، 1416هـ، 245/2)، كما أثنى عليه شُراح خليل كالحطاب والدسوقي في شروحهم على خليل (الحطاب، 1412هـ، 120/4).

– مؤلفاته: ذكرت بعض المصادر التي ترجمة له أن له ثلاثة مصنفات، هي:

1– الجامع لمسائل المدونة.

2–الإعلام بالمحاضر والأحكام وما يتصل بذلك مما ينزل عند القضاء والحكام.

3- كتاب الفرائض (سعد، 2002م، 133/3، عبدالوهاب، 1990م، 677/2).

- وفاته: توفي الشيخ في العشرين من ربيع الأول سنة 451هـ، بالمهدية وقُبر بالمُنستير (ابن فرحون، د.ت، 240/2).

ثانيا- الجامع ومكانته العلمية:

الجامع لمسائل المدونة هو كتاب في الفقه المالكي، في جملة مجلدات كبيرة الحجم، طُبع مؤخرا، تناول فيه مؤلفه كل ما يتعلق بالفقه المالكي من عبادات، ومعاملات، وحدود، وآداب، إلى غيرها من أبواب الفقه، ويُعد هذا الجامع من أدق كتب المذهب ترتيبا وتبويبا، حيث مكث ابن يونس دهرا من الزمن في تأليفه، كيف لا ، وقد جمع فيه مسائل الفقه المالكي المتناثرة بين كتب الشروح والمختصرات التي قامت على المدونة، فضبطها وشرحها ورجّح بينها، واستدل لها.

إن من أهم الأسباب التي دفعت ابن يونس لتأليف كتابه الجامع هو محاولة منه لجمع واختصار مرويات المدونة وشروحها، إذ ساد قبل عصره كثرة الاختصارات للمدونة، ثم تلتها مرحلة الشروح والمطولات فتعارضت النقول واختلفت الروايات، ويتضح هذا من خلال قوله في مقدمة كتابه: " **فقد انتهى إلي ما رغب فيه جماعة من طلبة العلم ببلدنا في اختصار كتب المدونة، والمختلطة، وتأليفها على التوالي، وبسط ألفاظها تيسيراً، وتتبع الآثار المروية فيها عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن أصحابه رضي الله عنهم، وإسقاط إسناد الآثار، وكثير من التكرار، وشرح ما أشكل من مسائلها، وبيان وجوهها، وتمامها من غيرها من الكتب، فسارعت إلى ذلك رجاءَ النفع به، والمثوبة عليه إن شاء الله تعالى**" (ابن يونس، د.ت، 109/1)، وقد تحقق هدفه، ونجح أيما نجاح في ذلك، حتى سُمي كتابه من بعده مصحف المذهب، بل واعتمد عليه كل من جاء بعده مبتغيا شرح المدونة أو اختصارها، وها هو الشيخ خليل يعتمد عليه في مختصره فيجعله أحد الأربعة الذين اعتمد ترجيحهم، فيقول: "وبالترجيح لابن يونس"، ويقول

القاضي عياض: عليه اعتماد الطالبين.

فالجامع موسوعة فقهية ضخمة جمع فيه الشيخ ابن يونس ما تفرق من أقوال المذهب، في كتاب واحد مرتبة على مسائل المدونة، مبّسطا وشارحا لألفاظها ومسائلها، في أسلوب ميسّر في أغلب الأحيان بعيدا عن الاختصار أو الإطناب، مشفوعة بمناقشات وتكميلات وتوضيحات ومضيفا إليها الأدلة من القرآن والسنة وأقوال الصحابة إن استلزم الأمر.

ومن المعلوم أن رؤوس المذهب قد تفرقوا بين مصر والقيران والأندلس والكوفة والبصرة، فكان الجامع يقوم على الجمع بين تلك الأقوال على اختلاف مدارسها وأماكنهم، فاعتمد على النوادر والزيادات التي تمثل مدرسة القيروان، وعلى العُتبية التي تمثل الأندلس، والموّازية لابن الموّاز المصري، وما تناثر في النوادر والزيادات من أقوال البغداديين، ولعل هذا ما ميز الجامع عن غيره من المصنفات، وبه بلغ منزلة عالية بين طلاب العلم، في المشرق والمغرب، حتى وضع له اسم لبيان عظمته ومدى صحته وأمانة مؤلفه "وكان يُسمى مصحف المذهب لصحة مسائله ووثوق صاحبه" (الحسن، 1416هـ، 210/2).

ويمكن القول بأن أهمية هذا الجامع تكمن في النقاط الآتية:

أولها: سَعَة أفقه، واستيعابه لآراء أكثر فقهاء المالكية، حتى المهجور منها، والاستدلال لها، والترجيح بينها، يقول الدسوقي: "وخص ابن يونس بالترجيح – يقصد الشيخ خليل–؛ لأن أكثر اجتهاده في الميل إلى بعض أقوال من سبقه وما يختاره لنفسه قليل" (الدسوقي، د.ت، 22/1).

ثانيها: تحريه الدقة عند توثيق الآراء التي ينقلها، إذ يقوم بعزو تلك الأقوال إلى قائليها، حتى سموه مصحف المذهب للمبالغة في دقته وأمانته.

ثالثها: توليده المسائل، وابتكاره الأنظار والأبحاث، ومزجه بين البحث والجمع، والتحليل والتركيب والنقاش، وهذا يمكن تلمُسه في بعض المسائل التي

يطرحها الشيخ.

وبناء على ما قدمنا فإن الجامع لا يقل أهمية عن غيره من كتب الفقه المالكية، فهو إلى كونه تراثًا فقهيًا أصيلاً، وعطاءً فكريًا مُهمًّا، ظل مرجعاً معتمداً عند مشهوري الفقهاء، وكبار العلماء، يتداولونه، ويعتمدونه ويرجعون إليه في مؤلفاتهم الكثيرة، ومما يدل على هذه المرتبة لهذا الكتاب؛ اعتماد الشيخ خليل عليه في مختصره.

أما مصادره التي استقى منها مادته العلمية، فهي كثيرة، حيث اعتمد ابن يونس على كثير من الأمهات في الفقه المالكي، كان على رأسها المدونة الكبرى، ومن قبلها الموطأ، ثم النوادر والزيادات، وكذلك المقدمات، والواضحة والمجموعة، كما لم يهمل النقل عن المختصرات كمختصر ابن عبدالحكم، ومختصر البراذعي، ومختصر ابن أبي زيد القيرواني، كما نقل عن البيان والتحصيل فكان مرجعا أساسيا لابن يونس، كما أننا نجد ابن يونس يعتمد على بعض كتب الحديث كصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، هذه ذكرها صراحة، وهناك مصادر حديثية لم يذكرها صراحة بل استفادة من أحاديثها: كسنن النسائي وابن ماجة والترمذي، وغيرهم.

بعد هذه الجولة السريعة والمختصرة حول سيرة الشيخ الجليل محمد بن عبدالله بن يونس، واطلالة على كتابه الجامع وبيان ما يتمتع به مزايا، سنبدأ بحول الله وقوته في بيان أهم النقاط التي اتبعها ابن يونس في استنطاقه للسنة النبوية.

القسم الأول _ النظر في صحة الحديث

لم يكن لابن يونس كثير اهتمام بالتصحيح والتضعيف، إلا في بعض المواضع التي كان يستلزم فيها المقام التكلم عن سند الحديث وتوضيح ما فيه من نقد، ولكن مما يؤخذ عليه أنه استعمل هذا المنهج لترجيح مذهبه، في حين نجده يستدل في مواضع أخرى بأحاديث ضعيفة دون أن يلتفت لسندها وما فيها من وهن

وضعف، ومن الأمثلة على ذلك:

المثال الأول:

عند حديثه عن **مسألة نجاسة الماء إذا كان قليلا**، حيث استقر القول عند المالكية على أن الماء إذا كان أقل من قلتين وحلت به نجاسة ولم تتغير أحد أوصافه، يكون ماء مشكوكا فيه، وقد رجح ابن يونس هذا القول، وبين أن الحديث المُستدل به على طهارة القلتين هو حديث ضعيف بكل طرقه، فقال: "قال أبو بكر الأبهري: وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِذَا كَانَ المَاءُ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلِ الخَبَثَ» (الحاكم، 1411هـ، 225/1)، يعني يدفع النجاسة عن نفسه، فهو خبر ليس بصحيح عند أكثر أهل النقل، لا سيما عند علماء أهل المدينة، رواه ابن جريج عن محمد عن يحيى ابن عقيل عن يحيي بن النعمان عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومحمد مجهول، وكذلك يحيي بن عقيل، ورواه الوليد بن كثير، وهو كثير الغلط، ورواه محمد بن إسحاق، وهو ضعيف الحديث؛ تكلم فيه مالك، وهشام بن عروة، ويحيى القطان وغيرهم. ويحتمل إن صح الحديث أن يكون جواباً لسؤال سائل سأله عن قلتين وقع فيهما نجس هل ينجسهما؟ فقال: لا، لا أنه أراد به تحديداً" (ابن يونس، د.ت، 230/1).

المثال الثاني:

وذلك عند حديثه عن مسألة توريث الخال، حيث بيّن أن الحكم في ذلك هو التوريث عند عدم وجود وارث، فاعتُرض عليه بحديث أن النبي –صلى الله عليه وسلم– سئل عن توريث العمة والخالة فقال: «لَا شَيْءَ لَهُمَا» (الدار قطني، 1424هـ، 174/5)، (وقال ابن الخراط، 1995م، 231/3: وقد أسنده مسعدة بن يسع الباهلي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في أنه لا شيء لهما، ومسعدة ضعيف، بل متروك والصواب مرسل)، فقال ابن يونس عن الحديث: "فليس بصحيح ولا ثابت عنه، وهو حديث

منقطع لا يحتج بمثله على الأحاديث الصحاح" (ابن يونس، د.ت، 230/1)، والأحاديث الصحاح التي أشار إليها بيَّنها في قوله: "وقد روي أن الرسول عليه السلام قال: «الخَالُ وَارِثُ مَنْ لَا وَارِثَ لَهُ» (الترمذي، 1395هـ، 422/4)، ... وقوله: «أَنَا مَوْلَى مَنْ لَا مَوْلَى لَهُ أَرِثُ مَالَهُ وَأَفُكُّ عَانِيَهُ، وَالْخَالُ وَارِثُ مَنْ لَا وَارِثَ لَهُ يَرِثُ مَالَهُ وَيَفُكُّ عَانِيَهُ» (الحاكم، 1411هـ، 382/4)، وقال في حديث آخر: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ مَوْلَى مَنْ لَا مَوْلَى لَهُ، وَالْخَالُ وَارِثُ مَنْ لَا وَارِثَ لَهُ» (الترمذي، 1395هـ، 421/4).

القسم الثاني: عرض السنة على القرآن

إن أول طريق يجب اتباعه لكل من أراد أن يفهم مراد النبي صلى الله عليه وسلم من أحاديثه هو عرضها على كلام الله تعالى، إذ القرآن الكريم والسنة النبوية مصدران متلازمان للتشريع، لا غنى لأحدهما عن الآخر، فكما أننا نفسر القرآن الكريم بالسنة النبوية، كذلك عند تفسيرنا للسنة لابد من عرضها على القرآن الكريم، إذ قد يكون في أحدهما ما لا يكون في الآخر.

والإمام ابن يونس كان ملتزما بذلك في كثير من المواضع، إذ نجده لا يهمل عرض السنة على القرآن كل ما احتاج الأمر، ومن ذلك عند حديثه عن جواز الوضوء بالماء الذي خالطه نجس دون أن يُغير أحد أوصافه، فاستدل على ذلك الفهم من قوله تعالى: (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) [الأنفال: 11]، وقال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) [الفرقان: 48]، حيث قال: "فجعل الله تعالى الماء طاهراً مطهراً للأنجاس، وقد روي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «خلق الله الماء طهوراً لا ينجسه شيء، إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه» (لم أجده في كتب السنن بهذا اللفظ، ووجدت نحوه)، فدل على أنه يجوز الوضوء بالماء وإن خالطه نجس، إلا أن يتغير أحد أوصافه التي ذكرنا" (ابن يونس، د.ت، 229/1).

وهاك مثال آخر يجسّد المنهج المتبع عند ابن يونس في عرض السنة على القرآن للوصول إلى فهم صحيح وتطبيق سليم على المسائل الفقهية، ذلك عندما تحدث عن مسألة الطواف داخل الحِجر، هل يُجزئ أم لا؟، حيث عرض ما ورد في السنة من أحاديث تخص هذا الباب على قوله تعالى: **(وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ)**[الحج:29]، فقال: "قال عبد الوهاب: إنما لم يجز الطواف داخل الحجر, -خلافاً لأبي حنيفة- لقوله صلى الله عليه وسلم: « الْحِجْرُ مِنَ الْبَيْتِ» (مسلم، د.ت، 968/2)، وإذا ثبت أنه من البيت لم يجيزه أن يطوف فيه؛ لقوله تعالى: **(وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ)** [الحج:29]؛ ولأنه صلى الله عليه وسلم طاف خارج الحجر، وقال: «خُذُوا عَنِّى مَناسكَكُمْ»"(ابن يونس، د.ت، 501/2).

القسم الثالث_ الاستعانة بسبب ورود الحديث

لا يصح عقلا ولا شرعا قطع الحديث عن أسباب وروده والظرف الذي قيل فيه، لأن مما يعين على فهم النص فهما سليما أن تبحث في سبب وروده، وقد التزم الإمام ابن يونس في جامعه بهذا المنهج في كثير من المواضع؛ لأنه يعلم يقينا أن البحث في السبب من جملة ما يدل على مراد النبي صلى الله عليه وسلم.

منها على سبيل المثال لا الحصر عند حديثه عن مسألة غسل الإناء من ولوغ الكلب المأذون في اقتنائه، حيث أورد الخلاف في ذلك، وقال: " فوجه قوله الأول -يعني الإمام مالك-: أن الكلاب كثرت في المدينة فكانت تروع الناس فنهى النبي – صلى الله عليه وسلم – عن اقتنائها، وقال: «مَنِ اقْتَنَى كَلْبًا إِلَّا كَلْبَ مَاشِيَةٍ، أَوْ كَلْبَ صَيْدٍ نَقَصَ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطَانِ» (ابن حنبل، 1421هـ، 55/10)، فلم ينتهوا فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – «إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ، فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ» (ابن حنبل، 1421هـ، 89/15) فجعله تشديدًا عليهم، وتغليظًا، فكأن الحديث إنما ورد فيما لم يبح اتخاذه. والله أعلم ... قال مالك: يؤكل

صيده، فكيف يكره لعابه" (ابن يونس، د.ت، 156/1).

ونجد ابن يونس في بعض المواضع يصرح بسبب ورود الحديث ليرجح المذهب على من خالفه، ومن ذلك عند حديثه عن مسألة الطواف بغير طهارة، فقول مالك عدم الإجزاء، خلافا لأبي حنيفة الذي أباح ذلك، قال ابن يونس: "ولا يجزي الطواف بالبيت عند مالك إلا بطهارة"، ثم أورد حديث عائشة رضي الله عنها مبينا فيه سبب وروده؛ فقال: "وفي حديثها قال: قدِمتُ مكة حائضا، فشكوت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «افْعَلِي مَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي» (مسلم، د.ت، 873/2)، وخالف ذلك أبو حنيفة، وأجاز الطواف بغير طهارة" (ابن يونس، د.ت، 156/1).

كما أنه استعان بسبب ورود الحديث في تقريره مسألة الإباحة في الرمل في طواف القدوم وعدم القول بوجوبها، فقال: "وذكر ابن عباس السبب في ذلك فقال: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ ... فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ يَقْدُمُ عَلَيْكُمْ قَوْمٌ قَدْ وَهَنَتْهُمْ الْحُمَّى وَلَقُوا مِنْهَا شَرًّا فَأَطْلَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا قَالُوهُ: " فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ الثَّلَاثَةَ ... فَلَمَّا رَأَوْهُمْ رَمَلُوا قَالُوا: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْتُمْ أَنَّ الْحُمَّى قَدْ وَهَنَتْهُمْ هَؤُلَاءِ أَجْلَدُ مِنَّا (أبو داوود، د.ت، 178/2)" (ابن يونس، د.ت، 497/2).

القسم الرابع: الاستعانة بالوحدة الموضوعية للنصوص

والذي أقصده من هذا المطلب هو جمع كل الأحاديث الواردة في المسألة الواحدة، والنظر في مجموعها، إذ من ضوابط العلماء الثابتة لفهم السنة هو جمع طرق الحديث في موضع واحد والنظر فيها مجتمعة، لتتكون صورة كاملة للمسألة مستخلصة من كامل ألفاظ الحديث وعباراته المختلفة، وبهذه الطريقة يتمكن الناظر في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم من إدراك حقيقة المعنى والإحاطة بكامل جزئياته ودقائقه، والوقوف على ألفاظه الغريبة والمبهمة، وبهذه الطريقة يمكن

الوصول إلى إصدار حكم فقهي صحيح يدل عليه النص النبوي.

المثال الأول:

تحدث ابن يونس في جامعه عن مسألة الزكاة في مال الصبي واليتيم، وبيّن أن القول الفصل فيها الوجوب، ولكن ابن حنيفة خالف ما ذهب إليه الجمهور من وجوبها، فرد عليه ابن يونس وبين أن الوجوب فيها آكد، وكان من أدلته التي أثبت بها وجوب المسألة أن جمع الأحاديث في الباب، فقال: "وقال أبو حنيفة: ليس على الصبيان والمجانين زكاة مال ولا ماشية، والدليل على صحة قولنا: قوله تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ) [التوبة: 103]، فهو على عمومه، ولأنه حر مسلم تام الملك فأشبه الكبير، ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «أمرت أن آخذ الصدقة من أغنيائكم فأردها في فقرائكم» (ابن عبدالبر، 1387هـ، 194/16) فعم، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «اتَّجِرُوا فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى لَا تَأْكُلُهَا الزَّكَاةُ» (الطبراني، د.ت، 264/4)، وهذا نصه وقاله عمر، وعلي، وابن عمر" (ابن يونس، د.ت، 242/2).

المثال الثاني:

وذلك عند الحديث عن مسألة أوقات تكره فيها النافلة، حيث وقع خلاف في ذلك كبير، فيرى المالكية أن الكراهة عام في كل نفل ما خلا الفرض، بينما الأحناف والشافعية يرون أن الكراهة لا تعمُّ ذوات الأسباب من الصلوات، كتحية المسجد وسجود التلاوة، وقد عرض ابن يونس المسألة وجمّع كل الأحاديث التي تناولت المسألة ليفسر الحديث داخل وحدته الموضوعية ليصل إلى حكم صحيح، حيث قال: "وإنما تكره الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها؛ لما رواه مالك في الموطأ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَحَرَّوْا بِصَلَاتِكُمْ عند طُلُوعَ الشَّمْسِ، وَلَا عند غُرُوبَهَا، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بِقَرْنَيْ الشَّيْطَانِ، أو قال على قرن شيطان أو نحو هذا» (مالك، 1406هـ، 15/1)، وكان عليه السلام يقول: ««إِذَا بدا حَاجِبُ

الشَّمْسِ [فأخروا] الصَّلَاةَ حَتَّى تَبْرُزَ، وَإِذَا غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ [فأخروا] الصَّلَاةَ حَتَّى تَغِيبَ» (البخاري، 1311هـ، 122/4)، وروي في حديث آخر أنه عليه السلام: «نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، وَعَنِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ» (مالك، 1406هـ، 221/1)، وهذه حجتنا على الشافعي رضي الله عنه في جواز ما له سبب مثل: تحية المسجد" (ابن يونس، د.ت، 519/1).

القسم الخامس_ دفع التعارض بين الأحاديث

اتفق العلماء قاطبة على وجوب دفع التعارض بين النصوص إن وجد (الزحيلي، 1427هـ، 411/2)، فالتعارض قد يقع ظاهريا بين بعض النصوص، ومن واجب العلماء أن يزيلوا ذلك التعارض بأحد الطرق المتبعة في ذلك، ونجد الإمام ابن يونس ملتزما بمعالجة تلك الظاهرة فنجده في مواضع كثيرة يدفع التعارض –المُتوهم– بين أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم باتباع منهج المحدثين فيبدأ **بالجمع بين المتعارضين، فإن لم يتمكن ينتقل إلى فرضية النسخ إن أمكن وإلا فينتهي إلى ترجيح أحدها على الآخر**، وسأذكر بعض الأمثلة التي تجسد ذلك المنهج المذكور:

الفرع الأول: الجمع بين النصين:

ويكون ذلك بحمل النصين المتعارضين على محمل يجمع بينهما في دلالة واحدة يكون كلا النصين يحتملها في سياقه، ومن ذلك:

المثال الأول: تحدث ابن يونس عن مسألة نجاسة المني، وأن طهارة الثوب من المني غسله بالماء، حيث روي عن السيدة عائشة حديثين في المسألة، حديث ينص على الغسل بالماء، وآخر ينص على الفرك دون ذكر الماء، وقد جمع ابن يونس بين الحديثين فقال: "فإن قيل: فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كُنْتُ أَفْرُكُ الْمَنِيَّ، مِنْ ثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (مسلم،

د.ت، 238/1)، ثم يخرج إلى الصلاة، قيل: وقد روي أن بالماء فركته عائشة" (ابن يونس، د.ت، 190/1).

المثال الثاني: أورد ابن يونس الخلاف الحاصل في مسألة الوضوء من مس الذكر، حيث ورد في ذلك حديثان ظاهرهما التعارض، فنص الحديث الأول على وجوب الوضوء «إِذَا مَسَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ» (الحاكم، 1411هـ، 231/1)، بينما دل الحديث الثاني على عدم وجوب الوضوء وهو حديث طلق بن علي أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوضوء من مس الذكر، فقال: «هَلْ هُوَ إِلَّا بَضْعَةٌ مِنْكَ» (الدار قطني، 1424هـ، 273/1)، وقد خالف الحنابلة في ذلك، وقالوا بأن الوضوء في الحديث محمول على الوضوء اللغوي، وبهذا يمكن العمل بهما، بينما كان لابن يونس رأي آخر في الجمع بين الحديثين، حيث قال: "وأما قولهم: يحمل ما رويتموه على الوضوء اللغوي، فقد روينا أنه عليه السلام قال «إِذَا مَسَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ» (الدار قطني، 1424هـ، 267/1) مع أن لنا أن نستعمل ما ذكروه من حديث طلق أنه إذا مسه لغير شهوة، ونستعمل ما رويناه إذا مسه لشهوة فيصح بذلك استعمال الأخبار، وبالله التوفيق" (ابن يونس، د.ت، 176/1-178).

الفرع الثاني: القول بالنسخ

وهي قاعدة معروفة عند العلماء، يلجؤون إليها عند تعذر الجمع بين الدليلين ما أمكن، ولكن يشترط لها معرفة تواريخ النصوص، ونجد ابن يونس سلك هذا المنهج، فعند تعذر الجمع بين الأحاديث يلجأ إلى تفعيل قاعدة النسخ.

المثال الأول: عند حديثه عن مسألة خيار البيع، حيث قرر أن للبائع والمشتري الخيار في ذلك حتى بعد انفضاض المجلس إذا كان الخيار مشروطا، وقد عارض هذا الحكم حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه بين أن الحديث المعارض هو منسوخ ولم يقم عليه عمل، حيث قال: " وقد تقدم في الباب

الأول أن من قول مالك إذا انعقد البيع باللفظ فلا خيار لواحد منهما إلا أن يشترط الخيار وحديث ابن عمر: «" البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا» (البخاري، 1311هـ، 58/3) ليس بمعمول به، وهو منسوخ بقول النبي – صلى الله عليه وسلم – «المُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ» (الترمذي، 1395هـ، 626/3)، وبقوله ««إِذَا اخْتَلَفَ الْبَيِّعَانِ [...] اسْتُحْلِفَ الْبَائِعُ» (الدار قطني، 1424هـ، 408/3)، فلو كان الخيار بينهما ما كلف البائع يمينًا" (ابن يونس، د.ت، 352/8)، ثم نقل قول ابن حبيب ليؤكد على أن النسخ قائم بين النصوص، فقال: "قال ابن حبيب: وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن من حديثي ناسخًا ومنسوخًان فخذوا بآخر حديثي فبذلك أمرت»" (ابن يونس، د.ت، 351/8).

المثال الثاني: أورد ابن يونس مسألة الْتقاء الختانين هل توجب الغسل أم لا؟، ثم عرض الأقوال في المسألة، واستدل بحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا الْتَقَى الْخِتَانَانِ، فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ» (الشافعي، 1425هـ، 197/1)، ولكنه في الباب حديث آخر يُعارض حديث عائشة، وهو ما روي عن أبي سعيد الخُدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ» (مسلم، د.ت، 297/1)، إذ لا يمكن الجمع بينهما بحال، فلجأ ابن يونس إلى تقرير حكم النسخ بينهما فقال: " وأبين من ذلك أن: «الماء من الماء» منسوخ، كما قال أبي بن كعب" (ابن يونس، د.ت، 245/1)، كما نقل قول عمر رضي الله عنه أن: " من خالف في هذا –يعني الغسل من التقاء الختانين–جعلته نكالاً" (ابن يونس، د.ت، 245/1) .

الفرع الثالث: الترجيح

وهي آخر السُبل لدفع التعارض بين أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما لم يُفلح الجمع ولا النسخ في دفع التعارض؛ فإن ابن يونس يبحث في إمكانية الترجيح بينهما بمرجّح مُعتبَرٍ عند العلماء، إذ لا يمكن إهمال دليل دون

وجود مُرجّح أقوى منه، ومن الأمثلة على ذلك:

المثال الأول: عند حديثه عن مسألة أكل الجوارح المعلّمة من صيدها، فقد ورد في هذه المسألة حديثان، واحد يحرم الأكل منها وهو ما روي عن عدي بن حاتم أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكلب فقال: «إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ الْمُعَلَّمَ فَاذْكُرِ اسْمَ اللهِ، فَإِنْ أَدْرَكْتَهُ لَمْ يَقْتُلْ فَاذْبَحْ، وَاذْكُرِ اسْمَ اللهِ، فَإِنْ أَدْرَكْتَهُ قَدْ قَتَلَ وَلَمْ يَأْكُلْ فَكُلْ، فَقَدْ أَمْسَكَهُ عَلَيْكَ، فَإِنْ وَجَدْتَهُ قَدْ أَكَلَ مِنْهُ فَلَا تَطْعَمْ مِنْهُ شَيْئًا، فَإِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ» (النسائي، د.ت، 459/4)، **والثاني** يدل على جواز الأكل منها وهو ما روي عن أبي ثعلبة الخشني أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي كِلَابًا فَأَفْتِنِي فِي صَيْدِهَا؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا كَانَتْ مِنْ كِلَابٍ مُعلَّمَةٌ فَكُلْ مَا أَمْسَكَتْ، فَقَالَ : ذَكِيٌ أَوْ غَيْرَ ذَكِيٍّ؟، قَالَ: نَعَمْ، فقال: وإِنْ أَكَلَتْ مِنْهُ شَيْئًا؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نَعَمْ، وإِنْ أَكَلَتْ» (أبو داوود، د.ت، 110/3)، وهما حديثان صريحان في المسألة، ويتعذر الجمع بينهما، قال ابن المواز:" رُوي هذا الحديث، وروي نقيضه"، وبناء على هذا التعارض لجأ ابن يونس إلى الترجيح بين الحديثين الصحيحين، حيث رجح ابن يونس جواز الأكل منه، لأنه موافق لقوله تعالى: **(فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ)** [المائدة: 4]، قال ابن يونس: " قال ابن حبيب –تعليقا على الآية–: مما صِدْن لكم وأَدْرَكن، ليس يريد: أن يمسكه فلا يأكل منه" (ابن يونس، د.ت، 13/3)، فهذا ترجيح بعرض السنة على القرآن، وكذلك رجحه بعمل أهل المدينة، حيث قال: " قال ابن المواز: فهذان حديثان عن الرسول صلى الله عليه وسلم صحب أحدهما العمل، وقال به جماعة من الصحابة والتابعين وغيرهم" (ابن يونس، د.ت، 14/3).

المثال الثاني: يمكن القول بأن أغلب ترجيحات ابن يونس بين النصوص الحديثية قائم على عمل أهل المدينة؛ وهذا مبني على أصول المالكية إذ يرون أن

عمل أهل المدينة أثبت من أخبار الآحاد (الجويني، د.ت، 113/3)، ومن المسائل التي لجأ فيها ابن يونس إلى الترجيح، مسألة إمامة الجالس للقائمين، حيث عرض الأقوال في المسألة، واستدل فيها بحديث ربيعة: «أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج وهو مريض، وأبو بكر يصلى بالناس، فصلى النبي صلى الله عليه وسلم جالسًا بصلاة أبى بكر، وكان أبو بكر الإمام» (الحاكم، 1411هـ، 370/1)، ولكن قد عُورض هذا الحديث بما روي: أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّىَ إِلَى جَنْبِ أَبِى بِكْرٍ فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّى بِصَلَاةِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ النَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاةِ أَبِى بَكْرٍ» (مسلم، د.ت، 138/1)، ثم فصل القول في ذلك فقال: " قد قال مالك: العمل عندنا على حديث ربيعة بن عبد الرحمن، وعمل أهل المدينة أثبت من أخبار الآحاد" (ابن يونس، د.ت، 451/1) .

القسم السادس_ الاستعانة بفقه الصحابة والأئمة

وقد كثُر هذا عند ابن يونس، إذ الاستعانة عنده على وجهين، إما لتوضيح معاني ألفاظ الحديث وهذا قليل جدا، وإما للاستعانة في توجيه الحديث وإثبات فقهه، وهذا منهج معروف عند العلماء.

ومن الأمثلة على الأول: ما ورد عند حديثه عن مسألة القضاء في من زرع أرضا مغصوبة أو بنى عليها، حيث أورد حديث النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، ثم أردفه بتوضيحات من التابعين لمعنى "العِرْق"، فقال: " قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ، وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ» (الترمذي، 1395هـ، 654/3)، والغاصب هو: العرق الظالم، قال هشام بن عروة: العرق الظالم أن يغرس في أرض غيره، وقال ابن ربيعة: العروق أربعة: عرقان فوق الأرض وهما الغرس والبناء، وعرقان في جوفها وهما: المياه والمعادن (ابن حجر، 1379هـ، 19/5)" (ابن يونس، د.ت، 253/6).

ومن الأمثلة على الثاني: ما ورد عند حديثه عن مسألة وجوب غسل الأرجل

في الوضوء ولا يجزئ فيها المسح، حيث أورد حديث: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ»، ثم قال: "رواه مالك في الموطأ (1406هـ، ص19) عن عائشة رضى الله عنها عن النبي عليه السلام، وروى البخاري (1311هـ، 22/1) عن عبد الله بن عمر قال: تَخَلَّفَ عَنَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفْرَةٍ سَافَرْنَاهَا فَأَدْرَكَنَا – وَقَدْ أَرْهَقَتْنَا الصَّلَاةُ – وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فإن قيل: فقد قرئ: (**وَأَرۡجُلِكُمۡ**) [المائدة: 6] (بالخفض) عطفاً على مسح الرأس، قيل: فإن الأئمة الذين قرأوا بالخفض كانوا يغسلون، وحجتهم في القراءة أن من شأن العرب الاتباع على المجاورة، كقولهم: هذا جحر ضب خرب، فيخفضون خرباً على الجوار، والاتباع لضب، ومعناه خرب، لأنه صفة للجحر؛ لأن الضب لا يخرب (ابن يونس، د.ت، 123/1).

ولو تتبعنا كامل منهجه لطال بنا المقام، ولكن فيما ذكرنا ما يغني عن ذلك وكفاية، ولعل يأتي من يدرسه في رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه فيفصل القول ويطيل المسائل.

النتائج والتوصيات

بعد هذه المصاحبة السريعة مع جامع ابن يونس، لابد من تسجيل أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، وما يمكن أن توصي به.

أولا_ النتائج:

تتلخص أهم النتائج في التالي:

1. أن ابن يونس جمع في كتابه بين نقل أقوال المالكية والاستدلال عليها بالأحاديث والآثار، حيث أحصيت له أكثر من ألفي حديث في أغلب الكتاب، وهذا يدحض تهمة أن المذهب المالكي لا يهتم بالدليل.

2. أن ابن يونس له معرفة كبيرة بعلم الحديث دراية ورواية، إذ نجده كثير

الحفظ، وله تدخلات وتعليقات في الأحاديث تصحيحا وتضعيفا وبيانا للمعنى.

3. التزم ابن يونس في كثير من الأحيان باتباع الدليل الصحيح.

4. أن مما يؤخذ على ابن يونس اهتمامه بالتصحيح والتضعيف عند ترجيح مذهبه، في حين نجده في بعض الأحيان يستدل بالضعيف.

5. أن فهم الحديث يستلزم منهجا منضبطا للوصول إلى مراد النبي صلى الله عليه وسلم، وقد اتبع ابن يونس ذلك المنهج.

ثانيا_ التوصيات

كما يمكن تسجيل بعض توصيات، ومنها:

1. الاهتمام بمثل هذه الدراسات المتعلقة بفهم السنة النبوية الاهتمام البالغ، لما لها من أهمية في تصحيح كثير من الفهوم الزائغة لسنة النبي صلى الله عله وسلم.

2. حث المؤسسات التعليمية لتوجيه طلاب الدراسات العليا لمثل هذه الدراسات، بحيث تكون لها الأولوية عند الأقسام المتخصصة؛ فهو مازال شبه منسي مقارنة بمواضيع أخرى خاصة بالتصحيح والتضعيف.

وأخيرا، هذا ما وفقنا الله لكتابته، فإن أصبنا فمن الله وحده، وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان، والحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أكمل المخلوقات، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

المصادر والمراجع

1. ابن الخراط، 1995م، الأحكام الوسطى من حديث النبي، تح: حمدي السلفي، صبحي السامرائي، مكتبة الرشد، الرياض.
2. الزركلي، 2002م الأعلام، دار العلم للملايين، ط15.
3. المباركي، 1997م، أحمد بن حسين، 1997م، الإمام الفقيه المجاهد ابن يونس الصقلي قسم الحدود والأشربة والجراح والجنايات والديات دراسة وتحقيق، جامعة أم القرى، أطروحة دكتوراه مرقونة.
4. ابن الملقن، 1425هـ، البدر المنير، ، تح: مصطفى أبو الغيط، وآخرون، دار الهجرة، الرياض، ط1.
5. محفوظ، 1994م، تراجم المؤلفين التونسيين، لمحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2.
6. عياض، د.ت، ترتيب المدارك، تح: سعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ط1.
7. ابن حجر ، 1416هـ، التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تح: أبو عاصم حسن بن عباس، مؤسسة قرطبة، مصر، ط1..
8. الجويني، د.ت التلخيص في أصول الفقه، تح: عبدالله جولم، وبشير أحمد، دار البشائر الإسلامية، بيروت.
9. ابن عبدالبر، 1387هـ، التمهيد، تح: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبدالكبير، وزارة عموم الأوقاف، المغرب.
10. السيوطي، 1426هـ،الجامع الكبير، تح: مختار إبراهيم الهائج، الأزهر الشريف، القاهرة، ط2..
11. ابن يونس، د.ت، الجامع لمسائل المدونة والمختلطة، تح: أبو الفضل الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت.

12. سعد، قاسم بن علي، 2002م، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية: لقاسم علي ، دار البحوث للدراسات، دبي، ط1.
13. الدسوقي، د.ت، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، بيروت.
14. ابن فرحون، د.ت، الديباج المذهب، تح: محمد الأحمدي، دار التراث، القاهرة.
15. أبو داود، د.ت، سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
16. الترمذي، 1395هـ، سنن الترمذي، تح: إبراهيم عطوة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط2.
17. الدرا قطني، 1424هـ، سنن الدار قطني، تح: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1..
18. ابن مخلوف، 1424هـ، شجرة النور الزكية، لابن مخلوف، تح: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1..
19. عبدالحي الحنبلي، 1406هـ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبدالحي الحنبلي، تح: محمود الأرنؤوط، دار بان كثير، دمشق، ط1.
20. البخاري، 1311هـ، صحيح البخاري، تح: جماعة من العلماء، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر.
21. مسلم، د.ت، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
22. ابن حجر، 1379هـ، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت.
23. الحسن، محمد بن الحسن، 1416هـ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد لن ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ.

24. عبدالوهاب، 1990م، كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، ط1.
25. الهيثمي، 1414هـ، مجمع الزوائد، تح: حسام الدين المقدسي، مكتبة القدسي، القاهرة.
26. خليل، 1426هـ، مختصر خليل، تح: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ط1.
27. الحاكم، 1411هـ، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1..
28. أحمد، 1421هـ، مسند الإمام أحمد، تح: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1.
29. الشافعي، 1425هـ، مسند الإمام الشافعي، ترتيب سنجر، تح: ماهر ياسين فحل، شركة غراس للنشر، الكويت، ط1.
30. المراكشي، د.ت، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، للدباغ، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس.
31. الطبراني، د.ت، المعجم الأوسط، تح: طارق بن عوض، وعبدالمحسن بن إبراهيم، دار الحرمين، القاهرة.
32. الحطاب، 1412هـ، مواهب الجليل، دار الفكر، بيروت، ط3..
33. مالك، 1406هـ، الموطأ، تح: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
34. الزحيلي، 1427هـ، الوجيز في أصول الفقه، دار الخير للطباعة والنشر، دمشق، ط2.

تباين خصائص الغطاء النباتي وهشاشة تركيبته في المراعي الطبيعية بمنطقة جنوب الجبل الأخضر

أ. حبيب عوض يونس
كلية البيئة، جامعة بنغازي.

د. منعم وافي سعيد
كلية الآداب والعلوم الأبيار. جامعة بنغازي

أ. إبراهيم مساعد محمد
كلية البيئة، جامعة بنغازي

أ. زادم راف الله زادم
كلية العلوم، جامعة بنغازي.

أ. د. يعقوب محمد البرعصي
كلية العلوم، جامعة بنغازي.

المستخلص:

تناولت هذه الدراسة خصائص الغطاء النباتي بمناطق مراعي جنوب الجبل الأخضر الواقعة شمال شرق ليبيا. تمثل منطقة الدراسة جزء كبير من مناطق جنوب الجبل الأخضر، حيث تغطي الدراسة حوالي 15813 كم^2، وتمتد من منطقة العزيات شرقا إلى وادي عدوان جنوب الخروبة غرباً. يتراوح ارتفاع المنطقة فوق مستوى سطح البحر ما بين 740 متر في الشمال إلى حوالي 120 متر في الجنوب. أجريت هذه الدراسة خلال السنوات 2019 – 2020، واستهدفت الدراسة الاختلافات المكانية (بين المناطق) والزمانية (بين الفصول) للغطاء النباتي (ديناميكية الغطاء النباتي). قسمت منطقة الدراسة إلى 15 قطاع يمتد كل منها من الشمال إلى الجنوب، عشر قطاعات في المناطق المفتوحة، وخمسة في مناطق الأودية. على طول كل قطاع تم تحديد أربع نقاط لوضع مربعات (5 × 5 متر) حسب طريقة (Braun Blanquet, 1951) المعدلة، إذ تم دراسة 60 مربع في كامل المنطقة، مساحة المربع الواحد تبلغ 25 م^2، وتم وضع علامات وأخذ إحداثياتها للرجوع إليها وإعادة دراستها في كل فصل من فصول السنة. تم تعريف جميع النباتات التي وجدت داخل المربعات وأخذ كل القياسات المطلوبة، ومتابعتها خلال فصول السنة الأربعة. بينت النتائج أن الأودية

أفضل من الأراضي المفتوحة في جميع قياسات الغطاء النباتي، وكان أفضل الفصول هو فصل الربيع في جميع مربعات الأودية والأراضي المفتوحة، بينما أفضل قطاعات بالنسبة للتغطية النباتية كان قطاع منطقة مسوس بالأراضي المفتوحة بنسبة 0.13% وقطاع وادي الثعبان بالأودية بنسبة بلغت 0.31%، وكذلك أفضل القطاعات للتنوع النباتي قطاع منطقة مسوس بمتوسط 2.12 وقطاع وادي هيشة الثعبان بمتوسط 1.31. أما فيما يخص قياس كثافة النباتات، فكان أفضلها قطاع منطقة العزيات وقطاع وادي سمالوس بمتوسط بلغ 0.63 و0.42/م² وكانت أعلى وفرة نباتية في فصل الخريف، وكان الأكثر وفرة في قطاعات الأراضي المفتوحة هو نبات الرمث (*Haloxylon scoparium* Pomel) بنسبة 51.57%، والنبات الأكثر وفرة في الأودية هو نبات الحرمل (*Peganum harmala* L.) 55.71%. وتبين من نتائج الغطاء النباتي أن السيادة كانت لنبات الرمث في الأراضي المفتوحة بينما في الأودية السيادة كانت لنبات الحرمل.

الكلمات المفتاحية: المراعي الجافة، التغيرات الزمانية، التغيرات المكانية، خصائص الغطاء النباتي.

1. المقدمة (Introduction)

تعنبر الأراضي الجافة نوعًا فريدًا من النظم الإيكولوجية التي تتميز بندرة المياه وانخفاض هطول الأمطار، وتعيش النباتات والحيوانات فيها بفضل القليل من المياه، وتتكيف مع موجات الجفاف والحر الشائعة في هذه المناطق. مع ذلك مجرد أن تكون هذه المناطق جافة لا يعني أنها قاحلة، حيث أن أكثر من ربع غابات العالم تقع في الأراضي الجافة، وهناك أشجار فيما يقارب ثلث مناطق الأراضي الجافة في العالم، أي أن ما يعادل 1.1 مليار هكتار من الغابات تتواجد في الأراضي الجافة وشبه الجافة حول العالم (منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، 2021: ص1).

بالنسبة لليبيا، تتعدد فوائد وأهمية الغطاء النباتي الطبيعي في المناطق الجافة، متمثلة في الفوائد المباشرة وغير المباشرة التي يقوم بها الغطاء النباتي، فمن السهولة مشاهدة أو لمس بعض الفوائد المباشرة ولكن يصعب علينا ملاحظة الفوائد الكبيرة غير المباشرة، والتي يلزمها سنين لمعرفة أهميتها على حياتنا اليومية وحياة أجيالنا القادمة وعلى النظم الإيكولوجية بشكل عام. ورغم أهمية الغطاء النباتي الطبيعي الكبيرة إلا أنه يتعرض لتدهور سريع، ففي ليبيا ودول شمال أفريقيا مثل تونس والجزائر والمغرب تقدر الأراضي التي تتصحر سنوياً في هذه البلدان بحوالي 100 ألف هكتار سنوياً (Le Houerou, 1965: p1).

من ذلك، إذا لم يتغذى أصغر الحشرات على النباتات البرية فلربما انكسرت السلسلة الغذائية وقد تنعدم الحياة ولن يستمر توجد أي حشرات أو قوارض أو أي نوع من الحياة البرية الأخرى. لذلك يعتبر الغطاء النباتي هو القاعدة الأساسية في الهرم الغذائي لكافة الكائنات الحية. كما يعتبر الغطاء النباتي من أهم مصادر تنقية الجو، حيث يقوم النبات بامتصاص ثاني أكسيد الكربون ويمدنا بالأكسجين اللازم للحياة، وذلك من خلال عملية التمثيل الضوئي باستخدام الطاقة

الشمسية. كما يستخدم الغطاء النباتي كعلاج عن طريق النباتات الطبية، التي عرفها الإنسان من خلال استكشاف الغطاء النباتي قبل أن يتعلم زراعة هذه النباتات. بالإضافة إلى أنه مثبت طبيعي للكثبان الرملية ويمنع الانجراف وتعرية التربة. وفي حالة تدهور الغطاء النباتي نجد زيادة تأثير عوامل التعرية مما يتيح التمدد لظاهرة التصحر، وهي عبارة عن اتساع رقعة الصحراء وتناقص المساحات الخضراء (جرعتلي، 2011: ص1).

لقد أدى تأثير العوامل البيئية إلى ظهور تكوينين رئيسين للغطاء النباتي في الجبل الأخضر وهما تكوين القاريق (Garrigue) والذي يتركز في المناطق الساحلية والشمالية للجبل الأخضر، وتكوين الاستبس (Steppes) الذي يتركز في المناطق الجنوبية من الجبل الأخضر ذات الارتفاع المنخفض عن سطح البحر وندرة الأمطار، وهي المناطق التي يكثر فيها النشاط الرعوي وتشمل منطقة الدراسة (زايد وآخرون، 2003: ص112).

ومن هنا يتضح لنا أن كل إقليم تختلف الأنواع النباتية الموجودة به عن الأقاليم الأخرى، فمثلاً ظهور أنواع الاستبس مؤشر كافي لبداية إقليم جنوب الجبل الأخضر. ويختلف الغطاء النباتي من مكان لأخر حسب ظروف طبيعية تحكمه مثل عوامل التربة والمناخ وخصائص الموقع. إذ توجد أنواع نباتيه بمنطقة الدراسة تنتشر بشكل أكبر في الأودية مثل نبات السدر (*Ziziphus lotus* Lam) والجداري (*Searsia tripartita* (Ucria) Moffett) والرتم (*Retama raetam* Webb & Berthel) والحارة (*Diplotaxis harra* Forssk.) والشيح (*Artemisia herba*-alba Asso) والزعتر (*Thymbra capitata* (L.) Cav) والقرضاب (*Polygonum equisetiforme* Sibth. & Sm.) والقبار (*Capparis spinosa* L.) والسلوف (*Rhamnus lycioides* L.) بينما نبات الرمث (*Haloxylon scoparium* Pomel) والقزاح (*Deverra tortuosa*

والعجرم (*Anabasis articulata* Moq.) والحرمل (*Peganum* DC.) والقطف (*harmala* L.) والجل (*Atriplex halimus* L.) تكثر في الأماكن المفتوحة (*Salsola tetrandra* Delil.).

ومن هنا فإن أهمية هذه الدراسة تكمن في أهمية المنطقة المدروسة نفسها، إذ تعاني هذه المنطقة من تدهور واضح، وتغير في خصائص ونوعية الغطاء النباتي، وأحيانا فقدانه، وكذلك التغيرات خلال فصول السنة، بالإضافة إلى ندرة المياه لكون وقوع المنطقة في ظل المطر بالنسبة للجبل الأخضر. كما تعاني المنطقة من انجراف التربة الناتج من دفع المياه القادم من أماكن بعيدة خاصة من مناطق مرتفعات الجبل الأخضر إلى الشمال منها، مما يجعلها أكثر عرضة للتدهور والتصحر.

2.أهداف الدراسة (Research aims)

1. تقييم الوضع الحالي للغطاء النباتي بمنطقة مراعي جنوب الجبل الأخضر.
2. دراسة الاختلافات الزمانية والمكانية للغطاء النباتي.

3.الدراسات السابقة(Literature review)

درس الجالي عام (2016) الآثار البيئية لنشاط الكسارات في حوض وادي الرملة جنوب الجبل الأخضر، حيث هدفت دراسته إلى معرفة أهم الآثار السلبية لنشاط الكسارات واعتمد الباحث خلال دراسته على الزيارات الميدانية ووضع الملاحظات المباشرة للمشكلة، حيث توصل من خلال الدراسة إلى أن انتشار الكسارات في المناطق الرعوية يؤدي إلى تدهور وتناقص الغطاء النباتي بسبب حركة الشاحنات المستمرة، حيث أن الغبار الناتج عن أعمال الحفر وحركة

الشاحنات يؤدي إلى تهالك النباتات واضعاف القدرة الإنتاجية للتربة وتعرضها للانجراف وتزايد نشاط العواصف الترابية.

قامت رحيل وآخرون عام (2019) بدراسة الفلورا الليبية في المناطق الشبه الصحراوية الممتدة ما بين سلوق والأبيار حيث وجدت 210 نوع نباتي، تنتمي إلى 157 جنس وعدد 51 عائلة نباتية من معراة البذور (Gymnosperms)، وعدد 49 عائلة نباتية من مغطاة البذور (Angiosperms). حيث كانت أعلى نسبة للنباتات الحولية (Therophytes) بنسبة (55.2%)، ثم النباتات المعمرة القصيرة (Chamaephytes) بنسبة (26%)، ثم النباتات الأرضية(Cryptophytes) بنسبة (11.4%)، ومن ثم النباتات الطويلة المعمرة (Phanerophytes) بنسبة (7.1%). أما فيما يخص التنوع النباتي بمنطقة الدراسة فتراوحت قيمته ما بين (25 – 136) بناءاً على قانون (Species richness-Alpha)، أما على حسب (Species turnover-Beta) فتراوحت قيمته ما بين (11.9 – 77.6%).

كما قام (Saaed et al., 2019) بدراسة خزان البذور في منطقة دافنة الواقعة في برقه على الساحل الليبي في الجزء الشمالي الشرقي على الحدود الليبية المصرية. حيث تم تحديد خمس قطاعات للدراسة وأخذت 40 عينة على طول هذه القطاعات على عمق يبدأ من 0 الى 10سم في المناطق المرتفعة والسطحية بينما من0 الى10 سم ومن 10 الى 30 سم في الأودية والمنخفضات، وتم استعمال محلول كيميائي لفصل البذور من عينة التربة وتحليلها. حيث وجدت كثافة البذور تتراوح ما بين 0 الى 25400 بذرة/م2، بمتوسط عام وقدره 4110 بذرة/م2. أما في الأودية فكانت كثافة البذور أكثر من المناطق المرتفعة مع ملاحظه أن كثافة البذور كانت أكثر في شمال المنطقة من جنوبها. كما هيمنت بذور الأنواع الحولية على أغلب المنطقة، وقل وجود بذور الأنواع المعمرة في خزان البذور. وهذه

علامة على تدهور المراعي في المنطقة الأمر الذي قد يعيق تحسينها أو إعادة تأهيلها مستقبلاً.

4.مواد وطرق البحث (Methods and materials)

1.4. منطقة الدراسة (Study area)

تقع منطقة الدراسة شمال شرق ليبيا جنوب الجبل الأخضر (شكل 1)، وتمتد فلكيا بين خطي طول ’21.028 °20 – ’54.844 °22 غرباً، ودائرتي عرض °32 42.457 – ’32.407 °31 شمالاً. وتغطي مساحة منطقة الدراسة حوالي 15813 كيلومتر مربع (1581316 هكتار)، وتمتد حدودها من منطقة العزيات شرقاً إلى وادي عدوان جنوب غرب منطقة الخروبة غرباً.

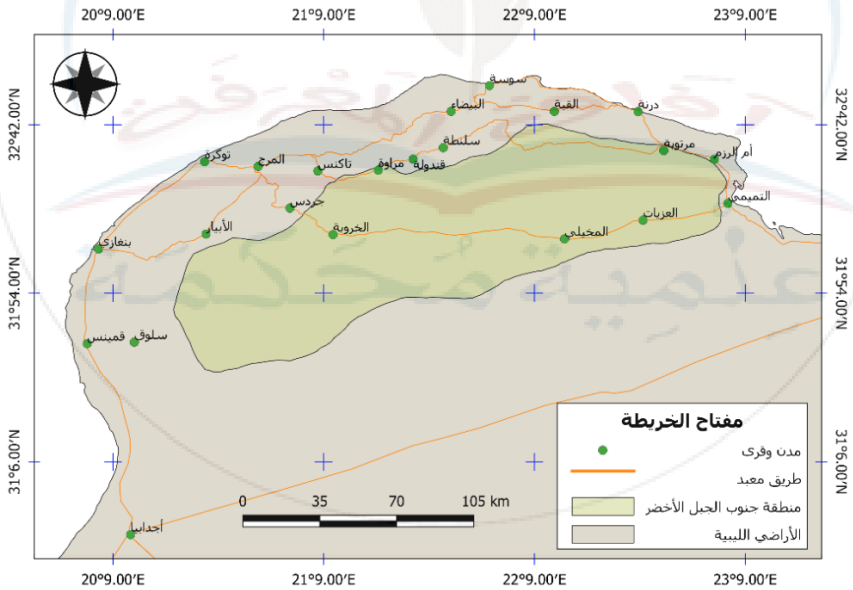

شكل 1. الموقع الجغرافي لمنطقة الدراسة (منطقة مراعي جنوب الجبل الأخضر)

تعد تربة منطقة الدراسة من الترب الجافة الرملية والسلتية الصحراوية والطينية، بالإضافة الى التربة الطينية الحمراء التي نجدها تحديداً ببطون بعض الأودية مثل وادي سمالوس. وبشكل عام تتكون التربة من مواد أصل متباينة، وتوصف بالقوام الخشن، وتحتوي على كمية من الحصى والحجارة نتيجة لعمليات التعرية. كذلك نفاذيتها العالية مما يجعل قدرتها على الاحتفاظ بالرطوبة ضعيفة. هذا بالإضافة إلى أنها فقيرة في المادة العضوية والعناصر الغذائية الضرورية لنمو النبات (الشاوش وآخرون، 1991: ص27). الأمر الذي أدى إلى ضعف الغطاء النباتي ووجوده على هيئة شجيرات صحراوية غير كثيفة.

وتتسم المنطقة بمناخ صحراوي جاف إذ ترتفع فيه درجات الحرارة وتقل فيه كميات الأمطار مما يؤثر على خصائص الغطاء النباتي. حيث تبين التسجيلات أن المتوسط الشهري العام لدرجات الحرارة العظمى بمنطقة سلوق هو 26.4 م°، وكان المتوسط الشهري العام لدرجات الحرارة الصغرى هو 14.2 م°. أما المتوسط السنوي العام لدرجات لحراره فبلغ 20 م°. وكان المتوسط العام للأمطار هو 232 ملم/سنة. ومن البيانات يتضح أن هناك تباين كبير وواضح في كميات الأمطار من سنة إلى سنة أخرى، وكذلك بين الشهور، خاصة شهري ديسمبر ويناير اللذان يعتبران الأشهر المطيرة من كل عام (Weatherbase, 2021: p2).

4.2. دراسة الغطاء النباتي (Vegetation survey)

تمت دراسة الغطاء النباتي خلال فصول السنة الأربعة، حيث تمت الدراسة باستخدام المربعات المرسومة وفقاً لطريقة (Braun Blanquet, 1951). حيث تم تقسيم منطقة الدراسة إلى قطاعات تتجه في شكل محاور من الشمال إلى الجنوب، بلغت 15 قطاع، عشرة منها في الأراضي المنبسطة وهي مسوس، الخروبة، سمالوس، الخويمات، ذروة، الحمامة الجنوبية، تنملو، المخيلي، سيدي

اسويكر، والعزيات، حيث يبعد كل قطاع عن الآخر حوالي 18 كم لتغطي كامل المنطقة من الغرب إلى الشرق، وخمس قطاعات في الأودية التي تمثلت في وادي المخيلي وهيشة الثعبان والحمامة وسمالوس ووادي عدوان.

في كل قطاع تم تثبيت أربع مربعات مساحة كل منها 25 متر مربع (5 × 5 متر)، اثنان منها شمال الطريق الرئيسي المعبد واثنان جنوب الطريق ويبعد كل مربع عن الآخر مسافة لا تقل عن 100 متر. تم تحديد زوايا كل مربع بدق مسامير حديدية في أطرافه الأربعة وتحديد موقعه بدقة بواسطة جهاز تحديد الإحداثيات (GPS device)، وذلك لتسهيل عملية الرجوع إليه في مختلف فصول السنة. بلغ عدد المربعات في كل فصل 60 مربع. تم تقسيم كل مربع من الداخل على 25 مربع صغير تبلغ مساحة كل منها واحد متر مربع (1 × 1 متر) من أجل تسهيل عملية رسم وحصر أعداد النباتات وأنواعها. أعيد دراسة نفس المربعات في كل فصل من فصول السنة (الشتاء، الربيع، الصيف، والخريف)، وبلغ عدد المربعات الكلي طيلة فترة الدراسة 240 مربع.

تم تعريف النباتات المتواجدة داخل المربعات وأخذ قياساتها (الارتفاع، طول وعرض المجموع الخضري، موقع الساق، نسبة التغطية النباتية). بالنسبة للعينات غير المعروفة أو المشكوك في تعريفها تم أخذ عينات منها وتم تعريفها لاحقاً بالاستعانة بالفلورا الليبية (Ali, El-Gadi, & Jafri, eds 1976-1992) وكذلك الفلورا المصرية (Boulos, eds.1999-2009). استمرت عملية جمع العينات النباتية وتصنيفها لمدة عام كامل مقسمة على أربعة فصول. تم إدراج نتائج القياسات والملاحظات الحقلية للغطاء النباتي في كل فصل من فصول السنة على حدة، ومن هذه النتائج تم حساب المعاملات والمؤشرات التالية:

- وفرة النوع النباتي (%) = (عدد أفراد النوع ÷ العدد الكلي للأنواع) × 100.

- كثافة النوع النباتي الواحد (نبات/م^2) = إجمالي عدد أفراد النوع ÷ وحدة المساحة.
- الكثافة الكلية للغطاء النباتي (نبات/م^2) = إجمالي عدد الأفراد لكل الأنواع ÷ المساحة.
- التردد (%) = (عدد المربعات التي ظهر بها النوع ÷ العدد الكلي للمربعات المدروسة) × 100.
- مساحة التغطية النباتية الجزئية (%) = (مساحة مجموع أفراد النوع الواحد ÷ المساحة الكلية المدروسة) × 100.
- مساحة التغطية النباتية الكلية (%) = (مساحة مجموع أفراد جميع الأنواع ÷ المساحة الكلية المدروسة) × 100.

3.4. تحليل البيانات

تم جمع كل المعلومات والبيانات المطلوبة ثم جدولتها ومراجعتها وتنسيقها، ثم دراستها وتحليلها إحصائياً باستخدام البرنامج الإحصائي (IBM SPSS Statistics version 26) للحصول على فهم دقيق للنتائج ومن ثم الوصول إلى الاستنتاجات والتوصيات المناسبة. التحاليل الإحصائية شملت التحليل الوصفي (Descriptive analysis)، وتحليل توزيع البيانات (Data distribution)، وتحليل التباين (Variation analysis) وتحليل الارتباط (Correlation analysis) بين المؤشرات والمعايير المختلفة التي تم دراستها في هذا البحث. وتم استخدام تفس البرنامج الإحصائي وكذلك برنامج (Microsoft Excel version 2019) في إنتاج الجداول والرسومات البيانية.

5. النتائج (Results)

1.5. الاختلافات المكانية (Spatial variation)

تبين نتائج المناطق المفتوحة أن أعلى متوسط للتغطية النباتية هو 0.14% بمنطقة مسوس، وأقل متوسط هو 0.01% بقطاع بمنطقة ذروة، (جدول 1، شكل 2). أما أعلى متوسط للتنوع النباتي كان 2.12 بمنطقة مسوس أيضاً، وأقل متوسط كان 0.31 بمنطقة ذروة. وكان أعلى متوسط للنبات الحي 25/15.50 م^2 بمنطقة مسوس وأقل متوسط كان 25/1.06 م^2 بمنطقة ذروة. بينما أعلى متوسط للنبات الميت كان 25/4.31 م^2 بمنطقة المخيلي، وأقل متوسط كان صفر بقطاعي منطقة مسوس ومنطقة الحمامة الجنوبية. وأما أعلى متوسط للكثافة النباتية في قطاعات الأراضي المفتوحة كان 1.16 نبات/م^2 بمنطقة مسوس وأقل متوسط كان 0.04 نبات/م^2 بمنطقة ذروة. وتبين من خلال النتائج أن هناك فروق معنوية قوية بين مناطق الأراضي المفتوحة في كل من التغطية النباتية (p–value = 0.001) والتنوع النباتي (p–value = 0.00) وعدد النبات الحي (p–*value* = 0.01) وعدد النبات الميت (p–value = 0.00) والكثافة النباتية (p–value = 0.00).

وتبين نتائج مناطق الأودية أن أعلى متوسط للتغطية النباتية كان 0.54% بوادي الثعبان وأقل متوسط للتغطية النباتية 0.12% بوادي الحمامة (جدول 2، شكل 3). أما أعلى متوسط للتنوع النباتي فكان 5.43 بوادي هيشة الثعبان وأقل متوسط 1.31 بوادي سمالوس. وكان أعلى متوسط للنبات الحي هو 52.43 نبات/25م^2 بوادي سمالوس وأدنى متوسط كان 12 نبات/25م^2 بوادي الحمامة. كما كان أعلى متوسط للنبات الميت هو 0.31 نبات/25م^2 بوادي الثعبان، أما أودية عدوان وسمالوس والحمامة فلم يسجل بها وجود أي نبات ميت.

أما فيما يتعلق بالكثافة النباتية فكانت أعلى كثافة في مناطق الأودية كانت 2.09 نبات/م^2 بوادي هيشة الثعبان، وأقل كثافة كانت 0.4 نبات/م^2 بوادي الحمامة. كما بينت النتائج أن هناك فروق معنوية بين قطاعات الأودية في كل من التغطية النباتية (p–value = 0.00) والتنوع النباتي (p–value = 0.00) وعدد النبات الحي (p–value = 0.01) والكثافة (p–value = 0.017). بينما لا توجد فروق معنوية واضحة بين قطاعات الأودية في عدد النبات الميت (جدول 2).

جدول 1. المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لنتائج الغطاء النباتي لمختلف مناطق الأراضي المفتوحة

القطاع	مسوس	الخروبة	سمالوس	الخويمات	ذروة
	Mean	Mean	Mean	Mean	Mean
التغطية النباتية (%)	0.138 (±0.238)	0.049 (±0.102)	0.086 (±0.170)	0.054 (±0.076)	0.012 (±0.021)
التنوع النباتي (نوع)	2.125 (±1.821)	1.125 (±1.455)	1.813 (±1.471)	1.250 (±1.183)	0.313 (±0.479)
نبات حي (نبات/25م^2)	15.500 (±23.085)	4.625 (±9.309)	10.563 (±16.411)	3.750 (±6.66)	1.063 (±2.112)
نبات ميت (نبات/25م^2)	0.000 (±0.000)	1.125 (±1.408)	0.375 (±0.806)	2.625 (±2.680)	0.125 (±0.500)
الكثافة (نبات/م^2)	1.163 (±2.284)	0.238 (±0.402)	0.420 (±0.660)	0.255 (±0296)	0.048 (±0.084)

القطاع	الحمامة الجنوبية	تنملو	المخيلي	سيدي اسويكر	العزيات
	Mean	Mean	Mean	Mean	Mean
التغطية النباتية	0.038	0.043	0.058	0.090	0.134
(%)	(±0.134)	(±0.033)	(±0.042)	(±0.128)	(±0.198)
التنوع النباتي	0.375	1.688	1.563	1.188	1.313
(نوع)	(±0.885)	(±0.479)	(±0.727)	(±0.911)	(±1.580)
نبات حي	5.125	3.063	2.938	7.500	14.313
(نبات/25م^2)	(±14.259)	(±3.235)	(±3.214)	(±11.894)	(±20.975)
نبات ميت	0.000	1.938	4.313	2.313	1.875
(نبات/25م^2)	(±0.000)	(±1.611)	(±3.049)	(±3.701)	(±3.384)
الكثافة	0.210	0.198	0.298	0.393	0.630
(نبات/م^2)	(±0.577)	(±0.112)	(±0.135)	(±0.495)	(±0.771)

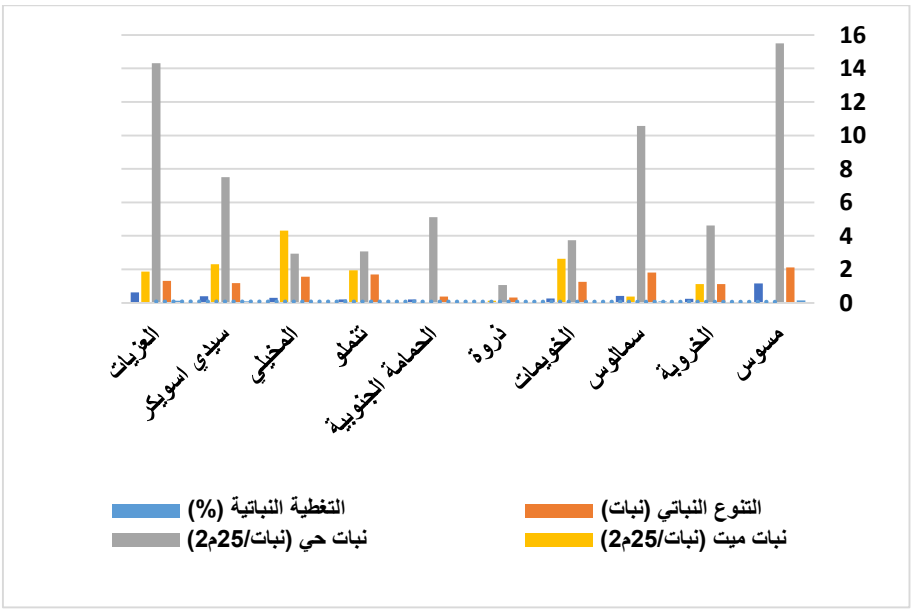

شكل 2. مؤشرات الغطاء النباتي لمختلف قطاعات الأراضي المفتوحة

جدول 2. المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لنتائج الغطاء النباتي في مختلف الأودية

المؤشر	وادي المخيلي	وادي هيشة الثعبان	وادي الحمامة	وادي سمالوس	وادي عدوان	*p*–value
	Mean	Mean	Mean	Mean	Mean	
التغطية النباتية (%)	0.503 (± 0.475)	0.319 (± 0.423)	0.120 (± 0.121)	0.393 (± 0.379)	0.549 (± 0.418)	0.00
التنوع النباتي (نبات)	4.000 (± 3.011)	1.313 (± 1.250)	3.375 (± 2.277)	5.438 (± 2.851)	2.250 (± 0.447)	0.00
نبات حي (نبات/25م^2)	31.750 (± 39.400)	52.438 (± 64.679)	12.000 (± 12.066)	39.188 (± 37.877)	16.313 (± 6.215)	0.01
نبات ميت (نبات/25م^2)	0.000 (± 0.000)	0.000 (± 0.000)	0.000 (± 0.000)	0.063 (± 0.250)	0.313 (± 0.873)	0.23
الكثافة النباتية (نبات/م^2)	01.270 (± 1.576)	2.098 (± 2.587)	0.480 (± 0.483)	1.570 (± 1.514)	0.665 (± 0.255)	0.017

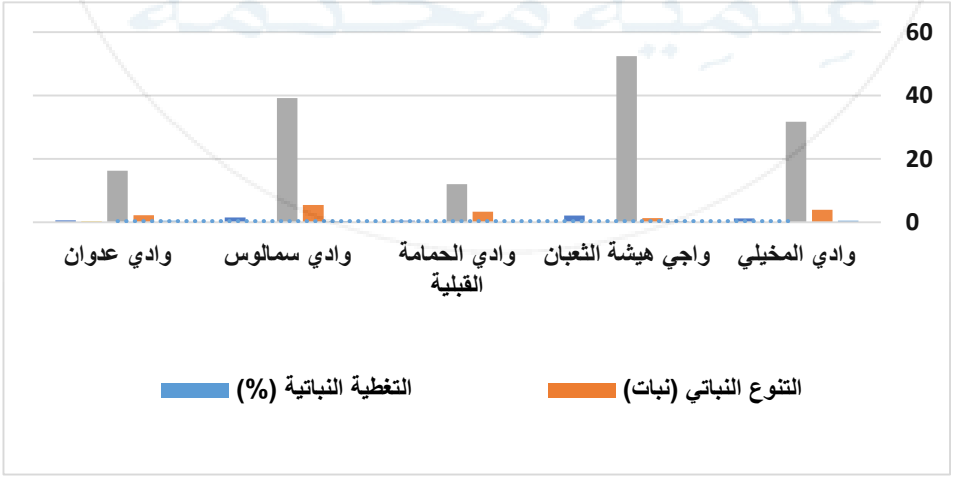

شكل 3. مؤشرات الغطاء النباتي لمختلف قطاعات الأودية

وعند المقارنة بين قطاعات المناطق المفتوحة وقطاعات الأودية كان المتوسط الحسابي للتغطية النباتية في الأراضي المفتوحة هو 0.07%، أما المتوسط الحسابي للتغطية النباتية في الأودية كانت 0.37% (جدول 3، شكل 4). بينما كان المتوسط الحسابي للتنوع النباتي في الأراضي المفتوحة هو 1.27 نبات/25م^2، أما المتوسط الحسابي في الأودية كان 3.27 نبات/25م^2. كما كان المتوسط الحسابي للنباتات الحية في الأراضي المفتوحة 6.84 نبات/25م^2، أما المتوسط الحسابي للنباتات الحية في الأودية كان 30.33 نبات/25م^2. بينما كان المتوسط الحسابي للنباتات الميتة في الأراضي المفتوحة 1.46 نبات/25م^2، أما المتوسط الحسابي للنباتات الميتة في الأودية 0.07 نبات/25م^2. وكان المتوسط الحسابي للكثافة في الأراضي المفتوحة 0.385. أما المتوسط الحسابي للكثافة في الأودية كانت 1.217 نبات/م^2. كما بينت النتائج أن هناك فروق معنوية قوية بين الأراضي المفتوحة والأودية في كل من التغطية النباتية والتنوع في النباتات والنبات الحي والنبات الميت والكثافة، إذ كانت (p–value = 0.00) في جميع القياسات السابق ذكرها، ويمكن القول بأن التغطية النباتية والتنوع في النباتات والنبات الحي والكثافة هي أفضل في الأودية من الأراضي المفتوحة، أيضاً نجد أن النباتات الميتة تزيد نسبتها في الأراضي المفتوحة عن الأودية (جدول 3).

جدول3.المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لنتائج الغطاء النباتي في الأودية والأراضي المفتوحة

نوع الأرض	التغطية النباتية (%)	التنوع في النباتات	نبات حي	نبات ميت	الكثافة النباتية
	Mean	Mean	Mean	Mean	Mean
أودية	0.377 (± 0.404)	3.275 (± 2.575)	30.338 (± 40.244)	0.075 (± 0.414)	1.217 (± 1.609)
أرض مفتوحة	0.070 (± 0.136)	1.275 (± 1.279)	6.844 (± 13.680)	1.469 (± 2.500)	0.385 (± 0.872)
p–value	0.00	0.00	0.00	0.00	0.00

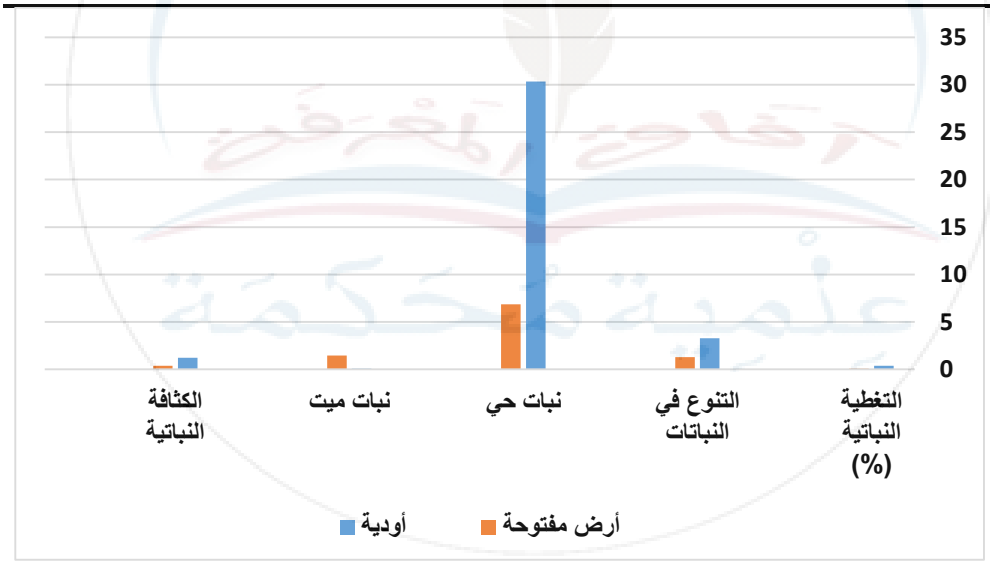

شكل 4. المقارنة بين الأودية والأراضي المفتوحة.

2.5. الاختلافات الزمانية (Temporal Variation)

بالنسبة للأراضي المفتوحة، فقد كان أقل متوسط حسابي للتغطية النباتية بفصل الشتاء 0.006%، بينما كان أكبر متوسط بفصل الربيع 0.15% (جدول 4، شكل 5). وكان أقل متوسط للتنوع النباتي بفصل الخريف 0.90، بينما كان أكبر متوسط بفصل الربيع أما بفصل الربيع 1.82. بينما كان أقل متوسط لعدد النبات الحي (نبات/25 م^2) بفصل الخريف 3.52، وأكبر متوسط بفصل الربيع 14.05. أما النبات الميت (نبات/25 م^2) فكان أقل متوسط حسابي بفصل الخريف 1.22، وأكبر متوسط بفصل الربيع 1.90. أما الكثافة النباتية فكان أقل متوسط بفصل الشتاء 0.22 نبات/م^2، وأعلى قيمة في فصل الربيع بمتوسط 0.631 نبات/م^2. كما تبين أن هناك فروق معنوية بين الفصول الأربعة في التغطية الكلية بالمناطق المفتوحة (p–value = 0.00)، بينما لا توجد فروق معنوية بين الفصول الأربعة في التغطية النباتية، التنوع النباتي، عدد النباتات الحية، عدد النبات الميتة، والكثافة النباتية (جدول 4).

وبالنسبة لمناطق الأودية فقد كان أقل متوسط حسابي للتغطية النباتية بفصل الخريف 0.18%، وأكبر متوسط بفصل الربيع 0.71% (جدول 5، شكل 6). وكان أقل متوسط للتنوع النباتي بفصلي الصيف والخريف 2.40، وأكبر متوسط بفصل الربيع 5.70. بينما كان أقل متوسط للنبات الحي بفصل الخريف 10.50 نبات/م^2، وأكبر متوسط بفصل الربيع 72.80 نبات/م^2. أما أقل متوسط للنبات الميت فكان بفصلي الصيف والخريف (0.00 نبات/م^2)، وأكبر متوسط بفصل الشتاء 0.20 نبات/م^2. أما أقل متوسط للكثافة النباتية فكانت بفصل الخريف 0.420 نبات/م^2، وأكبر متوسط بفصل الربيع 2.92 نبات/م^2. وبينت النتائج وجود فروق معنوية قوية بين الفصول الأربعة في التغطية النباتية (p–value = 0.00) والتنوع النباتي (p–value = 0.002) والنبات الحي (p–value = 0.00) والكثافة (p–value = 0.00). بينما لا توجد فروق معنوية بين الفصول الأربعة بقطاعات الأودية في عدد النبات الميت (جدول 5).

جدول 4. المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لنتائج الغطاء النباتي خلال فصول السنة المختلفة بالأراضي المفتوحة

المؤشر	الخريف	الربيع	الشتاء	الصيف	*p*–value
	Mean	Mean	Mean	Mean	
التغطية النباتية(%)	0.048 (± 0.063)	0.158 (± 0.225)	0.006 (± 0.006)	0.070 (± 0.089)	0.378
التنوع في النباتات (نبات)	0.900 (± 0.778)	1.825 (± 1.947)	1.150 (± 0.949)	1.225 (± 0.947)	0.340
نبات حي (نبات/25 م^2)	3.525 (± 6.276)	14.050 (± 23.280)	4.100 (± 6.067)	5.700 (± 8.440)	0.650
نبات ميت (نبات/25 م^2)	1.225 (± 2.142)	1.900 (± 3.020)	1.450 (± 2.591)	1.300 (± 2.186)	0.760
الكثافة (نبات/م^2)	0.407 (± 1.416)	0.631 (± 0.898)	0.222 (± 0.249)	0.280 (± 0.356)	0.378

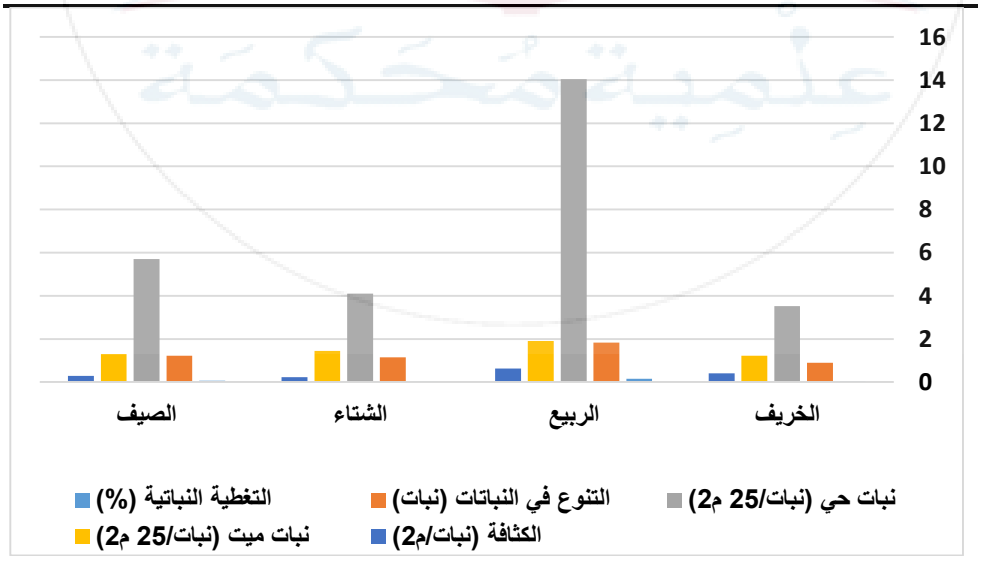

شكل 5. مؤشرات الغطاء النباتي بين الفصول الأربعة بالأراضي المفتوحة

جدول 5. المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لنتائج الغطاء النباتي خلال فصول السنة المختلفة بمناطق الأودية

المؤشر	الخريف	الربيع	الشتاء	الصيف	p-value
	Mean	Mean	Mean	Mean	
التغطية النباتية (%)	0.189 (± 0.297)	0.714 (± 0.420)	0.368 (± 0.347)	0.236 (± 0.340)	0.00
التنوع في النباتات (نبات)	2.400 (± 1.818)	5.700 (± 3.373)	2.600 (± 1.188)	2.400 (± 1.789)	0.002
نبات حي (نبات/25 م^2)	10.500 (± 7.251)	72.800 (± 52.248)	26.800 (± 34.370)	11.250 (± 7.833)	0.00
نبات ميت (نبات/25 م^2)	0.000 (± 0.000)	0.100 (± 0.447)	0.200 (± 0.696)	0.000 (± 0.000)	0.28
الكثافة (نبات/م^2)	0.420 (± 0.290)	2.916 (± 2.086)	1.080 (± 1.373)	0.450 (± 0.313)	0.00

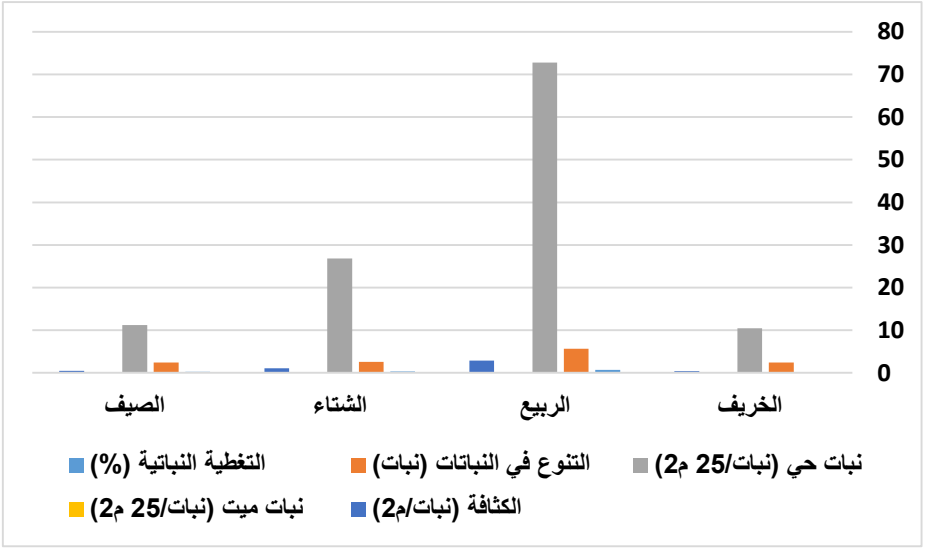

شكل 6. مؤشرات الغطاء النباتي بين الفصول الأربعة بالأودية

وبالنسبة لنتائج الوفرة النباتية في الأراضي المفتوحة، فقد أظهرت نتائج فصل الخريف أن أعلى قيمة للوفرة النباتية سجلت لنبات الرمث (*H.*

(*scoparium* والتي بلغت 81.57%، وأن أدنى قيمة للوفرة في نفس الفصل كانت لنبات الجل (*S. tetrandra*.) بقيمة 4.21%. وفي فصل الشتاء كانت أعلى قيمة 43.23 % لنبات الرمث وأدنى قيمة 2.25% لنبات الجل. أما في فصل الربيع فقد كانت السيادة لنبات الأقحوان (*Chrysanthemum carinatum* Schousboe) بوفرة بلغت 33.70%. بينما سجلت أقل وفرة بقيمة 0.15% لكل من نبات (*Erucaria microcarpa* Boiss.) ونبات (*Herniaria hemistemone* J Gay). أما بفصل الصيف فكانت أعلى قيمة للوفرة النباتية هي 70.71% لنبات الرمث أما أقل قيمة لها كانت 0.35 % لنبات الرقيطة (*N. syriaca*) (شكل، 7).

وفي قطاعات الأودية، بينت النتائج أن أعلى قيمة للوفرة النباتية خلال فصل الخريف هي 55.71% وكانت لنبات الحرمل (*P. harmala*)، وأن أدنى قيمة للوفرة 0.47% وكانت لنبات الزعتر (*T. capitata*) ونبات القبار (*C. spinosa*). وفي فصل الشتاء كانت أعلى قيمة للوفرة النباتية هي 46.66% لنبات الخبيز (*Malva sylvestris* L.)، وأدنى قيمة 0.18% لنبات الزعتر ونبات (*Carthamus lanatus* L.) ونبات (*Salvia* sp.). أما في فصل الربيع فكانت السيادة لنبات الشعير البري (*Hordeum vulgare* L.) بوفرة بلغت 39.43%، بينما كانت أقل قيمة في فصل الربيع لكل من الزعتر. والقبار ونبات (*Calendeula* sp.) ونبات (*Centaurea* sp.) ونبات (*Salvia aegyptiaca* Forssk.) إذ بلغت 0.06% لكل منها. أما بفصل الصيف فكانت أعلى قيمة للوفرة هي 52% لنبات الحرمل (*P. harmala*)، وكانت القيم متساوية بأقل قيمة لكل من نبات الزعتر ونبات (*Trifolium tomentosum* L.) ونبات (*Centaurea* sp.) ونبات (*S. aegyptiaca*) بنسبة 0.44% لكل منها (شكل، 8).

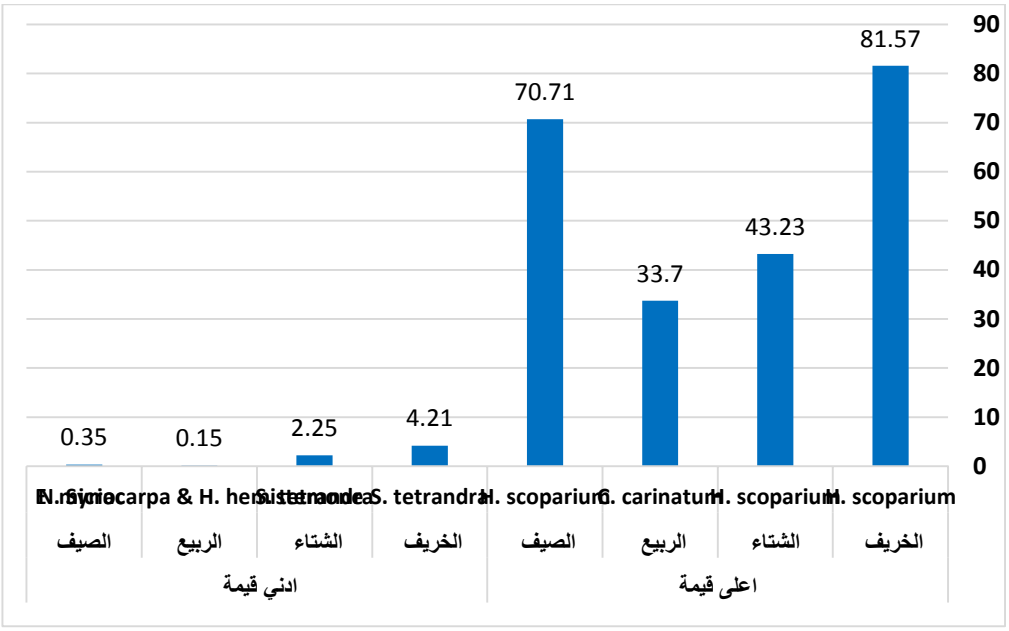

شكل 1. أعلى وأدنى وفرة للأنواع النباتية خلال الفصول الأربعة بقطاعات الأراضي المفتوحة

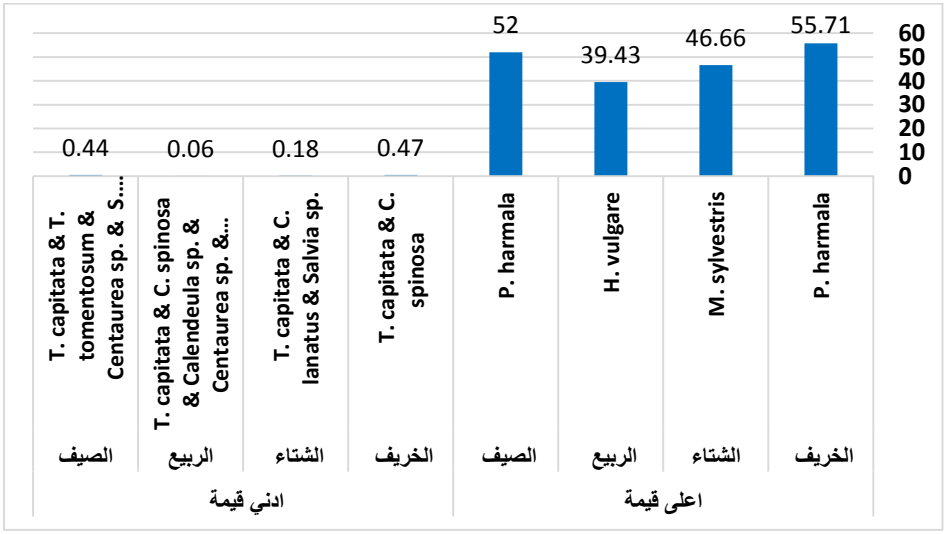

شكل 8. أعلى وأدنى وفرة للنبات خلال الفصول الأربعة بقطاعات الأودية

ومن خلال نتائج قطاعات الأراضي المفتوحة، تبين أن نبات الرمث (*H. scoparium*) هو النبات السائد بفصل الخريف بنسبة بلغت 62.5%، وأن

النبات النادر هو الجل (*S. tetrandra*) بنسبة 5%. أما بفصل الشتاء فكانت السيادة لنبات الرمث وللحوليات بنفس النسبة 42.5% لكل منهما، وكان النبات النادر هو أيضاً نبات الجل بنسبة 2.5%. وبفصل الربيع كان نبات الأقحوان (*C. carinatum*) هو السائد بنسبة 25%، والندرة كانت لنبات الروبيا (*Marrubium alysson* L.) بنسبة 2.5%. بينما بفصل الصيف كانت السيادة لنبات الرمث أيضاً بنسبة 70%، وهي تعتبر أعلى نسبة سيادة خلال الفصول الأربعة. أما النبات النادر بفصل الصيف كان ضرس العجوز (*Rumex dentatus* L.) ونبات الروبيا ونبات الرقيطة (*Notobasis syriaca* Cass.) بنسبة 2.5% لكل منها.

وفي قطاعات الأودية، تبين أن النبات السائد في فصل الخريف هو نبات الحرمل (*P. harmala*) بنسبة 75% وأن النباتات النادرة هي الزعتر (*T. capitata*) والقبار (*C. spinosa*) والقزاح (*D. tortuosa*) والجداري (*S. tripartita*) بنسبة 5% لكل منها. أما بفصل الشتاء فكانت الحوليات أكثر النباتات سيادة بنسبة 85%، وأقلها نبات الجداري والزعتر والقزاح والشيح (*A. herba-alba*) ونبات (*C. lanatus*) ونبات (*Salvia* sp.) بنسبة 5% لكل منها. بينما بفصل الربيع كانت السيادة للرمث (*H. scoparium*) بنسبة 60%، والندرة كانت للزعتر والقزاح ونبات (*Centaurea* sp.) وكذلك للقبار ونبات (*T. tomentosum*) ونبات (*C. lanatus*) بنسبة 5% لكل منها. وبفصل الصيف كانت السيادة لنبات الحرمل بنسبة 70%، والندرة كانت لنبات الجداري والقرضاب (*P. equisetiforme*) والزعتر والقزاح والقبار ونبات (*S. aegyptiaca*) بنسبة 5% لكل منها.

6. المناقشة Discussion

من هذه الدراسة نستنتج أن الأودية أفضل من الأراضي المفتوحة في جميع القياسات المختلفة للغطاء النباتي، ويرجع السبب الرئيسي في أفضلية الأودية كونها تتحصل على كمية أكبر من المياه عن طريق الجريان السطحي عقب سقوط الأمطار، الأمر الذي يجعل تربتها تحتفظ بالرطوبة لأطول فترة ممكنة. أما في باقي منطقة الدراسة فيكون الغطاء النباتي عبارة عن شجيرات قزمية متفرقة متكيفة ومقاومة للظروف البيئية القاسية والجافة، مع ظهور الحوليات بعد أول سقوط للأمطار وهذا ما يتفق مع (سعيد، 2008)، الذي ذكر أن الغطاء النباتي في الأودية أفضل إذ بلغت نسبته الى حوالي 85% في نهايات بعض أودية منطقة مراعي هضبة دفنة شرق مدينة طبرق، وكذلك يتفق مع ماورد عند (Le Houerou, 1984) من أن الولاء في مثل هذه المناطق يكون للأنواع الحولية وتحت الحولية والتي تظهر بعد الموسم المطير خاصة في مناطق الأودية والمنخفضات.

لقد بينت الدراسة الحالية أن هناك اختلافات معنوية سواء بين مناطق الدراسة المختلفة وكذلك بين فصول السنة في معظم المؤشرات التي تم قياسها. لقد كان أفضل الفصول من حيث قياسات الغطاء النباتي هو فصل الربيع أما أسوأها فكانت فصلي الخريف والصيف، ويرجع السبب في ذلك إلى طبيعة المنطقة كونها منطقة مصنفة جافة إلى شبه جافة بالإضافة إلى أن أغلب ملاك الأراضي الرعوية في تلك المنطقة لا يسمحون بدخول المواشي (التحجير) حتى منتصف شهر الربيع وارتفاع معدلات درجات الحرارة بفصل الصيف وقلة تساقط الأمطار وهذا ما يتوافق مع ما توصل إليه (عبد الهادي، 2009).

ويمكن القول بأن التغطية النباتية والتنوع النباتي ونسبة النبات الحي والكثافة تزدهر في الأودية أكثر من الأراضي المفتوحة. أيضاً نجد أن نسبة النباتات الميتة تزيد في الأراضي المفتوحة عن الأودية وهو ما يتفق مع ما جاء به (الجوهري، 2002) إذ قال إن الأودية توفر ملاذات آمنة للغطاء النباتي تتمثل في ظروف أفضل من حيث الرطوبة والتربة والحماية.

لقد أظهرت نتائج التغطية النباتية للأودية أن أفضل وادي هو وادي الثعبان أما أقل متوسط للتغطية النباتية بالأودية هو وادي الحمامة، إذ ينتشر بوادي الثعبان نبات الحرمل. ويرجع سبب ارتفاع نسبة التغطية النباتية فيه إلى أن نبات الحرمل غير مستساغ للرعي، أما وادي الحمامة فيظهر فيه نسبة عالية من حجر الصوان التي تحمله المياه حيث أستقر بالوادي عدد كبير من حجر الصوان والصخور الكبيرة، الأمر الذي جعل نسبة التغطية النباتية فيه قليلة. أما بالنسبة للأراضي المفتوحة، فقد كان قطاع منطقة مسوس أفضل القطاعات من حيث التغطية النباتية، وذلك بسبب أن أرض هذه المنطقة تكاد تكون مستوية، وأقلها قطاع منطقة ذروة وذلك بسبب شدة الميل مما يجعلها غير قادرة على حفظ المياه مع تكشف الصخور.

أما بالنسبة للتنوع النباتي، فقد كان أعلى متوسط له خلال فصل الربيع وأقل متوسط بفصل الخريف في الأراضي المفتوحة وكذلك بالأودية. وكانت أفضل نتائج التنوع النباتي في الأراضي المفتوحة في قطاع منطقة مسوس وأقلها في قطاع منطقة ذروة. بينما في الأودية فكان أفضلها وادي هيشة الثعبان، أما أقلها هو وادي سمالوس، ويرجع السبب في كون أن أفضل الأودية هو هيشة الثعبان إلى أنه يضم الكثير من أنواع البذور المختلفة مقارنة بالأودية المجاورة له، بينما وادي سمالوس يعتبر أقل الأودية تنوعا بسبب انتشار نبات الخبيز بفصلي الشتاء والربيع والحرمل بفصلي الصيف والخريف بالرغم من جودة تربته المحملة بواسطة

المياه من شمال المنطقة. لقد أوضحت هذه الدراسة أن التنوع النباتي في الأودية أفضل منه في الأراضي المفتوحة، وذلك بسبب تنوع البذور المنقولة بواسطة الحيوانات التي ترعى بالأودية وكذلك التي تحملها المياه عبر السيول، كما تحتفظ التربة برطوبتها لأطول فترة ممكنة وبالتالي تكثر الأنواع وهذا يتفق مع ما توصل إليه (الجوهري، 2002).

وفيما يتعلق بنسبة النباتات الحية، فكان أعلى متوسط لها بفصل الربيع وأقل متوسط بفصل الخريف في الأراضي المفتوحة. وكان قطاع منطقة مسوس أفضل القطاعات، وأقلها قطاع منطقة ذروة. بينما الأودية فكان أفضل وادي هو وادي سمالوس وأقل وادي يوجد به نبات حي هو وادي الحمامة. ومن هنا اتضح أن النبات الحي في الأودية أفضل من الأراضي المفتوحة وذلك بسبب توفر المياه بالأودية مما يجعل تربتها تحتفظ بالرطوبة لأطول فترة ممكنة وبالتالي تكون فرصة الحياة للنباتات أكثر من موتها. وكان أكثر قطاع يوجد به نبات ميت هو بمنطقة المخيلي. بينما كان أفضل وادي هو وادي عدوان ووادي سمالوس ووادي الحمامة وأكثر وادي يوجد به نبات ميت هو وادي الثعبان.

كما كان أعلى متوسط للكثافة النباتية بالمناطق المفتوحة بفصل الربيع وأقل متوسط بفصل الشتاء، وكذلك كان أعلى متوسط للكثافة في الأودية بفصل الربيع وأقل متوسط لها بفصل الخريف، وهذا يبين أن أفضل الفصول للكثافة هو فصل الربيع أما أقلها فهو فصل الخريف. أما بالنسبة لنتائج الكثافة في الأراضي المفتوحة فكان قطاع منطقة مسوس أفضل القطاعات في الأراضي المفتوحة وأقلها قطاع منطقة ذروة بينما الأودية أفضل وادي هو وادي سمالوس أما أقل وادي هو وادي الحمامة. أي أن الكثافة في الأودية أفضل من الأراضي المفتوحة وذلك لنفس الأسباب السابقة كوفرة الرطوبة في الأودية. أما القطاعات المفتوحة فحتى وان تحصلت على مياه فلا تنحصر في مكان واحد، فوجود المياه يحافظ على حياة

النبات ويقلل من موته كما أن الأودية تتلقي بذور من أماكن أخرى بعيدة منقولة بواسطة المياه، مع اختلاف نوع الترب التي تكون في الأودية أفضل من الأراضي المفتوحة وهذ ما يتفق مع (سعيد،2008) إذ قال إن الأودية أكثر تنوعاً وكثافة من المناطق الأخرى لأنها تتحصل على النصيب الأكبر من مياه الأمطار، وكذلك يتفق مع (الجوهري،2002) من أن الأودية غالبا ما توفر بيئات ذات ظروف مناسبة وملاذات آمنة لنمو مكثف للنباتات.

كما أظهرت الدراسة أن أعلى قيمة للوفرة النباتية كانت في الأراضي المفتوحة بفصل الخريف وكانت لنبات الرمث (*H. scoparium*)، أما في فصل الشتاء كانت أعلى قيمة لنبات الرمث، وبفصل الربيع فقد ساد نبات الأقحوان (*C. carinatum*)، أما بفصل الصيف فكانت أعلى قيمة للوفرة لنبات الرمث. ومن هنا يتضح أن نبات الرمث في الأراضي المفتوحة ساد في ثلاثة فصول وهي الصيف والخريف والشتاء، وذلك لأنه نبات يتحمل الجفاف ومن النباتات الأصلية للمنطقة. كما أنه من النباتات غير المستساغة للحيوانات. أما بفصل الربيع فقد كانت أعلى قيمة للوفرة لنبات الأقحوان لأنه من النباتات الحولية التي لا تنبت إلا بعد تحصلها على قدر كافي من المياه، إذ أن بذرته تبقى فالتربة حتى وصول الماء إليها، ولا يستمر في باقي الفصول بسبب عملية الرعي وكذلك قصر دورة عمر النبات.

كما بينت الدراسة أن أعلى قيمة للوفرة النباتية في مناطق الأودية كانت خلال فصل الخريف لنبات الحرمل (*P. harmala*)، أما فصل الشتاء كانت أعلى قيمة لنبات الخبيز (*M. sylvestris*)، وبفصل الربيع كانت أعلى قيمة للوفرة لنبات الشعير البري (*Hordeum vulgare* L.)، أما بفصل الصيف فكانت أعلى قيمة للوفرة لنبات الحرمل، ومن هذه النتائج يتضح أن نبات الحرمل هو النبات الأعلى وفرة في فصلي الصيف والخريف لأنه من النباتات الغير

مستساغة للرعي بينما الخبيز كانت وفرته بفصلي الشتاء والربيع إذ يغطي أغلبية الأودية مثل وادي سمالوس، لأنه من النباتات الحولية ويعتبر من النباتات المستساغة للرعي ويحتاج للمياه فلا نجده بعد هذين الفصلين.

ومن خلال تحليل النتائج للأنواع النباتية التي ظهرت في المربعات المرسومة يتضح لنا أن مناطق مراعي جنوب الجبل الأخضر يسود بها نبات الرمث (*H. scoparium*) يليه نبات الحرمل (*P. harmala*). حيث كانت أعلى نسبة ثبوت بالقطاعات المفتوحة في فصل الخريف لنبات الرمث وأقل نسبة لنبات الجل (*S. tetrandra*)، وبفصل الشتاء كانت السيادة لنبات الرمث أيضا وللحوليات أما النبات النادر هو أيضاً نبات الجل، وبفصل الربيع كانت السيادة لنبات الأقحوان (*C. carinatum*) والندرة كانت لنبات الروبيا (*M. alysson*)، بينما بفصل الصيف فكانت السيادة لنبات الرمث أيضاً، أما النبات النادر بفصل الصيف كان ضرس العجوز (*R. dentatus*) والروبيا والرقيطة (*N. Syriac*).

وكانت أعلى نسبة ثبوت بقطاعات الأودية في فصل الخريف لنبات الحرمل (*P. harmala*)، وأقل نسبة لذات الفصل كانت لنبات الزعتر (*T. capitata*)، والقبار (*C. spinosa*)، والقزاح (*D. tortuosa*)، والجداري (*S. tripartita*). أما بفصل الشتاء فكانت الحوليات الأعلى سيادة وكان أقلها الجداري والزعتر والشيح (*A. herba-alba*) والقزاح ونبات (*C. lanatus*) ونبات (*Salvia* sp.). بينما بفصل الربيع كانت السيادة لنبات الرمث (*H. scoparium*) والندرة كانت لنبات الزعتر والقزاح ونبات (*Centaurea* sp.) والقبار ونبات (*T. tomentosum*) ونبات (*C. lanatus*)، وبفصل الصيف كانت السيادة لنبات الحرمل، والندرة كانت لنبات الجداري والقرضاب (*P. equisetiforme*) والزعتر والقزاح والقبار ونبات (*S. aegyptiaca*).

6.الاستنتاج Conclusion

تعتبر الدراسة الحالية من الدراسات القليلة التي درست ديناميكية المراعي في ليبيا من حيث الاختلافات في خصائص الغطاء النباتي الطبيعي بين المناطق وكذلك بين فصول السنة. اتضح من خلال الدراسة أن المراعي في مناطق جنوب الجبل الأخضر تعاني من تدهور كبير جدا متمثل في قلة التغطية النباتية وسيادة الشجيرات القزمية المتفرقة وغير المستساغة مثل الرمث في المناطق المفتوحة والحرمل في الأودية. كما أوضحت الدراسة أن هناك اختلافات كبيرة في خصائص الغطاء النباتي بين المناطق المدروسة حيث يزداد التدهور وتقل التغطية النباتية كلما اتجهنا من الغرب الى الشرق على طول المنطقة المدروسة، نفس الأمر ينطبق على مناطق الأودية. هذه الاختلافات تلاحظ بقوة أيضا بين فصول السنة، حيث كان فصل الربيع أفضل الفصول الأمر الذي يرجع إلى ظهور النباتات الحولية بعد سقوط الأمطار. سيادة الحوليات في مناطق المراعي دليل آخر على شدة التدهور واختفاء الأنواع النباتية المعمرة. هذه الدراسة توضح أن منطقة مراعي جنوب الجبل الأخضر في درجات متقدمة من التدهور وأن التدخل من أجل حماية وإعادة تأهيل هذه المراعي أصبح أمرا ملحا جداً، من أجل حماية المصادر الطبيعية بالمنطقة (نبات، تربة، حياة برية) ومكافحة التصحر، وكذلك من أجل دعم السكان المحليين والمحافظة على الثروة الحيوانية.

7.التوصيات Recommendations

1- سن التشريعات اللازمة وتطوير الموجود منها مع التطبيق الحازم لحماية الغطاء النباتي.

2- نشر الوعي البيئي بين السكان المحليين والمربيين عن طريق ندوات ومؤتمرات ومحاضرات خاصة بأهمية الغطاء النباتي.

3- ترشيد استهلاك النباتات الطبية الموجودة في المراعي الطبيعية كالزعتر *Thymbra capitata* (L.) Cav والشيح *Artemisia herba-alba* Asso والقبار *Capparis spinosa* L. والقميلة *Chamomilla pubescens* (Desf.) S.A.Alavi.

5-المحافظة بالدرجة الأولى على النباتات المهددة بالانقراض في المراعي الطبيعية كنبات الجداري (*Searsia tripartita* (Ucria) Moffett) والقبار *Capparis spinosa* L.، حيث من السهل قطع مثل هذه الأنواع من قبل البشر ولكن لاسترجاعها نحتاج إلى وقت طويل جداً.

6- إنشاء وصيانة السدود الترابية والحجرية للحد من عملية انجراف التربة والاستفادة من مياه الجريان السطحي، خاصة في الأودية.

المراجع

المراجع العربية:

الجالي، جمعة ارحومة جمعة، الاثار البيئية لنشاط الكسارات في حوض وادي الرملة جنوب الجبل الأخضر، جامعة بنغازي، 4014، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية . المرج، العدد 21، 2016.

الجطلاوي، أحمد عمر مختار (2004)، دراسة الغطاء النباتي وبيئة خزان البذور لمنطقة مراعي صحراوية العجرمية، رسالة ماجستير، قسم علم النبات، كلية العلوم، جامعة بنغازي، ليبيا.

الجوهري، أحمد امبارك حامد (2002): دراسة بيئية تصنيفية للغطاء النباتي في وادي زازة، رسالة ماجستير، قسم علم النبات، كلية العلوم، جامعة بنغازي، ليبيا.

الحميدي، رمضان إبراهيم (1999): دراسة الغطاء النباتي والفلورا لوادي العقر بالجبل الأخضر، رسالة ماجستير، قسم النبات، كلية العلوم، جامعة بنغازي، ليبيا.

الشاوش، عثمان محمد وعامر بن منصورة (1991): تقييم الوضع الحالي للمراعي بالجماهيرية، المركز الفني لحماية البيئة، طرابلس، ليبيا.

أمبارك، عبد المنعم موسى علي (2011): تدهور النباتات الطبيعية في المنطقة الممتدة ما بين البياضة وزاوية العرقوب، رسالة ماجستير، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة بنغازي، ليبيا.

بن محمود، خالد رمضان، (1995): الترب الليبية (تكوينها-خواصها-إمكانياتها الزراعية)، دار الكتب الوطنية بنغازي، الهيئة القومية للبحث العلمي، الطبعة الأولى، طرابلس، ليبيا.

جرعتلي، مجد (2011): أهميـة وفوائـد الغطـاء النبـاتي الطبيعـي للإنسـان والبيئـة وأســاليب تنميتــه وحفظــه، متــاح علــى الــرابط http://green-studies.com/2011/10/%D8%A3%D9%87%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D9%81%D9%88%D8%A7%D8%A6%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B7%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A8%D8%A7%D8%AA%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%A8%D9%8A%D8%B9%D9%8A-%D9%84/?fbclid=IwAR2qKsnB7hSX2IcgvvKmJlrNNXb6VpIxDtvY2dZL07LSuXmZdSY6tSbjG-g ، تـم الـدخول علـى الموقـع يوم(August/2020/8).

رحيل، ربح عثمان محمد ويعقوب محمد البرعصي ومنعم وافي البراني وصباح الحاسي (2019): دراسة الفلورا والغطاء النباتي للمنطقة الشبه صحراوية الممتدة بين مدينتي سلوق والأبيار، المؤتمر العلمي الرابع للبيئة والتنمية المستدامة بالمناطق الجافة وشبه الجافة، ص24-36، اجدابيا، ليبيا.

زايد، عبد الله عبد الرحمن وفوزي محمد الدومي وعلي عبد القادر بطاو وعمر رمضان الساعدي وأشرف محمد مصطفى وعمار عبد المطلب عمار واخرون (2003): دراسة وتقييم الغطاء النباتي الطبيعي بمنطقة الجبل الأخضر، مشروع جنوب الجبل الأخضر، التقرير الدوري الثاني، جامعة عمر المختار، البيضاء، ليبيا.

زايد، عبد الله عبد الرحمن وفوزي محمد الدومي وعلي عبد القادر بطاو وعمر رمضان الساعدي وأشرف محمد مصطفى وعمار عبد المطلب عمار وآخرون (2005): دراسة وتقييم الغطاء النباتي الطبيعي بمنطقة الجبل الأخضر، مشروع جنوب الجبل الأخضر، التقرير النهائي، جامعة عمر المختار، البيضاء، ليبيا.

سعيد، منعم وافي (2008): دراسة عوامل تدهور الغطاء النباتي في منطقة دفنة شبه الصحراوية (الساحل الشمالي الشرقي–طبرق)، رسالة ماجستير علوم وهندسة البيئة، الأكاديمية الليبية فرع بنغازي، ليبيا.

عبد الهادي، الناجي فرج محمد (2009): دراسة الغطاء النباتي وخزان البذور في المنطقة الممتدة من جنوب المرج إلى وادي الخروبة، رسالة ماجستير، علوم وهندسة البيئة، الأكاديمية الليبية فرع بنغازي، ليبيا.

منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (2021): الحراجة في الأراضي الجافة، https://www.fao.org/dryland-forestry/ar/ ، تم الدخول على الموقع يوم (21/May/ 2021)

المراجع الأجنبية

Ali, S.I. & Jafri, S.M. (1976–1977) Flora of Libya, Volumes: 1–24. Department of Botany, Faculty of Science, Tripoli University (formerly Al-Fateh University), Tripoli, Libya.

Boulos, L. (1972) our present knowledge on flora and vegetation of Libya.

Boulos, L. (1999) Flora of Egypt, Volume one (Azollaceae–Oxalidaceae). Al-Hadara Publishing, Cairo, Egypt, 419 pp.

Boulos, L. (2000) Flora of Egypt, Volume two (Geraniaceae–Boraginaceae). Al-Hadara Publishing, Cairo, Egypt, 352 pp.

Boulos, L. (2002) Flora of Egypt, Volume three (Verbenaceae–Compositae). Al-Hadara Publishing, Cairo, Egypt, 373 pp.

Boulos, L. (2005) Flora of Egypt, Volume four, Monocotyledons (Alismataceae−Orchidaceae). Al-Hadara Publishing, Cairo, Egypt, 617 pp.

Boulos, L. (2009) Flora of Egypt Checklist. Al-Hadara Publishing, Cairo, 410 pp.

Le Houerou H N (1965): Natural Pastures and Fodder resources of Libya and problems of their improvement. Report to the Government of Libya, F.A.O., Rome, Italy.

Le Houerou H N (1984): An outline of the bioclimatology of Libya.

Saaed, Manam W.B., EL-Barasi, Yacoub M. and ELhashani Nazeeha A, (2019): Insight into the soil seedbank characteristics of the arid rangeland in Libya: A case study in Marmarica Plateau ،Cyrenaica (Northeastern part of Libya), Libyan journal of science and Technology, 9(2): 184-193.

Weatherbase (2021). http://www.weatherbase.com/weather/weather.php3?s=603242&cityname=Suluq-Banghazi-Libya&units=metric (Accessed the site on 30/January/2021).

تعقيب ابن السيد البطليوسي على ابن قتيبة في القول بزيادة حرف الجر الباء

د. إبراهيم سعد مكاري
كلية الآداب والعلوم مزدة. جامعة غريان

المستخلص:

يتناول هذا البحث تعقيب أبي محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي المتوفى سنة (521 هـ) في كتابه الاقتضاب على أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة (276هـ) ، على قوله بزيادة حرف الجر الباء في بعض الآيات القرآنية والأبيات الشعرية التي أوردها في كتابه أدب الكاتب، ومن خلال التقصي والتحقق وتتبع هذه الآيات القرآنية في الكتب النحوية و في كتب التفسير، وتتبع الأبيات الشعرية كذلك ، تبين لنا أن ابن قتيبة أخذ برأي واحد فقط، وهو القول بالزيادة ولم يشر إلى الأقوال الأخرى التي لا تعتبر حرف الباء زائدا ، وإن له معنى آخر يؤديه في الآية القرآنية ، أو في بيت الشعر الوارد فيهما ، إلا أن ابن السيد البطليوسي قد وافقه في بعض ما ذهب إليه ، ورأى غير ذلك في كثير من الآراء التي قيلت في هذا الخصوص.

الكلمات المفتاحية: ابن قتيبة – البطليوسي – حروف الجر – حرف الباء.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا وحبيبنا محمد المبعوث رحمة للعالمين بلسان عربي مبين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد

فلقد ((سمى ابن قتيبة في هذه الأبواب حروف الجر صفات , وهي تسمية كوفية لا بصرية , وإنما سموها صفات ؛ لأنها تنوب مناب الصفات , وتحل محلها فإذا قلت : مررت برجل من أهل الكوفة , أو رأيتُ رجلا مستقرا في الدار فالمعنى : مررت برجل كائن من أهل الكوفة ، ورأيت رجلا مستقرا في الدار)) . (الاقتضاب ابن السيد البطليوسي , 257) . و((الباء حرف جر تُمَدُّ وتُقْصَرُ والنسبة إليها بأ وي ، أو بائي ، وقصيدة بيوية رويها الباء ، وجمع المقصور: أبواء والممدود : باءات، وتأتي للعوض و بمعنى أجل ، وحركتها الكسر ، أي : بنيت عليه لاستحالة الابتداء بالساكن، وخُصّتْ بالكسر تشبيها بعملها ، وقيل: الفتح مع الظاهر، نحو : مُرَّ بزيد)) . (ترتيب القاموس المحيط الطاهر أحمد الزاوي ج206/1). و ((والباء حرف من حروف المعاني، تُمَدّ وتُقْصَرُ – باء ، وبا – والجمع باءات ، ويقال :قصيدة بائية إذا كان رويها حرف الباء ، والنسبة إليها بأوي أو بائي ، وحركتها الكسر ، وهي حرف جر يجر الاسم الظاهر ، والضمير وتكون أصلية وزائدة)) . (المعجم الوافي في النحو العربي ، د. علي توفيق ، ويوسف جميل الدار الجماهيرية للنشر، مصراته. ليبيا ، ط: 1 . 1992م) .

والباء ((صوت شفوي شديد (انفجاري) ، مجهور مرقق يتم نطقه بضم الشفتين وإغلاقهما المجرى ، فينحبس خلفهما الهواء ثم ينفرجان بشكل مفاجيء فيخرج الهواء بشدة محدثا انفجارا ؛ لذلك يسمى الصوت شديدا ، أو انفجاريا ويكون الطبق عند النطق بالصوت مرتفع ليغلق ما بين الحلق والتجويف الأنفي

كما أن الأوتارالصوتية تهتز عند النطق بهذا الصوت ، لذلك فهو مجهور)). (علم الأصوات اللغوية: د. مناف الموسوي ، ص: 50 جامعة الزاوية، ليبيا ط : 1)

أما أقسام زيادة حرف الباء فهي على النحو الآتي: - (ينظر : الاقتضاب في شرح أدب الكاتب ، لابن السيد البطليوسي ص: 258 /259).

أ- القسم الذي لا يجوز أن يقال فيه إن الباء زائدة تسعة أنواع :

1- الباء التي لا يصل الفعل إلى معموله إلا بها، كقولك: مررت بزيد، وهي التي تسمى باء الإلصاق، وباء التعدية.

2- الباء التي تدخل على الاسم المتوسط بين العامل , ومعموله , كقولك : ضربتُ بالسوط زيداً , و كتبُ بالقلم الكتاب , وشربتُ بالماء الدواء , وهذه التي تسمى باء الاستعانة .

3- الباء لتي تتوب مناب واو الحال , كقولهم : جاء زيدٌ بثيابه أي : وثيابه عليه

4- الباء التي تأتي بعد السؤال بمعنى عن , كقولهم :-

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصيرٌ بأدواء النساء طبيبُ .

5- الباء التي تأتي بمعنى البدل , والعوض , كقولهم : هذا بذاك .

6- الباء التي تأتي بمعنى القسم : بالله .

7- الباء التي تقع في التشبيه كقولهم : لقيتُ به الأسد , ورأيتُ به القمر أي : لقيتُ بلقائي إيّاه الأسد , و رأيتُ برؤيتي إيّاه القمر .

8- الباء التي تقع بعد ما ظاهره غير الذات , وإنما المراد الذات بعينها , كقوله : إذا ما غزا لم يُسْقِطِ الخوفُ رمحَهُ ولم يُشْهِدِ الهيجا بألوثَ مُعْصِمِ .

أي : لم يشهد الهيجاء من نفسه برجل ألوث ، وكذلك قوله :

يا خير من يركب المطيَّ ولا يشرب كأساً بكفٍّ من بخلا

9- باء السببية : كقوله :-

غلبٌ تشذّرُ بالدخول كأنها جُنُّ البديّ رواسيا أقدامها

أي : بسبب الدخول , ومن أجلها , وجميع هذه الباءات لا تجوز زيادتها .

ب- الزائدة التي لاخلاف في زيادتها , إلا ما لا يعتد به : -

1- باء دخلت على الفاعل , في نحو : (كفى بالله شهيدا) , وقول الشاعر :

ألم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بني زياد

2- الباء الداخلة على المبتدأ , في نحو قوله :

بحسبك في القوم أن يعلموا بأنك فيهم غنيٌّ مُضر

وإنما لزم أن تكون هنا زائدة ؛ لأن الفاعل لا يحتاج إلى واسطة بينه وبين فعله لشدة اتصاله , والمبتدأ سبيله أن يكون معرّىً من العوامل اللفظية.

جـ - الباء التي فيها خلاف , وهي كل باء دخلت على معمول ، وعاملة يمكن أن يتعدى إليه بنفسه , من غير وساطة حرف بينهما , كقوله تعالى : (عيناً يشرب بها عباد الله) . (سورة : الإنسان , آية 6) ، وقول أبي ذؤيب :

شَرِبْنَ بماءِ البحر ثُمّ ترفَّعتْ متى لُججٍ خُضْرلهنّ نئيجُ

وللنحويين في هذه الباءات أقوال مختلفة , وهي كثيرة .

والذي دفعني إلى اختيار هذا الموضوع ما يلي : -

1 - أهميته التي تكمن في أن حروف الجر أكثر الحروف ، والأدوات استعمالا ولها دور كبير في تأدية المعاني الدقيقة ، وفهم الأساليب البلاغية المتنوعة.

2 - ما رأيته من فوائد تضاف إلى موضوع زيادة حرف الجر الباء , والذي كثر الحديث عنه , والخلاف فيه والتأويل عليه بغية الوقوف على الرأي الأصوب والمذهب الأرجح .

أما إشكالية البحث فتكمن في ما مدى صحة هذا التعقيب ؟ وما مدى توافق ابن قتيبة ، وابن السيد البطليوسي مع النحاة والمفسرين في زيادة حرف الجر الباء؟ . وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم بوصف

الظاهرة محل الدراسة, وتحليلها ,وكذلك المنهج المقارن أحيانا ؛بغية الوقوف على الرأي الأرجح عند مناقشة الآراء المختلفة في قضية زيادة حرف الجر الباء .

هذا وقد تألف البحث من مقدمة، وتمهيد، وتسع مسائل، وخاتمة بعد المستخلص المذكور.

التمهيد :-

زيادة الباء ويقصد بزيادة الحرف هنا أن يدخل في الجملة لتأكيد معناها ويكون ثبوته وسقوطه منها سواء من حيث الإعراب , لا من حيث المعنى . (شرح المفصل 138/8-139, والبرهان 72/1) .

وتعتبر الباء من الأحرف السبعة المتفق على جواز زيادتها من حروف المعاني ينظر:(الكتاب 225 , الخصائص، لابن جني 273/2 ، وشرح المفصل 138/8-139 , شرح الرضى على الكافية 4/ 432-439) .

وتسمية هذه الأحرف بالزيادة تسمية البصرين , ويسمونها أيضاً لغواً , أما الكوفيون فيسمونها حروف الصلة . ينظر : (الإيضاح في شرح المفصل , لابن الحاجب : 227/2) ، ويسمونها أيضا حشوا ، والأولى تجنب إطلاق اللغو والحشو على كلمة في القرآن الكريم يقول الزركشي : ((الأولى اجتناب مثل هذه العبارة في كتاب الله تعالى , فإن مراد النحويين بالزائدة من جهة الإعراب , لا من جهة المعنى)) . (البرهان , 3 / 70) .

لذا ينبغي الاقتصار على استعمال لفظ الزيادة , أو الصلة في آيات القرآن الكريم ويفضل الزركشي استعمال الصلة ؛ لأنه ليس في القرآن الكريم حرف إلاّ وله معنى . ينظر: (البرهان , 409/4) .

ولعل الفراء أوّل من التزم باستعمال هذا المصطلح في كتابه – معاني القران- تأدباً مع كتاب الله تعالى . ينظر:- (معاني القرآن الكريم للفراء , 244/1-245)

وتزاد هذه الأحرف في الجملة لفائدة معنوية , أو لفظية , فأمّا المعنوية فهي تأكيد معنى الجملة كلها , وتقويته , كما يفيده تكرارها . ينظر : (شرح المفصل 137/8, والجنى الداني 87 .) وأما الفائدة اللفظية ((فهي تزيين اللفظ , وكون زيادتها أفصح أو كون الكلمة , أو الكلام بسببها تهيأ لاستقامة وزن الشعر , أو لحسن السجع , او غير ذلك من الفوائد اللفظية ,ولا يجوز خلّوها من الفوائد اللفظية والمعنوية معاً , وإلاّ لعُدّت عبثاً)) . (شرح الرضى 433/4) .

والقياس : ((ألا يجوز حذف الحروف , ولا زيادتها , ومع ذلك فقد حُذفت تارة , وزيدت أخرى)) . (الخصائص , ابن جني , ص:380) , وأما عذر حذف هذه الحروف فلقوّة المعرفة بالموضع ، وأمّا زيادتها فلإرادة التوكيد بها ؛ لأن الغرض في استعمالها هو الإيجاز والاختصار , فإذا زيد ما هذه سبيله فهو تناءٍ في التوكيد به . ينظر : (المصدر نفسه :284) .

والباء المفردة – حرف جر– لأربعة عشر معنى وهي: الإلصاق سواء اكان حقيقيا نحو: أمسكت بزيد , أو مجازياً نحو: مررت بزيد , والتعدية , وتسمى باء النقل أيضاً , وهي المعاقبة للهمزة في تصير الفاعل مفعولا به , نحو: ذهبتُ بزيد أي (أذهبته) , والاستعانة , نحو: كتبُ بالقلم , والسببية نحو لقيتُ بزيد الأسد والمصاحبة نحو : (اهبط بسلام) ، و(الظرفية نحو : (نجيناهم بسحر) ، (ولقد نصركم الله ببدر) ، والمقابلة , نحو : أشتريته بألف , وكافأت إحسانه بضعف والمجاوزة , نحو : (فاسأل به خبيرا) والاستعلاء , نحو : (من إن تأمنه بقنطار) والتبعيض , نحو : (عيناً يشرب بها عباد الله) , والقسم نحو : أقسمُ بالله والغاية نحو : وقد أحسن بي , والتوكيد وهي الزائدة , وقد ورد بكتاب مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري : (ج/1 ص : 123 – 126) أن زيادتها في ستة مواضع وهي :

1- الفاعل : وزيادتها فيه واجبة , وغالبة , وضرورة , فالواجبة نحو ،، أحسن بزيد ،،في قول الجمهور : إن الأصل أحسن زيد بمعنى ذا حسن ، ثم غيرت

صيغة الخبر إلى الطلب وزيدت الباء اصطلاحا للفظ ، والغالبة في فاعل كفى ، نحو : (كفى بالله شهيدا) ، وقال الزجاج : دخلت لتضمن كفى معنى اكتف ، وهو الحسن بمكان ، والضرورة كقوله :

ألم يأتيك والأنباء تنمي ... بما لاقت لبون بني زياد .

2- المفعول به : نحو قوله تعالي (وهزي إليك بجدع النخلة) .

3- المبتدأ : وذلك في قولهم : بحسبك درهم ، وخرجت فإذا بزيد ، وكيف بك ؟

4- الخبر ، وهو ضربان : غير موجب فينقاس نحو : ليس زيد بقائم، وقوله تعالى (وما الله بغافل) ، وموجب فيتوقف على السماع وهو قول الأخفش ومن تابعه وجعلوا منه قوله تعالى : (جزاء سيئة بمثلها) .

5- الحال المنفي عاملها : نحو قوله تعالى (وما ربك بظلام للعبيد) .

6- التوكيد بالنفس أوالعين : وجعل منه بعضهم قوله تعالى : (يتربصن بأنفسهن) والباء الزائدة هي التي سيتم استعراضها والحديث عنها في هذا البحث بعون الله تعالى ، وقد ذكر ابن قتيبة في باب زيادة الصفات المسائل التي تكون فيها الباء زائدة ، وهي :-

1- المسألة الأولى :- قال الله جل ثناؤه : (تَنْبُتُ بالدُّهْن) ، المؤمنون : 20 (أدب الكاتب ,307) ؛ فإنه يقرأ بفتح التاء وضمها ، فمن قرأ بالفتح -- وعليه أكثر القراء -- فالباء غير زائدة . ومن قرأ بضم التاء -- وهي قراءة أبي عمرو وابن كثير-- ففي هذه القراءة ثلاثة أقوال : أحدها ما ذكره ابن قتيبة من زيادة الباء وأحسبه قول أبي عبيدة ويقوّي هذا القول ماُ روِي عن عبدالله بن منصور إنه قرأ (يُخْرِجُ الدُّهْن) , والقول الثاني : أن تكون الباء هاهنا هي التي تعاقب واو الحال في نحو ما حكيناه من قول الشاعر :

قد قطع الحبل بالمرود أي : (والمرود فيه فيكون المعنى : تنبت نباتها والدهن

فيه) , والقول الثالث : أن تكون على حدها في قراءة من فتح التاء ؛ لأنه قد حكى (نبت البقل , وأنبت بمعنى واحد) , (الاقتضاب 259 – 260).

و " أما (تُنبِت بالدهن) , فيمن ضم أوله , وكسر ثالثه , فخرج على زيادة الباء أو على أنها للمصاحبة , فالظرف حال من الفاعل , أي : مصاحبة للدهن , أو المفعول , أي : تنبت الثمر مصاحباً للدهن , أو ان (أنبت) , يأتي بمعنى (نبت) كقول زهير : قطينا لها حتى إذا أنبت البقل " , (مغني اللبيب , 120/1)

و " قرأ الجمهور (تَنبُت) , بفتح التاء وضم الباء , والباء في (بالدهن) على هذا باب الحال , أي : تنبت مصحوبة بالدهن , أي : ومعها الدهن " (البحر المحيط , 6/ 371) .

و ((قرأ ابن كثير , وأبو عمرو , وسلام , وسهل , ورويس , والجحدري بضم التاء وكسر الباء فقيل : (بالدهن) , مفعول , والباء زائدة , والتقدير : تُنبِت الدهن وقيل : المفعول محذوف أي : تنبت جناها ، وبالدهن في موضع الحال من المفعول المحذوف ، أي : تنبت جناها ومعه الدهن ، وقيل : أنبت لازم ك(نبت فتكون الباء للحال وكان الأصمعي ينكر ذلك)) . (البحر المحيط ، 6 / 371) وذلك ((لأن الباء تزاد في كثير من الكلام ، نحو قوله :(تنبت بالدهن) أي : تنبت الدهن)) (معاني القرآن للأخفش 440/2) ، يقول الزمخشري : ((بالدهن في موضع الحال أي : تنبت وفيها الدهن)) . (الكشاف : 4/ 224) .وقال الأخفش في حديث له عن قول الله تعالى : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) . (البقرة : 195) , يقول : ((إلى الهلكة والباء زائدة : نحو زيادتها في قوله (تنبت بالدهن) ، وإنما هي تنبت بالدهن)) . (معاني القرآن ، 173/1) .

والذي يراه الباحث في هذه المسالة ، ويميل إليه هي قراءة الجمهور لهذه الآية بفتح التاء ، وضم الباء في (تَنبُت) ، لتكون الباء في (بالدهن) في موضع الحال

أي : تنبت مصحوبة بالدهن ، بمعنى : ومعها الدهن ، أو وفيها الدهن ،. وذلك لأنه أوضح الآراء ، وأبعدها عن التأويل ، وعليه أكثر القراء .

2- المسألة الثانية :- قال تعالى : (اقرأ باسم ربك)) , (العلق :1) , أي : اسم ربك " . (أدب الكاتب , 307) , يقول ابن السيد البطليوسي :((وأما قوله تعالى : (اقرأ باسم ربك) , وتأويله إياه على زيادة الباء فقول غير مختار , وفيه ثلاثة أقوال : أحدها ما ذكره .

والثاني : أن تكون الباء غير زائدة , ولكنها على بابها في الإلصاق كأنه قيل : ألصق قراءتك باسم ربك , فالمقروء في هذين القولين هو الاسم . والقول الثالث: أ ن تكون الباء بمعنى الاستعانة , والمقروء غير الاسم , كأنه قال :اقرأ كل ما تقرأ باسم ربك , أي : قدم التسمية قبل قرءاتك , وهذا خير الأقوال ؛ لأن السنة إنما وردت التسمية قبل كل ما يقرأ , فهو إذاً من باب (بريت بالسكين القلم) , في أن الفعل يصل إلى أحد الاسمين بتوسط الاسم الآخر)) . (الاقتضاب , 260) .

والمُرجّح هنا أنها للاستعانة وذلك لدخولها على آلة الفعل , نحو : كتبت بالقلم . و ((قيل : ومنه باء البسملة ؛ لأن الفعل لا يأتي على الوجه الأكمل إلا بها)). (المغني : 120/1) , ولأن الإلصاق إما أن يكون حقيقياً نحو: (أمسكت بزيدٍ) إذا قبضت على شيء من جسمه , أو على ثيابه ,أو مجازياً نحو : (مررت بزيد) أي : ألصقتُ مروري بمكان يقرب من زيد . ينظر : (المغني , 1/ 118) .

و((الظاهر تعلق الباء ب(اقرأ) , وتكون للاستعانة , ومفعول اقرأ محذوف أي : (اقرأ ما يوحي إليك) ,وقيل : (باسم ربك هو المفعول , وهو المأمور بقراءته) كما تقول : (اقرأ الحمد الله) ، وقال الأخفش : (الباء بمعنى (على) أي : اقرأ على اسم الله , كما قالوا في قوله : (وقالوا اركبوا فيها باسم الله) (هود :41) , أي : على اسم الله)) . (تفسير البحر المحيط , 8 / 488)

. ويبدو أن الرأي الأرجح في ذلك هو ما ذكره البطليوسي من أنها للاستعانة ويؤيده ما قاله الزمخشري من أن : ((محل باسم ربك النصب على الحال , أي : اقرأ مفتتحاً باسم ربك , قل بسم الله ثم اقرأ)). (الكشاف للزمخشري , 6 / 403) .

3- المسألة الثالثة : وقال عزّ وجل :- (عيناً يشرب بها عباد الله) (الإنسان : 6) , ((أي : يشربها)) , (أدب الكاتب , 307) ، يقول ابن السيد البطليوسي : ((وأما قوله : "عيناً يشرب بها عباد الله " ففيه أيضاً ثلاثة أوجه أحدها : زيادة الباء والثاني : أن تكون بمعنى : (من) , كالتي في قول أبي ذؤيب : شربن بماء البحر ثُم ترفعت . . . متى لُجج خُضر لهنّ نئيج والثالث : أن يكون المعنى أنهم يلصقون بها شربهم وهذا على رأي من لا يرى زيادة شيء في القرآن)) , (الاقتضاب , 260)

وهي هنا تفيد ((التبعيض , أثبت ذلك الأصمعي والفارسي , والقتبيّ وابن مالك وقيل : الكوفيون , وجعلوا منه (عيناً يشرب بها عباد الله) (المغني , 1 / 122).

وقد أثبت الزركشي للباء في هذه الآية معنى التبعيض مما يؤكد أنها تفيد هذا المعنى . ينظر : (البرهان , 4 / 457) . والتبعيض هو أن يصح وضع (من) التبعيضية مكانها . ينظر : (شرح التسهيل , 3 / 152) . وفي إفادتها هذا المعنى خلاف بين علماء اللغة , والنحو , حيث أنكره بعضهم , وأثبته لها بعضهم , ومن أثبته الكوفيون والأصمعي . ينظر : (همع الهوامع 4 / 160)، وكذلك ابن مالك والرضي , والمرادي , وابن هشام وابن عقيل , والسيوطي , والأشموني . ينظر : (شرح التسهيل : 3 / 152 , شرح الرضى : 4 / 218 , الجني الداني : 43 المغني 142 , شرح ابن عقيل , 2 /22 همع الهوامع : 4

/ 159 , شرح الأشموني : 2 / 221) . و((قبضت بالدراهم أي : من الدراهم)) . (همع الهوامع2/ 26)

وقد حمل الإمام الشافعي – رحمة الله – على ذلك قوله تعالى: ﴿وامسحوا برؤوسكم ﴾, (المائدة : 16) أي : (وامسحوا شيئاً من رؤوسكم) . ينظر : (الأم : للإمام الشافعي , دار المعرفة , بيروت , لبنان , د.ت 1 / 26) .

ومن الذين أنكروا ورود الباء للتبعيض , ابن جني فقد قال : ((فأمّا ما يحكيه أصحاب الشافعي – رحمه الله – عن أن الباء للتبعيض , فشيء لا يعرفه أصحابنا – يقصد البصريين – ولا ورد به ثبت)) . (سر صناعة الإعراب , 1 / 139) وقد تأول المنكرون للتبعيض ما استدل به المثبتون على التضمين , و وافقهم عليه ابن مالك في البيت السابق قائلاً : ((الأجود في هذا أن يضمن (شربن) معنى (روين) ، ويعامل معاملته)) . (شرح التسهيل , 3 / 53) .

وقد ضمّن (يشرب) , معنى (يروى) أو (يلتذّ) , ليفيد الشرب , والري أو الشرب والالتذاذ جميعاً . ينظر : (مجاز القرآن , 263) .

و ((في (يشرب بها) , أي : يمزج شرابهم بها , أتى بالباء الدالة على الإلصاق والمعنى : (يشرب عباد الله بها الخمر) , كما تقول : (شربتُ الماء بالعسل) , أو ضمّن (يشرب معنى (يروى) , فَعُدِّي بالباء , وقيل : زائدة والمعنى : يشرب بها , وقال الهذلي : (شربن بماء البحر) , قيل : أي شربن ماء البحر , وقرأ ابن أبي عبلة : (يشربها) , وعباد الله هم المؤمنون)) . (البحر المحيط 8 / 387) .

يقول الزمخشري : ((فإن قلت : لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولاً وبحرف الإلصاق آخرا ؟ قلت : لأن الكأس مبدأ شربهم وأول غايته ؛ وأما العين فبها يمزجون شرابهم , فكان المعنى : يشرب عباد الله بها الخمر , كما تقول : شربتُ الماء بالعسل)) . (الكشاف , 6 / 276– 277) .

أما بيت الشعر : شربن بماء البحر ثمّ ترفعت ... متى لُجج خُضر لهنّ نئيجُ أجاز ابن مالك أن تكون الباء للتبعيض، ولكنه رجح التضمين قائلاً:((الأجود في هذا أن يضمن (شربن معنى روين) ويعامل معاملته)). شرح التسهيل, 3/ 153

4- المسألة الرابعة : – ((قال أمية :

إذ يُسفُّون بالدقيق وكانوا قبل لا يأكلون خبزاً فطيرا

وقال الراعي :–

هُنَّ الحرائر لاربّات أحمرة سود المحاجر لا يقرأن بالسور

وقال يعلي الأحول :–

بواد يمان ينبت الشتَّ صدره وأسفله بالمرخ والشهبان)) . (أدب الكاتب 307 – 308) . يقول ابن السيد البطليوسي : ((وأما قول أمية : إذ يسفون بالدقيق وقول الراعي : لا يقرأن بالسور ففيها أيضا قولان : الزيادة , والإلصاق على ما قدمناه وأما قوله : بواد يمان ينبت الشتُّ صدره ... وأسفله بالمرخ والشبهان فيحتمل وجهين : أحدهما زيادة الباء فيكون موضع المجرور بها نصباَ عطفاً على الشتَّ ، كما تقول : ضرب زيد عمراً وبكرٌ خالداً فتعطف الفاعل على الفاعل والمفعول على المفعول , والثاني : أن تكون غير زائدة فيكون قوله : (وأسفله) مرفوعاً بالابتداء , وقوله : (بالمرخ), في موضع رفع على خبره ؛ كأنه قال : وأسفله مثمر بالمرخ , ونحو ذلك من التقدير)) . (الاقتضاب , 260 – 261) .

ومما تزاد فيه الباء المفعول به مثل لا يقرأن بالسور , وقد ضُمن يقرأن معنى يرقين ويتبركن , وأنه يقال : قرأت بالسورة , على هذا المعنى , ولا يقال : قرأت بكتابك لفوات معنى التبرك فيه. ينظر : المغني , 1 / 126 – 127)

و((كقوله : سود المحاجر لا يقرأن بالسور , أي : لايقرأن السور , وأنشد الطبري : فؤاد يمان ينبت السدر صدره : وأسفله بالمرخ والشبهان)) . (البحر المحيط , 6 / 174) .

و ((لأن الباء تزاد في كثير من الكلام .... وقال الشاعر يعلى الأحول الأزدي :

بواد يمان ينبت السدر صدره وأسفله بالمرخ والشبهان

يقول : وأسفله ينبت المرخ والشبهان ,ومثله: زوجتك بفلانة ,يريدون : زوجتكها)) (معاني القرآن للأخفش , 2 / 440) .

5- المسألة الخامسة : وقال الأعشي :- (أدب الكاتب ، 308)

ضَمِنَتْ برزقِ عيالِنا أرماحُنَا ،،، ملء المراجل والصريح الأجردا يقول ابن السيد البطليوسي :- ((وأما قول الأعشي : - ضمنت برزق عيالنا أرماحنا)) فإنما جاز دخول الباء فيه على الرزق ؛ لأن ضمنت بمعنى تكفلت , و التكفل يتعدّى بالباء , تقول : (تكفلتُ بكذا) , فصار نحو ما قدمناه من حملهم الفعل على نظيره .

6- المسألة السادسة :- قال الله عز وجل : (وهزي إليك بجدع النخلة). (مريم : 25) . (أدب الكاتب , 308) , يقول ابن السيد البطليوسي : ((وأما قوله تعالى : (وهزي إليك بجذع النخلة تُساقط عليك رطباً جنيّا) ،فإن في هذه الآية وجوهاً من القراءات , والإعراب فمن قرأ (يُسْاقِط) بياء مضمومة , أو بتاء مضمومة , وخفّف السين , وكسر القاف , فالباء على قراءته زائدة , أو للإلصاق على ما قدمناه من رأي من يرى أن القرآن ليس فيه شيء زائد)) . (الاقتضاب261) و((من قرأ يَسّاقط عليك ففتح الياء وشدد السين , وفتح القاف وذكر الضمير , فلا يكون الضمير على قراءته إلا عائداً على الجذع , ومن فتح وشدد وأنث الضمير كان الفاعل عائداً على النخلة , أو الجذع , ويكون الهمز في هاتين القراءتين واقعا أيضاً على الجذع , والباء زائدة , أو

للإلصاق , كما كان في القراءتين المتقدمتين غير أن الرطب في هاتين القراءتين الأخريين ينتصب على التميز والتفسير ؛ لأن التساقط لا يتعدى إلى مفعولين كما تتعدى المساقطة)) (الاقتضاب 261 -262) , و ((يجوز في هاتين الثانيتين أن يكون الرطب منتصباً (بهزي), أي :(هزي رطباً جنياً , بهزك جدع النخلة) فيكون كقولهم : (لقيت بزيد كرماً وبِرّاً) , أي : (لقيت الكرم والبر بلقائي إياه) فتكون الباء على هذا غير زائدة , ويكون الضمير الفاعل في (تساقط) , عائداً على الرطب , لا على الجذع ، وكذلك في قراءة من أنث يكون عائدا على الرطب لا على الجذع)) . (الاقتضاب : 262) .

و ((مما تزاد فيه الباء المفعول , نحو : (وهزي إليك بجدع النخلة))) . (المغني 1 / 126) ، و((الباء للتوكيد زيدت في المفعول))، (إ عراب القرآن الكريم من مغني اللبيب ، إعداد أيمن عبد الرزاق الشّوّا . ص : 207).

و((الباء في (بجدع), زائدة للتأكيد كقوله : (ولا تلقوا بأيدكم إلى التهلكة) قال أبو علي كما يقال : ألقى بيده , أي : ألقى يده)) . (تفسير البحر المحيط 6 / 174) , وقد أقر الأخفش زيادتها هنا حيث قال : ((لأن الباء تزاد في كثير من الكلام نحو قوله (تُنْبِتُ بالدُّهْنِ) أي : تُنْبِتُ الدُّهْنَ)) , (معاني القرآن الأخفش 2 / 440) .

7- المسألة السابعة :- وقال عزّ وجل : (فستبصر ويبصرون بأيّكم المفتون) (القلم : 5 / 6), أي : أيّكم المفتون " , (أدب الكاتب , 308) . يقول ابن السيد البطليوسي :- ((وأما قوله تعالى : (فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون) , فإنما ذهب إلى زيادة الباء ؛ لأنه اعتقد أن المفتون المفعول من فتنته , فوجب على هذا الاعتقاد أن يقال : أيكم المفتون على الابتداء , والخبر , وصارت الباء هاهنا زائدة كزيادتها في قولهم : (بحسبك قول السوء) , وقول الشاعر : بحسبك في القوم أن يعملوا .... بأنك فيهم غنيٌّ مُضَرْ والأجود في هذه الآية أن يكون المفتون

مصدراً جاء على زنة المفعول , كقولكم : (خُذْ مَيْسورة , ودعْ مَعْسورة) , فيرتفع بالابتداء , ويكون قولهم : (بأيّكم) في موضع رفع على أنه خبره , كأنه قال : بأيّكم المفتون , كما نقول : بأيّكم المرض وقد قيل : إن الباء هاهنا بمعنى (في) كما تقول : زيدٌ بالبصرة , وفي البصرة والمفتون اسم مفعول مرفوع بالابتداء , والمجرور متضمن لخبره , كأنه قال : في أيّكم المفتون , كما تقول : في أيكم الضال , وفي أيّ الطائفتين الكافر . (الاقتضاب , 262 – 263) .

ومما تزاد فيه الباء ((المبتدأ , وذلك في قولهم : بحسبك درهم و خرجت فإذا بزيد , و كيف بك إذا كان كذا , ومنه عند سيبويه بأيّكم المفتون ، وقال أبو حسن : بأيّكم متعلق باستقرار محذوف مخبر به عن المفتون , ثم اختلف فقيل : المفتون مصدر بمعنى الفتنه , وقيل : الباء ظرفية , أي : في أي طائفة منكم المفتون)). (المغني , 1 / 127 – 128) و ((في النسفي قال الزجاج : الباء بمعنى في تقول : كنت ببلد كذا ، أي : في بلد كذا ،وتقديره :(وفي أيّكم المفتون) أي : في أي الفريقين منكم المجنون)) .(الكشاف للزمخشري ، 181/6). و ((إذا كان الكلام متعلقا بما قبله وهو قول الجمهور ، فقال قتادة ، و :أبوعبيدة معمر : الباء زائدة ، والمعنى : أيكم المفتون ، وزيدت الباء في المبتدأ كما زيدت فيه في قوله : (بحسبك درهم) ، أي : حسبك " ، و" قال الحسن والضحاك والأخفش : الباء ليست بزائدة ، والمفتون بمعنى الفتنة، أي : بأيّكم هي الفتنة ، والفساد الذي سموه جنونا ، وقال الأخفش : أيضا بأيّكم فتن المفتون ، حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه)). (تفسير البحر المحيط ،303/8) .

و ((قال مجاهد والفراء : الباء بمعنى (في) ، أي : في أي فريق منكم النوع المفتون . انتهى ، فالباء ظرفية نحو : زيد بالبصرة ، أي : في البصرة ، فيظهر من هذا القول أن الباء في القول قبله ليست ظرفية بل هي سببية))

,(تفسير البحر المحيط ، 8/ 303) . وقال الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط : ((يريد أيكم المفتون)) . (معاني القرآن ، 547/2) .

8- المسألة الثامنة :- قال امرؤ القيس :-

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت .... ((هصرتُ بغصن ذي شماريخ ميّال .

أي : غصناً)) , (أدب الكاتب , 308) . يقول ابن السيد البطليوسي ((وأمّا قول امرئ القيس – هصرت بغصن ذي شماريخ ميّال فإنه محمول على الوجهين المتقدمين من زيادة الباء , أو من معنى الإلصاق , ويقوي قول من قال بالإلصاق في هذه الأشياء أنه لو قال : أوقعت الهصر بالغصن ، لأفاد ما يفيد قوله : هصرتُ غصناً , وكذلك لو قال : أوقع الهزّ بالجذع , والشرب بالماء ؛ لأفاد ما يفيده قوله: هزّ الجذع , واشرب الماء, فكأنه كلام حمل على ما هو مثله في المعني على ما تقدم من حملهم بعض الأشياء على بعض)) , (الاقتضاب , 263) .

9- المسالة التاسعة : – وقال آخر :-

نحن بني جعدة أصحاب الفلج ... ((نضرب بالسيف ونرجو بالفرج . أي : نرجو الفرج , ومنهم من روى نحن بني ضبة)) . (أدب الكاتب , 308) يقول ابن السيد البطليوسي : ((وكذلك قول الراجز : نضرب بالسيف ونرجو الفرج , إنما عدي الرجاء بالباء ؛ لأنه بمعنى الطمع , والطمع يتعدى بالباء , كقولك : طمعت بكذا قال الشاعر : طمعتُ بليلى أن تريع وإنما تقطعُ أعناق الرجال المطامع)) . (الاقتضاب , 261) . وقد ورد في مغني اللبيب مما تزاد فيه الباء المفعول به وأورد هذا البيت وقال : ((الشاهد في الثانية , فأما الأولى فللاستعانة)) (المغني 1 / 126) , ويقصد بالأولى (نضرب بالسيف) , فالباء هنا للاستعانة وليست زائدة , و (الشاهد في الثانية) يقصد

بها قول الشاعر (ونرجو بالفرج) . فهنا الباء زائدة , والتقدير (ونرجو الفرج) . وقيل : ضمن نرجو معنى طمع .

الخاتمة

1- سمى ابن قتيبة حروف الجر صفات في كتابه أدب الكاتب؛ وذلك في قوله: باب دخول بعض الصفات مكان بعض وهي عبارة كوفية، لا بصرية، وإنما سموها صفات؛ لأنها تنوب مناب الصفات، وتحل محلها.

2- إن الحروف التي تستعمل زائدة في الجملة، سميت بأسماء مختلفة وهي: الحشو، واللغو، و الزائدة ، والصلة ، وأشهرها الزائدة ، وأفضلها الصلة ويجب تجنب إطلاق الحشو ، أو اللغو على حرف من حروف القرآن الكريم .

3- من حروف الجر التي قد تستعمل زائدة زيادة محضة هي الباء.

4- الباء الزائدة التي لا خلاف في زيادتها إلا مالا يعتد به ، هي الباء الداخلة على المبتدأ، والباء الداخلة على الفاعل ، والذي لزم أن تكون زائدة ؛ لأن المبتدأ سبيله أن يكون معرى من العوامل اللفظية ، والفاعل لا يحتاج إلى واسطة بينه وبين فعله لشدة اتصاله به .

5- الباء التي فيها خلاف في زيادتها هي كل باء دخلت على معمول، وعامله يمكن أن يتعدى إليه بنفسه من غير وساطة حرف بينهما.

6- وافق ابن السيد البطليوسي ابن قتيبة في زيادة الباء في المسالة الأولى إذا قرأت الآية بضم التاء في (تنبت بالدهن) في أحد الأقوال الثلاثة لها ،وهي قراءة أبي عمرو، وابن كثير ، أما المسالة الثانية فيرى أن القول بالزيادة قول غير مختار والأرجح أن تكون الباء للاستعانة .

7- أما المسائل: الثالثة ، والرابعة ، والسادسة ، والثامنة ، فقد وافق ابن السيد البطليوسي ابن قتيبة في قوله بزيادة حرف الباء بها في أحد الآراء، وفي الرأي

الآخر أنها في المسألة الثالثة تفيد التبعيض ؛ وذلك لصحة وضع (من) مكانها وعليه أغلب النحاة ، و تكون في السادسة للتوكيد ،والرابعة ، والثامنة للإلصاق .

8- أما المسألة الخامسة فلم يوافقه في زيادتها ، ويرى أن الفعل ضمن معنى (تكفل)، وهو يتعدى بحرف الباء ، وكذلك عدم زيادتها في المسألة التاسعة؛ وذلك لأن الرجاء عدي بالباء؛ لأنه بمعنى الطمع ، والطمع يتعدى بالباء .

9-اما المسألة السابعة فقد رأى ابن السيد البطليوسي أن من الأجود في هذه الآية " فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون " ، أن تكون الباء غير زائدة ، مع العلم ان مما يزاد فيه الباء المبتدأ ، ويرى سيبويه زيادتها في هذه الآية .

المصادر والمراجع

- المصحف الشريف , برواية قالون عن نافع, إشراف وطباعة ، ونشر جمعية الدعوة الإسلامية ، طرابلس – ليبيا ، الطبعة الثامنة ، 2005 م

1- أدب الكاتب , ابن قتيبة , تحقيق ، وضبط : محمد محي الدين عبد الحميد دار الطلائع القاهرة , 2005م .

2- الأصول في النحو , لابن السراج , تحقيق : د. عبد الحسين الفتلي مؤسسات الرسالة بيروت , ط : 3 , 1988م .

3- إعراب القرآن الكريم من مغني اللبيب إعداد : ايمن عبد الرزاق الشّوّ، ط: 1 1995م دار ابن كثير للطباعة والنشر ، بيروت -- لبنان

4- الاقتضاب في شرح أدب الكاتب , لابن السيد البطليوسي , دار الجبل بيروت – لبنان 1973 م .

5- الأم , للأمام محمد بن إدريس الشافعي , دار المعرفة , بيروت / لبنان دون تاريخ .

6- الإيضاح في شرح المفصل ، لابن الحاجب ، تحقيق : موسى بنان العليلي مطبعة العاني ، بغداد ، 1990 م

7- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي , تح . محمد أبو الفضل إبراهيم , دار المعرفة , بيروت , ط : 2 , 1972 م .

8- ترتيب القاموس المحيط ، الطاهر الزاوي، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة، 1980 م

9- الجنى الداني في حروف المعاني , للحسن بن قاسم المرادي (749هـ) تح . د. فخر الدين قباوة , ومحمد نديم فاضل , دار الآفاق الجديدة , بيروت , ط:2 1983 م .

10- حاشية الصبان على شرح الأشموني , دار إحياء الكتب العربية , مطبعة عيسى البابلي الحلبي وشركاه , القاهرة , د.ت .

11- الخصائص ,ابن جني , تحقيق : محمد علي النجار, بدون سنة طبع وتاريخ

12- سر صناعة الإعراب الإعراب ، ابن جني ، تحقيق : أحمد فريد أحمد جامعة الأزهر الشريف ، المكتبة التوقيفية ، مصر

13- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، محمد محيي ا لدين عبد الحميد المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، 1415 هـ --- 1995م .

14- شرح الأشموني , لنور الدين علي محمد الأشموني , تحقيق : محمد أحمد عزوز المكتبة العصرية , صيدا – بيروت , الطبعة الأولى 2010 ف .

15- شرح التسهيل , لابن مالك , تحقيق : د. عبد الرحمن السيد , و د. محمد بدوي المختون , الطبعة الأولى , 1410- 1990 م , دار هجر للطباعة والنشر .

16- شرح الرضى على الكافية , تحقيق : يوسف حسن عمر , منشورات جامعة بنغازي – ليبيا – الطبعة الثانية , 1996 م .

17- شرح الكافية الشافية , لابن مالك , تحقيق : د. عبد المنعم أحمد هريدي، مركز البحث العلمي و إحياء التراث الإسلامي , جامعة أم القرى , مكة المكرمة بلا تاريخ .

18- شرح المفصل , لابن يعيش , عالم الكتب – بيروت , بدون تخ . 15-علم الأصوات اللغوية ، د. مناف مهدي الموسوي ، جامعة الزاوية – ليبيا – ط: 1

19- الكتاب لسيبويه , تحقيق : د. إميل بديع يعقوب , دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان الطبعة الأولى , 1999 م .

20- الكشاف للزمخشري , تحقيق وتعليق : الشيخين عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض , الناشر مكتبة العبيكان – الرياض – الطبعة الأولى , 1998 .

21- معاني القرآن للأخفش سعيد بن مسعدة (210هـ) , تح: عبد الأمير محمد الأمين الورد عالم الكتب , بيروت , ط:1 , 1985 م .

22- معاني القرآن للفراء , تحقيق : أحمد يوسف نجاتي , محمد على النجار دار السرور دون / تخ , ودون سنة ط .

23 – المعجم الوافي في النحو العربي ، د. علي توفيق ، ويوسف الجمل ، الدار الجماهيرية للنشر، مصراتة . ليبيا ، ط: 1 ، 1992

24- مغني اللبيب , لابن هشام الأنصاري , تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية , صيدا – بيروت , الطبعة الأولى , 1999 م .

25- مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ،تحقيق : فؤاد سزكين ، القاهرة 1954 م

26- همع الهوامع , لجلال الدين السيوطي , اعتنى به الشيخ : أحمد عزو عناية دار إحياء التراث العربي , بيروت – لبنان , الطبعة الأولى, 2010 .

آليات العولمة وتفكيك بنية الثقافة القومية

"دراسة وصفية تحليلية للواقع الاجتماعي العربي"

د. عبدالحكيم حسن رحومة
كلية الآداب. الاصابعة. جامعة غريان

المستخلص:

ينطلق هذا البحث من فكرة وجود ثقافة عالمية مسيطرة بفعل العولمة وآلياتها، تسعى في كثيراً من الأحيان إلى السيطرة على الشعوب من خلال احد أهم وسائلها، وهي الهيمنة الثقافية التى يعتبرها الكثير بأنها الوسيلة الأمثل لتحقيق ما تسعى إلية الدول المتقدمة من سيطرة على العالم بشكل عام والمجتمعات النامية بشكل خاص. وعليه فأن هذا البحث يهدف إلى التعرف على تلك الأساليب التي تستخدمها العولمة للهيمنة والسيطرة. معتمداً في ذلك على إتباع منهج وصفي تحليلي، يصف الواقع من خلال ما تقدمت به الدراسات والأدبيات من أنتاج وأفكار للباحثين والمفكرين في العلوم الاجتماعية والإنسانية.

الكلمات المفتاحية: آليات العولمة ، تفكيك البنية الثقافية، الثقافة القومية.

تمهيد :

أنطلقت ثقافة العولمة بمضامينها المادية والمعنوية لكي تعيد تشكيل العالم بأسره على قاعدة من التجانس، لأن التباين قد يعوق موجاتها المتتابعة. غير أنها في انطلاقها أصتدمت بالثقافات القومية، التى وإن كانت ضيقة من حيث أتساع نطاقها إلا أنها تتميز بالكثافة والقوة مقارنة بثقافة العولمة. إذ تشكل الثقافة مع المجتمع والبشر كتلة متماسكة ذات كثافة عالية، إبعادها الثلاثة تتداخل في نوع من الترابط العضوي. فالثقافة ضاربة بجذورها في تاريخ المجتمع، يتضافر وجودها مع وجوده، ثم أن الثقافة ذات علاقة متبادلة مع المجتمع في الحاضر. فهي تنتج في جانب منها من تفاعل البشر مع بعضهم البعض على ساحته، غير انه تمتلك في ذات الوقت إستقلال وقدرة على تنظيم التفاعل الحادث في المجتمع. إضافة إلى أنها متجذره في شخصيات البشر توجه سلوكياتهم في مختلف المجالات الاجتماعية، في مقابل أنهم من خلال تفاعلاتهم اليومية يقومون بإبداع بعض جوانب الثقافة. لذلك وجدت ثقافة العولمة في الثقافات القومية قوى معوقة تقف في مواجهة انتشارها، خاصة أذا كانت هذه الثقافة القومية مؤيدة بالدين. الذي يصنع من تراكمات الثقافة وتنوعاتها، حضارة لها هويتها وقدراتها على المواجهة والدفاع عن مجتمعاتها. لذلك نجد أنه منذ أن أنطلقت العولمة فإن ثقافتها دخلت في صراع مع الثقافات القومية، التى ترفض عملية إعادة تشكيل هوية مجتمعاتها.

وقد رأت قوى العولمة، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، أنها وأن كانت لها السيطرة الآن على الثروات المتنوعة، إلا أن المستقبل قد يحمل معه تحدياً بالنسبة لها. حيث بروز العديد من القوى الاقتصادية والسياسية مثل الصين ودول شرق أسيا وكوريا الجنوبية وغيرها. وفي الصراع القادم هناك إحتماليات كثيرة للنجاح بيد أن هناك أيضا إحتمالية للفشل، وخوفاً من هذا الفشل فقد رأت أن هناك آليات كثيرة للانتصار في المعارك المتتابعة لهذا الصراع، غير أن الآلية الأكثر حسماً

من الناحية الإستراتجية هي الآلية الثقافية. وفي هذا الإطار قررت قوى العولمة العمل على ساحة الثقافة، لأن تغيير الثقافة وإعادة تشكيلها بما يلائم الثقافة الغربية وتحقيق مصالحها، يعد مدخلاً لتغيير العقل وإعادة صياغة الهوية، وفي ذلك قتل للوعي الموضوعي بالمصالح، وتدمير للإرادة، وهتك لنسيج الهوية. وفي هذا الصدد امتلكت قوى العولمة بامتياز، آليات تغيير الثقافة والعقل، التي تتمثل في التعليم الغربي والإعلام المتطور وتكنولوجيا المعلومات التي تتسارع أجيالها في التجدد والتطور، إضافة إلى أجهزة الرصد، التي تقيس الإنجاز الذي تحقق في كل مجال وإتجاه (على ليلة: 2012، ص 127).

وتعد ثقافة العولمة هي ثقافة عدوانية بطبيعتها، حيث تتجلى هذه العدوانية من خلال مؤشرين، الأول الهجوم على المضامين المعنوية للثقافة القومية، والسعي لاستبدال هذه المضامين بمضامين الثقافة الغربية التي هي ثقافة العولمة. حيث تعمل هذه الثقافة باتجاه إقصاء الدين والقيم الأخلاقية والصيغ الجماعية للثقافة القومية، لتحل محلها القيم الفردية والمصلحة والجنس خارج الشرعية، وقيم الاستهلاك والفساد وثقافة اللاعمل. أما المؤشر الثاني لعدوانية ثقافة العولمة يتمثل في أنها ثقافة ليست بريئة، فهي تسعى لنقل المنتجات والسلع لتصريفها في أسواق المجتمعات القومية، غير أنها تنتقى التكنولوجيا التي تصدرها إلى هذه المجتمعات. حتى تظل على تخلفها وعلى خضوعها الدائم لعملية الاستغلال، وحتى لاتقف على ذات خط التقدم الذي تقف عليه القوى التي أطلقت موجات العولمة. إلى جانب تلك نجد أن قوى العولمة لم تتوقف عند مستوى عدم السماح بنقل تكنولوجيا الإنتاج إلى مجتمعات العالم الثالث وبخاصة المجتمعات العربية والإسلامية، بل سعت إلى تقييد حركة الدول والمجتمعات القومية لتطوير تكنولوجيا خاصة بها من خلال إطلاق ترسانة قوانين الملكية الفكرية وفرض التزام العالم بها. إضافة إلى السعي لضرب أي إبداع تكنولوجي لم تسمح به.

وحتى تستطيع قوى العولمة حصار الثقافة القومية، قد أبدعت في الهجوم عليها من كل اتجاه، كالعمل من ناحية على تبديد مثلها ومبادئها الدينية حتى لا تقود هذه المجتمعات تطوراً أخلاقيا مستقبلا. وهى من ناحية ثانية سعت إلى تسريب مضامين ذات طبيعة لا أخلاقية، أو مسترخية إلى بنيتها، تخاطب غرائز البشر لتفصلهم عن ثقافتهم، وبآلية الإعلام وثقافة الصورة تعمل على تسطيح القدرات العقلية للبشر.

وهى من ناحية ثانية تسعى إلى تأليب الثقافات المحلية، والإثنية والفئوية عليها، تحت غطاء حرية التعبير وحقوق الإنسان والمساواة، وهى شعارات حق أريد بها باطل، بل ذهبت قوى العولمة أحياناً لفرض ثقافتها تحت التهديد بالحرب أو إطلاق عقالها فعلاً، وفي سعيها لتفكيك الثقافة القومية وفرض انهيارها، ألغت القداسة عن التراث، كما ألغت القداسة عن الدين والأخلاق، لأن القوة التى تمتلكها العولمة هي قوة بلا تراث. (على ليلة: 2012، ص 129)

وقد حظيت الثقافة العربية القومية بنصيب الأسد من هذا الهجوم فقد تعرض الدين الإسلامي للهجوم لكونه تضافر مع القومية حيث تعتبره قوى العولمة الغربية، شجرة تثمر العنف والإرهاب، وقد هوجمت اللغة العربية في محاولة لتبديد مفرداتها ونشر الفوضى في بنيتها، و هوجمت الثقافة العربية من كل إتجاه، حتى أصبح الدين واللغة والثقافة تكوينات معنوية، بدأت وكأنها تبدو غريبة على واقع مجتمعاتها. لقد فعلت ذلك العولمة من خلال موجات متتابعة وبآليات عديدة، وأتقد أنها حققت بعض النجاح.

نحن **إذ نهدف** في هذا البحث رصد تلك الأساليب التى تتبعها العولمة في هيمنتها على المجتمعات، مع أظهار الطابع العدواني الذي ميّز العولمة في الجانب السلبي منها. متبعين في تحقيق هذا **الهدف منهجاً يصف** و يحلل الواقع الاجتماعي، من

خلال ما تقدمت به البحوث والدراسات الاجتماعية من قبل المفكرين والمتخصصين والمفكرين في العلوم الاجتماعية .

أولا : ثقافة العولمة وأساليب الهيمنة:

على الرغم من شيوع الحديث عن حرية الاختيار وتعددية الثقافات المتاحة، فإن الثقافة الغربية _ كما بينا سابقا_هي التي جرى تعميمها فتحكّم الغرب بوسائل الإعلام مكّنه من تعميم قيمه وسلوكه ومفاهيمه.

وللعولمة وسائل وأساليب تسهم في انتشارها في كافة أرجاء العالم، وهذه مجتمعة تعمل معاً بحيث تكمّل كل منها الأخرى، وتعتمد كل واحدة منها على الثانية في شكل متناسق وتلقائي ومتبادل ويتم ذلك على عدة مستويات منها:

1- تفكيك الثقافة القومية:

تختلف الثقافة القومية عن ثقافة العولمة في اتصافها بالخصوصية، والقدرة على ربط أصحابها بخصائص وجدانية وفكرية مشتركه، بينما تعجز ثقافة العولمة عن توليد الإحساس المشترك أو امتلاك ذاكرة اجتماعية . (Giddens, Anlong: 1999, p.24)تعتمد ثقافة العولمة على تشويه البني التقليدية وتغريب الإنسان وعزله عن قضاياه، والتشكيك في جميع قناعاته الوطنية والقومية والأيديولوجية والدينية، وذلك بهدف إخضاعه للقوى والنخب المسيطرة على العالم وإضعاف روح النقد والمقاومة، وعند ذلك يستسلم المرء نهائياً إلى واقع الإحباط فيقبل الخضوع لهذه القوى ويتصالح معها (Samir Radwan:2000, p.27)

ويتم تفكيك الثقافة القومية من خلال عدة مداخل منها ما يسمى "الاختراق الثقافي" حيث يعد من أهم المداخل الأساسية لاقتحام الثقافة القومية ، والتأثير في قناعات الأفراد، فتدفق المعلومات عبر تقنيات المعرفة والإعلام والثقافة الحديثة لا يقصد منها إلا بث وإضافة مفاهيم جديدة، وبالتالي التوغل إلى منظومة القيم والمبادئ

والمفاهيم الأساسية ، وزعزعة القناعات بها ، والترويج لقيم ومبادئ ومفاهيم قوى عولمة الثقافة، والتي تركز حول تعميم الثقافة الإمبريالية وتكريس الأيديولوجية الفردية المستسلمة. (حسين علوان : 2001، ص 123)

فالاختراق الثقافي الذي تمارسه العولمة لا يقف عند حدود تكريس الإشباع الحضاري فحسب، بل يكرس "الثنائية في الهوية الوطنية" ذلك أن الوسائل السمعية والبصرية والتي تعمل على هذا الاختراق وتكرسه، إنما تملكها وتستفيد منها فئة معينة من النخبة العصرية، فهي تستطيع التعامل مع لغاتها الأجنبية، بحكم التعليم العصري الذي تتلقاه ، أما عموم الشعب وعلى رأسه النخبة التقليدية يعد في شبه عزلة، والنتيجة تكريس ثنائية بين الأصالة والمعاصرة في الثقافة والفكر والسلوك. (محمد عابد الجابري: 1988، ص 35)

كما تجدر الإشارة إلى أن العولمة تشجع على إحياء التراث تحت مظلة احترام الهوية والأصالة ، والخصوصيات الإثنية والعرقية والمذهبية داخل جميع الأديان السماوية وغير السماوية، بما فيها اليهودية والمسيحية والإسلام والبوذية، وجميع الملل والنحل، حيث تعتمد ثقافة العولمة على تمزيق الوحدة الشعبية باستخدام السلاح الديني مما يشغل أفراده عن القضايا الأساسية وعن الوطن، وضعف الانتماء وبث الفرقة وتقوية النزاعات تحت اسم المحافظة على التراث والهوية (نوال السعداوى: 1999، ص 125).

بل وتساهم العولمة في اكتشاف الهويات الثقافية الجزئية ضمن الدولة القومية (أقاليم – طوائف) وقد تتحول هذه الهويات إلى محاولة إثبات ذاتها وثقافتها مما يؤدي إلى تفتيت الثقافة القومية، وإحياء ثقافات عرقية أو عضوية، وقد يتم تأصيل التعددية الثقافية الناتجة عن طمس حدود الدولة القومية، كحدود ثقافية ضمن المواطنة والديمقراطية بحيث تغدو المواطنة والديمقراطية هي الرابط المادي بين أفراد ينتمون إلى ثقافات متعددة. (عزمي بشارة: 2003، 284).

إن كل الآليات والأهداف تصبو إلى هدف واحد هو ضرب الخصوصيات القومية والمرجعيات الأخلاقية وإن الهدف من تساقط الخصوصيات القومية، لا يقصد به قومية بعينها ، وإنما الخصوصية نفسها وليس تاريخاً بعينه، وإنما فكرة التاريخ نفسه، وليس هوية بعينها إنما فكرة الإنسان المطلق، حيث تختفي المرجعية ويظهر عالم لا مركز له، ولا خصوصيات فيه، ويسير فيه البشر بلا أهداف ولا يمكنهم التواصل أو الانتماء لوطن، فكل إنسان جزيرة منعزلة يحدد أهدافه اليومية ويغيرها طبقاً للإعلام، وهكذا تكون ثقافة العولمة ثقافة تفكيكية. (عبدا لوهاب المسيري: 1997، ص 12).

وتطرح قضية الثقافة القومية وتفكيكها إشكالية الصراع بين فكرة العولمة الثقافية والخصوصية التي توضحها من خلال عرض نظرية "هينتجتون" حول صراع الحضارات ، حيث يلاحظ أن الصراعات القادمة خلال المشهد العالمي المقبل لن تكون من طبيعة أيديولوجية أو اقتصادية بل ثقافية، حيث تلعب الثقافة دوراً فعّالاً في خلق وتحريك كل الصراعات لأجل إعادة توزيع الخريطة البشرية. (Huntington Samuel: 1993,p.125.)

ولذلك يرى "الجابري" أن الهدف من ثقافة العولمة هي الهيمنة، وتحقيقها لا يتأتى إلا من خلال إقصاء وتفكيك الثقافة القومية، واختراق الآخر وسلبه خصوصيته. (محمد عابد الجابري: 2003، ص 297).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك من يرى عكس ما سبق، حيث إن الثقافة القومية قادرة على الصمود أمام هذا الصراع والتفكيك، فيذهب الشرقاوي إلى أنه: "إذا كانت الثقافة العالمية تنطوي بالضرورة على عناصر الثقافة القومية، إلا أنها ليست حاصل جميع ثقافات الأمم وليست تراكم تنوع الثقافات ، وإن تأثير تنوع الثقافة العالمية مهما كان شديدا فإنه لا يلغي إطلاقاً الثقافة القومية، ولا يمكنها أن تحل محلها، لأن الثقافة في أمة صاعدة قادرة أن تعيد إنتاج نفسها عبر الأجيال،

وأن تجعل المؤثرات الثقافية العالمية تتلاءم مع الثقافة القومية. (أحمد الشرقاوي: 2000، ص 30).

2– طمس الهوية الثقافية القومية:

يطرح "هينتجتون" إشكالية العولمة وعلاقتها بالهوية الثقافية القومية ويرى أن الهويات الثقافية والتي هي على المستوى العام هويات حضارية، هي التي تشكل أنماط التماسك والتفسخ والصراع، في عالم ما بعد الحرب الباردة. (صموئيل هنتجتون: 1999،ص 290)

ويبشر بعالم تكون فيه الهويات الثقافية العرقية والقومية والدينية واضحة، وتصبح هي المركز الرئيسي وتتشكل فيه العداوات والتحالفات بسياسة الدول طبقاً لعوامل التقارب والاختلاف. (نجيب عضيان: 1998، ص 139).

ويوضح أحد الباحثين في هذا المجال كيف تؤثر العولمة على الهوية الثقافية حيث يتم غزو ثقافي من خلال انطلاق فيض ثقافي من بلد المركز ليجتاح الكرة الأرضية، ويتدفق على شكل صور وكلمات وقيم أخلاقية وقواعد قانونية، ومصطلحات سياسية ومعايير، وينتقل هذا الفيض إلى المستهلكين مشكلاً رغباتهم وسلوكهم وعقلياتهم وأنماط حياتهم، وبذلك تذوب الهويات في خضم هذا الغزو. فثقافة العولمة تسعى إلى تذويب الفوارق خاصة بين الأجناس والقوميات من خلال تكثيف عمليات الاختلاط، والمزج بين عناصر الجنس البشري، ويُستخدم لتحقيق هذه الخاصية قدر كبير من الحراك الحضاري لتأكيد الهوية العالمية. (James and RsonAhd Alan Co horn:1999,p.25.)

ويضع "روبينز ، وموردي" (Moreyd, and Robins K., :1999,p.6. p.7.) ثلاث صفات للهوية الثقافية في عصر العولمة ويطلقان عليها هوية الخندقة وهي:

- حديد الهوية الثقافية متساوية الامتداد فضائياً، وهو ما يعني أن الثقافة تخيل على إنها موحدة ومقيدة بذلك الفضاء بصرف النظر عن المقياس.
- تحول الثقافة إلى شيء ، وتعطي جوهراً يتجاوز الممارسات " لم تعد طريقة الناس وتصرفاتهم هي التي تساهم في ظهور نعت ما ، وإنما النعت هو الذي يحدد السلوك الملائم، ولم تعد الثقافة المذكورة تُرى على أنها نتيجة الممارسات المادية والرمزية، وإنما هي سبب تلك الممارسات".
- إنه يمكن لهذا الجوهر أن يُحدد أو يُلوث أو يُحطم من قِبل قِوى خارجية.

ويرى "فريمون" إن احتكاك الثقافة التقليدية بثقافة المجتمع الرأسمالي، تؤدي إلى انهيار الثقافة التقليدية وتفككها ، لأنها الأضعف، مما يشكل إشكالية على صعيد الهوية وعلى نمط الحياة الاجتماعية، لأن فقدان الاستقرار يشكل المصدر الخفي لضياع المجتمع وتجزئته، حيث تعتمد صناعة العولمة على بث ذهني ناعم، مباشر وغير مباشر، تتنوع نماذجه وتتلون، مما يضع الثقافة الوطنية في حالة انكشاف وانكسار. (حلمي شعراوي: 1998،ص 118).

ويرى "مايكل" أن هذا البث ووفقاً للتخطيط الأمريكي هو محاولة منهجية للتأثير على الرأي العام على نطاق واسع، باستخدام الوسائل الرمزية مثل الكلمات والإشارات، وهي فن الإقناع والذي يؤدي إلى خلخلة الهوية، وإقناعها بأكاذيب وحقائق غير موجودة، مما يؤسس بدوره لقيم جديدة ويعيد تأهيل المجتمعات على أسس من التغريب. (JohnmicAdrin Ridge:2000, p.184.)

وهكذا تحتل ثقافة العولمة محل الحروب في زعزعة الهوية وتغيير المفاهيم والقيم، فعلى الرغم من أن الحروب لا تنسى ببساطة من أذهان الشعوب كحرب فيتنام، فقد غزت شركة كوكاكولا الأمريكية السوق الفيتنامي لتنيب عن المقاتل الأمريكي.(على حسين الشبكشي: 2002، ص 173).

3 – إعادة تشكيل الثقافات المحلية:

تلعب التقنيات الحديثة وبخاصة في مجال تدفق المعلومات دوراً أساسياً في إعادة إحياء الثقافات المحلية، والبدء في بلورة ثقافة عالمية، وذلك على حساب الثقافات الوطنية مما أدى إلى وجود ثقافتين: الثقافة العالمية (ثقافة الصفوة) وثقافة الجماهير (الثقافة المحلية) بتياراتها واتجاهاتها، ويبدو هذا في شكل (إحياء السلفية – إحياء الخصوصيات العرقية)، فهذه الأشكال تُعد نتاجا لآليات الهيمنة الرأسمالية وتشجيعها للثقافات المحلية المتعارضة (ثقافة الأقليات) فالعولمة بطبيعتها هي النقيض الحقيقي لوجود عوالم أخرى. (أحمد مجدي حجازي: 1999، ص 132).

ويرى "فيدرستون" أن العولمة لا تهدد الهوية الثقافية بالفناء والتذويب، بل تعيد تشكيلها، فقد كان الافتراض في السبعينيات أن تطور العالم نحو مزيد من الحداثة سيشهد مزيدا من الفردية، ولكن ما يحدث الآن هو البحث عن هوية جماعية قوية وأشكال جديدة للجماعة وهو ما يعيد العالم إلى القبلية. (MicrFeatherston: 1997, p.150.)

ويوضح "أمبرست" كيف تتم عملية إحياء الثقافات المحلية بقوله: "إن العولمة تخلق جدلية في البنية القومية للمجتمعات، وهو التوتر الخفي الكائن بين مكوناتها الأساسية والذي يؤدي إلى ما يسمى بالتدمير البناء حيث خلق توتر بين متطلبات التحديث، ومتطلبات التأصيل، فالأولى تركز على الإجراءات العملية التي تتطلبها عمليات الدمج السياسي والإداري، والثانية تركز على الإجراءات العاطفية التي تتطلبها عمليات الدمج الثقافي والاجتماعي القائمة على التواصل، وهو ما يؤدي إلى خلق توترات على المستوى الاجتماعي والثقافي وظهور جماعات وهويات عرقية تحاول الدفاع عن الموروث الثقافي، وهو ما يؤثر على تماسك المجتمع واستقراره. (WatterrAmbrust:1999, p.12.)

كما يؤكد "جرانت وايفي": أن تقنيات الاتصال تساعد على حدوث تفاعل بين الجماعات ذات السمات الثقافية المشتركة وخاصة اللغة، وهذه الحقيقة تساعد على فهم أسباب ما حدث في السنوات الأخيرة من عودة الجماعات العرقية الكامنة وقومياتها إلى الظهور. (Grant H. Cornwell and Eve Walsh: 2001, p.14.)

4 – تأكيد التجانس الثقافي:

تتعرض الثقافة القومية لتحديات لا تتأتي عن الهيمنة الثقافية فحسب. وإنما عن الآليات والأدوات التي تفرضها العولمة الثقافية، مثل تدفق المعلومات عبر الأقمار الصناعية، وشبكات الإنترنت، وبنوك المعلومات وهي عوامل تساعد العولمة على فرض نمط جديد من المفاهيم الثقافية وذلك عن طريق ضخ المعلومات عبر التقنيات الإعلامية والثقافية المتطورة. (DrezherDanile: 2002)

ومن هنا فإن "سجيولاندر" يرى أن العولمة تتضمن فكرة التجانس بغض النظر عن أي اختلافات دينية أو ثقافية، ولها آلياتها في تحقيق هذا التجانس، فثقافة العولمة لا تنظر إلى خصوصيات الأفراد والمجتمعات، ولا تبحث عن المعرفة الصحيحة من خلال الحوار الثقافي، ولكنها تميل إلى محاولة تعميم ثقافة الأقوى مادياً وعسكرياً وإعلامياً. (J. Lander, Clairet:)

ويوضح "هاينز" (مايك فيدرستون: 2000، ص 7) كيف يتم التجانس الثقافي من خلال تمدد التداخل الثقافي العالمي بشكل يؤدي إلى نشأة كيان عالمي من التفاعل والتبادل الثقافي المتواصل في إطار سلسلة من التدفقات الثقافية والتي تتم عبر مرحلتين:

الأولى: إفراز تجانس ثقافي وفوضى ثقافية في آن واحد وذلك بربط جيوب من الثقافة المتجانسة نسبياً بعد أن كانت منعزلة وهو ما يؤدي إلى إفراز صور أكثر تعقيداً للآخر، وإلى إيجاد ردود أفعال داعمة للهوية؟

الثاني: إفراز ثقافات عابره للقوميات وهو ما بعد الثقافات الأصلية، والتي تتجه إلى ما وراء الحدود القومية.

ثانياً: الطابع العدواني لثقافة العولمة.

بدأت عملية العولمة في فترة كانت فضاءات العالم العربي طابعها الفراغ، تسودها مظاهر الضعف والفراغ. فقد انتهت عقود الإستقلال والتنمية، التى بدأت في هذا العالم في أعقاب الحرب العالمية الثانية دون أن تحقق إنجازات مادية ذات معنى أو قيمة. إضافة إلى أنها كانت تعيش حالة من الإنهيار الثقافي الحقيقي، الذي يرجع من ناحية إلى عدم التربية الأيديولوجية والمذهبية الجادة للجماهير. ومن ناحية ثانية إلى تصادم أيديولوجيات التنمية في غالب الأحيان مع ثقافة المجتمع، الأمر الذي أدى إلى عدم تجدر الأولى في مقابل ضعف الثانية،وهو الأمر الذي يعنى أن الفضاء الثقافي لغالبية المجتمعات العربية، كان يعيش في حالة من الفراغ المؤهل لاستقبال أي شئ.

في هذا الإطار بدأ الاختراق الثقافي للعولمة وهو الاختراق الذي إنتهى بأنهيار الثقافة ومنظومات القيم المتضمنة بها. ذلك يدفعنا إلى تحديد ماهية الثقافة، حيث يثير التعريف الكلاسيكي الذي قدمه إدوارد تيلور للثقافة بقوله " أنها ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون، وغير ذلك من الإمكانيات والعادات التى يكتسبها الإنسان بصفته عضواً في المجتمع " (سليمان خلف : 1998، ص ص 52-91) . بيد أن هذا التعريف الكلاسيكي يبرز الثقافة من خلال كونها حاضراً فقط، متجاهلاً بذلك بعدها التراثي والتاريخي. وهو البعد الذي يتضمنه الجابري للثقافة بقوله " إننا نقصد بالثقافة هنا ذلك الكل المركب من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات و الإبداعات والتطلعات. التي تحفظ لجماعة بشرية هويتها الحضارية في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل دينامياتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء " . وبعبارة

أخرى تعد الثقافة " هي المعبر الأصيل لأي أمة من الأمم، عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان ومهامه وقدراته وحدوده. وما ينبغي أن يعمل وما لا ينبغي أن يأمل (كريم أبو حلاوة : 2001، ص 180).

ويسطرد الجابري مؤكداً أنه ترتيباً على ذلك فإنه ليست هناك ثقافة عالمية واحدة، وليس من المحتمل أن توجد في يوم من الأيام. وإنما وجدت، وتوجد وسوف توجد ثقافات متعددة ومتنوعة، تعمل كل منها بصورة تلقائية بتدخل إرادي من أهلها، من أجل الحفاظ على كيانها ومقوماتها الخاصة (مايك فيذر ستون : 2000، ص 3).

وإذا كان تحديد تيلور للثقافة ذو طبيعة برجماتية عملية، فإن تحديد الجابري لها تاريخي وموضوعي في طبيعته، تحديده للثقافة كاف لها في عصر ما قبل العولمة، ثقافة الدولة المنعزلة نسبياً والقادرة على التحكم بحدودها الثقافية. وإذا كانت الدولة في الماضي هي التى تؤسس حالة التجانس الثقافي، فإننا اليوم أمام قوى عالمية تسعي إلى فرض تجانس ثقافي عبر العالم الذي أصبح يشكل قرية صغيرة وواحدة. وعلى هذا النحو فإنه بإمكاننا التحدث عن عولمة الثقافة لنشير بذلك إلى ذلك وجود تلك العمليات التى تتشكل عبر المحيطات، هذه العمليات تأخذ أشكالاً وإتجاهات متعددة، ومن الطبيعي أن تؤدى هذه العمليات إلى انهيار سيادة مجتمعات الدولة (كريم أبو حلاوة : 2001، ص 178) .

أذراك العولمة الثقافية هنا يتم وفق منظور تطوري وشمولي كذلك، من هذا المنطلق فإننا نستطيع التأكيد على العولمة بصفتها ظاهرة تاريخية، أرتبط ظهورها بعمليات الحداثة والتحديث وتفاعلات ما بعد الحداثة. وهذا لا يعني بالطبع أن استخدام نموذج العولمة يجب أن يقتصر فقط على دراسة الماضي الحديث نسبياً، إذ يمكن تحديد عملية العولمة على أنها امتداد للتداخل الثقافي، وتوسيعه باتجاه خلق دار كونية عالمية، يمكن تحديدها " بأنها ذلك التكوين الذي يشهد تبادلا وتفاعلا ثقافياً بصورة مستمرة ودائمة " (Toulmin. Stephen: 1990, p.173) .

على النحو تخضع الثقافة العالمية لحالة من الانسياب الثقافي المستند إلى ثلاثة عمليات رئيسية. الأولى عملية الاتصال الثقافي بين الأمم والمجتمعات، وهي العملية التى بدأت تكتسب قدراً من الاستقلالية على الصعيد العالمي (Ibid, p. 175). وتترتب العملية الثانية على الأولى حيث تستهدف عملية التواصل هذه تحقيق تجانس ثقافي، مصحوب عادة بحالة من الفوضى الثقافية، الناتجة عن السعي إلى جمع شتات الثقافات المنعزلة في كيان ثقافي واحد. ومن الطبيعي أن تظهر في هذه المرحلة تصورات معقدة للآخر، وكذلك ردود فعل تتمحور حول حماية الذات الثقافية، والثالثة تتمثل في ظهور ثقافة ثالثة حقيقية وعابرة للحدود القومية.

وإذا كانت الثقافة العالمية هي نتيجة للتواصل والتفاعل الثقافي الحر، فإن ثقافة العولمة تنشد أن تكون حتمية وفي اتجاه واحد. فهي ثقافة لا تنتج عن التفاعل ولكنها تنشد أن تكون منطلقاً لما ينبغي أن يكون عليه هذا التفاعل العالمي. إتصالاً بذلك تنطلق العولمة الثقافية تدعمها وسائل الاتصال الحديثة، لاختراق الحدود الثقافية للمجتمعات انطلاقا من مراكز صناعة وترويج الثقافة ذات الطابع الغربي، لتفرض نفسها على ساحة عالمية متخلفة أو أقل تطوراً. على هذا النحو ألغت العولمة الثقافية إمكانيات التثاقف كخيار يعني الانفتاح التطوعي على المنظومات الثقافية غبر آليات التأثير المتبادل، لصالح اكتساح و استباحة الفضاء الثقافي. الذي يعزز قيم الغالب الثقافية ومثله ونظرياته، على حساب قيم المغلوب ورؤيته للعالم، والمهدد دوماً بالانزواء والاحتماء بمتاريس التراث أو التاريخ القومي، أو بالذوبان في خضم الثقافة السائدة والضياع في تيارها الجارف. وبذلك نجد أن موقف الثقافات القومية قد أصبح أكثر صعوبة في ظل التهديد الذي تفرضه العولمة الثقافية، المزودة بتكنولوجيا الإخضاع الجديدة ممثلة بالتحالف بين الثقافة والتكنولوجيا، لفرض الغالب الحضاري، و تسويغه، وكسر الممانعة الثقافية للشعوب

الأخرى، واختزال غنى ثقافتها وعمقها الحضاري إلى بعد فولكلوري يشهد على غربتها وأسطوريتها وانتسابها إلى متاحف التاريخ (مايك فيذر ستون: 2000، ص 6). ويكشف تأمل هذا الإخضاع الثقافي عن وجود قنوات كثيرة تيسر ذلك، من هذه القنوات كما يشير أبادور اى :

أ- التدفق البشري من خلال السواح والمهاجرين واللاجئين والمنفيين والعمالة الأجنبية المؤقتة، يذهبون إلى مجتمعات الغرب حيث يستوعبون الثقافة من منابعها ومن نوعية حياتها، ثم ينقلونها إلى مجتمعاتهم.

ب- التكنولوجيا الحديثة التى تتمثل في تدفق الآلات والمصانع التى تقدمها الشركات القومية، والمتعددة الجنسية والهيئات القومية وغير القومية، ومن الطبيعي أن لا تنتقل التكنولوجيا وحدها، بل مصحوبة بمنظومة القيم والقواعد والمعايير المنظمة وفاعليتها.

ج- بالإضافة إلى ذلك هناك تكنولوجيا الإعلام والمعلومات، التي تفتح المنافذ أمام تدفق الصورة والمعلومات، وهو تدفق يتحقق عبر الصحف والمجلات والتلفزيون والسينما. فأغلبية مضامين هذا النمط من التدفق تشير إلى أنه يعمل على تسطيح الإدراك وجدب البشر من خلال غرائزهم للمشاركة في منظومته.

د- إلى جانب ذلك تلعب التدفقات المالية دوراً محورياً في تأكيد ثقافة العولمة، حيث يحدث تدفق سريع للمال في أسواق العملات وتبادل الأوراق المالية. تصبح فيه عملة القوى الدافعة للعولمة هي العملة الأقوى، والقادرة ليس فقط على فرض ظروف اقتصادية محدده، بل أنها تدعم كذلك نشر المنظومة الثقافية المرتبطة بهذه الظروف.

هـ- ويأتي بعد ذلك التدفق الأيدلوجي الذي يؤكد على تدفق الصور المرتبطة بايدولوجيا العولمة المحددة، والمستندة إلى رؤية القوى العالمية التي تؤكد على

قضايا الديمقراطية والحرية والرخاء والمرأة وحقوق الإنسان. كحق أريد به باطل (علاء عبدالهادى : 2002، ص 46).

و- فإذا لم تفلح القنوات السابقة جميعاً في فرض العولمة الثقافية بالمستوى المطلوب، فالضغوط الاقتصادية على المجتمعات واردة، خاصة أن السيطرة على المؤسسات الدولية مكفولة. فإن لم تفلح هذه أيضاً فليس هناك ما يمنع من التدخل المباشر. ولعل حق التدخل الذي تبرره الولايات المتحدة تحت ذريعة الأسباب السياسية تارة، والإنسانية تارة أخرى، يعد سابقة خطيرة في هذا الميدان. حيث سوّغت أمريكا من خلاله اعتداءاتها العسكرية على الصومال والسودان والعراق، وبررت فرضها العقوبات الاقتصادية على ليبيا والعراق وإيران، وغيرها من الدول بحجة مقاومة الإرهاب والحفاظ على السلام العالمي (سليمان خلف : 1998، ص 63) .

ذلك يعني أن الثقافة التي تسعى العولمة إلى فرضها تتميز ببعض الخصائص الأساسية، نحددها انطلاقاً من مرجعية الثقافة الوطنية أو القومية. من هذه الخصائص أنها ثقافة لا تاريخية، وهي على عكس الثقافة القومية التي تتميز بالخصوصية والتعبيرية وانتظامها داخل أطر زمنية معينة. وكذلك قدرتها على أن تولد بين أهلها خصائص مشتركة كالمشاعر والقيم والذاكرة الجماعية والإحساس المشترك بهوية تاريخية وقدر واحد. في هذا الإطار فإننا أن ثقافة العولمة لا تولد لدى البشر إحساساً بهوية تاريخية أو قدر مشترك، حيث ينظر إليها أنها ثقافة من دون ذاكرة جماعية (حامد عمار: 2000 ص، 42). وهي كما يرى سميث تتسم بنزعة توسعية، وهي ثقافة منقطعة عن أي ماضي، ومن ثم فهي تسعى باستمرار لتؤكد وجودها في الحاضر أو في مستقبل متصور، ولذلك فهي تظل ذات طبيعية غير مقيدة بالتاريخ، وتتمثل الخاصية الثانية لثقافة العولمة بكونها عدوانية فهي من ناحية ثقافة تتسلح بالمعرفة باعتبارها قوة. يتحقق ذلك لأن تدفق الأبحاث يساعد

باستمرار على أنتاج معارف جديدة ساعدت على تحقيق تقدم أكثر. حيث تجلى ذلك في خلق مواد جديدة بديلة للخدمات التقليدية، كما أدى ذلك أيضاً إلى حدوث تطورات كبيرة في مجال الإلكترونيات الدقيقة، وصناعة الاتصالات، وثورة الجينات وتطبيق نتائج العلوم البيولوجية، هذا فضلاً عن صناعة الكمبيوتر وشبكة المعلومات. وبذلك تسعى قوى العولمة من ناحية لامتلاك مصادر القوة الحقيقية في اليوم والغد (كريم أبو حلاوة : 2001، ص 184).

وارتباطا بذلك تفرض ثقافة العولمة احتكار المعرفة لإنتاج السلع بالجملة حتى تشبع كل الأسواق والأذواق. ثم من ناحية ثانية تعتمد الاختراق كآلية لإخضاع الهوية الفردية والجماعية، قاعدتها المعرفية ليست متاحة لكل البشر، بينما قيمها وسلوكياتها ونوعية حياتها مطلوب أن تصبح مرجعية لإعادة تنشئة كل البشر.

الخاصية الثالثة تتمثل في أن العولمة الثقافية أمريكية الطابع. لكي تنطلق موجاتها فقد كان من الضروري أن تسعى القوة الأمريكية للهيمنة على المؤسسات الاقتصادية الدولية. وكذلك التحكم في عمل مؤسسات الشرعية والقانون الدوليين، إضافة إلى السيطرة على غالبية الشركات المتعددة الجنسية. عبر كل هذه المسارات يتم تدويل ونشر القيم الثقافية والعادات والاستهلاكية وأنماط السلوك على الطريقة الأمريكية، لكي تصبح أساساً لثقافة عالمية ومرجعية لها. وذلك من خلال الضخ المتزايد والمستمر لمعطيات الصوت والصورة عبر أحدث وسائل الإعلام والاتصال، إلى كل بيت في العالم بشكل فوري ومباشر. ولا تقتصر محاولات الأمركة على مضامين الرسالة الإعلامية الدائمة التدفق، بل تتعداها إلى التبشير بانتصار القيم الأمريكية، وبأساليب وطراز الحياة الأمريكية بدءاً بأنماط السلوك والملابس واللغة، ووصولاً إلى التبشير بالانتصار النهائي للقيم الليبرالية على سواها (كريم أبو حلاوة : 2001، ص 185).

وتشير الخاصية الرابعة إلى أن ثقافة العولمة من نوع الثقافات التى تمتد بالاتساع دون أن تضرب في العمق، حيث تسعى هذه الثقافة إلى أن تقطع المسافات بسرعة، كي تمهد لاستهلاك السلعة أو تشكل دعماً لها. هذه الثقافة تتغير بتغير السلع ومن ثم ليست بها قيماً ثابتة، ولم تتغلغل هذه الثقافة في بنية الشخصية من خلال التنشئة الاجتماعية لتشكل قاعدة ثابتة توجه سلوكياتها. مصدرها الإعلام دائماً، ليس الإعلام الوطني، بل الإعلام العالمي الذي يقدم قيماً وسلوكيات سريعة، جذابة وذات إغراء. تتغير كل يوم، لم تتولد عن التفاعل الاجتماعي بل جاءت من خارجه، ومن ثم ليس لها قداسة لأنها لم تتخلق عن السياق أو تولد من رحمه. لا تتصل بتاريخ الجماعة، ومن ثم فهي غريبة على روحها، وبذلك ليس لها عبق التاريخ ولا عبيره، فهي ثقافة تعمل وفقا لها كل يوم، ثم نلفظها لنتعرف على غيرها في يوم آخر.

بالإضافة ذلك تعمل ثقافة العولمة على إنعاش قيم وسلوكيات الاستهلاك لتصريف إنتاج التكنولوجيا المتقدم، سواء من خلال توجيه السلع لإشباع الحاجات، أو من خلال خلق حاجات وأذواق لتصبح أسواقاً لتصريف سلع الاستهلاك . تربط هذه الثقافة نفسها بالفرد من خلال الإشباع الغريزي السطحي والسريع، يتسارع في ذلك الأغنية السريعة والإيقاع وفق أنغام وإيقاعات تستثير الرواسب الغريزية للإنسان. أو الأكلات السريعة التى تساعد على الإشباع المؤقت والمزودة بكل ما يساعد على التذوق، دونما لإضافة حقيقية لبناء الجسد. ثم هي ثقافة تربط نفسها بالمجتمع من خلال نشر ثقافة الاستهلاك في إطاره، بحيث يتضافر الإيقاع السريع لثقافة العولمة مع الغرائز التي تتطلب الإشباع المتسارع والمتواتر، على خريطة منظومة قيميه تسعى إلى دمج ذلك في بناء البشر، وبخاصة من هم في عمر الشباب .

وتذهب الخاصية الخامسة إلى أن ثقافة العولمة موقفها من الثقافة القومية، لتناقض أبعادها مع طبيعة هذه الثقافة. فالثقافة القومية هي ثقافة الدولة التى تسعى العولمة إلى إزاحتها من طريقها، تارة من خلال الأداء الاقتصادي للشركات المتعددة الجنسية. والتي يؤدي أدوارها إلى تقليص الوظائف الاقتصادية للدولة، وتارة أخرى من خلال الإعلام وتكنولوجيا المعلومات المتطورة، تبرز عجز الدولة عن حماية حدودها الثقافية. بالإضافة إلى ذلك تعادي ثقافة العولمة الثقافة القومية للدولة، لأن تجانس الأخيرة يشكل عقبة في طريق استكمال التجانس على الصعيد العالمي، ولأن الثقافة القومية من المحتمل أن تشكل أحد محاور المقاومة. الثقافة القومية تعبر في العادة عن تاريخ الجماعة، وترتبط بالجذور، وتجسد عادة روح الجماعة. وهي على نقيض ثقافة العولمة التي تسبح في فضاء المجتمع أو العالم، دون جذور ترتبط بأرض أو كيانات محددة، تسعى إلى أن تفرض روح منبتها على العالم بأسره. وعلى عكس الثقافة القومية ذات الطبيعة العصامية، نجد ثقافة العولمة مشبعة بروح استعمارية وقهرية، تسعى إلى تجانس الاستهلاك وتباين الإنتاج، بحيث يعكس ذلك رغبة شرهة لإعادة تشكيل الهوامش وفق احتياجات المراكز أو المركز الوحيد.

ذلك يعني أن ثقافة العولمة تعد نوع من الشمولية الجديدة، لأنها تنتهي إلى محاولة فرض ثقافة واحدة ونمط وحيد للحياة على الأمم، وبذلك فهي تصادر الخيارات الاجتماعية والسياسات البديلة. والعولمة أيضاً وهي تبشر بانتهاء عصر الأيديولوجيات، تفسح الطريق إلى أيديولوجيا وحيدة ومهيمنة وتعترف بثقافة واحدة،بما تنطوي عليه بأنماط إنتاج واستهلاك وحياة واحدة. وتعد ثقافة العولمة ثقافة "نهاية التاريخ"، التي تحاول أن تجمل وجهها الشائع بقناع مخادع وزائف من المصطلحات التي فقدت معناها كالديمقراطية، وحقوق الإنسان، والتعدد السياسي والتكنولوجيا المتاحة للجميع ولا يرجع انتشار هذه الثقافة إلى كونه أكثر إنسانية من

غيرها، ولكن لأنها ثقافة الغالب (محمد إبراهيم منصور: 1998، ص 354)، وكذلك لأن العولمة الثقافية جاءت إلى هذه المجتمعات، سواء كانت مجتمعات العالم الثالث أو مجتمعات العالم العربي وهي في أسوا ظروفها وفي أقل الحالات استعداداً للاستفادة منها (ليلى شرف: 2001، ص 375).

ومن الطبيعي أن يؤدى ذلك إلى ظهور عديد من الظواهر الثقافية ذات الطبيعة المقاومة بالأساس، فمن شأن ثقافة العولمة الشمولية، أن تسبب ردود فعل متشددة عند الشعوب التي تشعر بضرورة الحفاظ على الذات والتراث، والعودة إلى الأصول. ففي مقابل هجمة العولمة تبدى الحركات المدافعة عن الهويات والخصوصيات والأقليات، للقيام بعملية تحصين عن طريق تنمية قواها الذاتية واختيار التكنولوجيا الملائمة لمواردها وحاجاتها، وقد يتخذ الصراع منحى قومياً حيناً ودينياً أحياناً واقتصاديا في كل حين. إذ من الواضح أن هذه المجتمعات سوف تتجه تحت ضغط العولمة الزاحفة إلى التمسك أكثر من أي وقت مضى بخصوصياتها الثقافية، وكياناتها السياسية وتقاليدها وأصولها. سوف تكون العولمة الدافع الأساسي لتحريك الخصوصيات على أنواعها، وبذلك نستطيع أن نقول بأن القرن الواحد والعشرين هو قرن الخصوصيات الثقافية. فقد فجرت العولمة الغازية العديد من الأفكار والنظريات دفاعاً عن التراث والشخصية الوطنية أو القومية (كريم بقرادون : 2001، ص 359).

ذلك يعني أن ثقافة العولمة ليست ثقافة عالمية نتجت عن تفاعل بين الثقافات، ولكنها ثقافة تسعي إلى فرض نفسها على العالم من خلال قهر إرادته. هي ثقافة مزودة بتكنولوجيا المعلومات والإعلام والشركات المتعددة الجنسية، وربما بقوة العسكر والسلاح. ثم هي ثقافة لا تخاطب العقل، تنتشر مرتبطة بعمق واتساع مساحة الغرائز، إضافة إلى ثقافة تسعى إلى نفي الدولة والثقافة القومية معاً وعلى

حد سواء. ذلك يدفعنا إلى إثارة قضية هامة تتعلق بالإبعاد والخصائص التي تشكل ثقافة العولمة استنادا إليها تهديداً للثقافة القومية.

وتتمثل الخاصية السادسة في أننا نلاحظ أن ثقافة العولمة في مواجهتها للثقافة أو الوطنية، تضمر منذ البداية نظرة استعلاء تنظر من خلالها ثقافة العولمة إلى الثقافات الأخرى . باعتبارها ثقافات متخلفة قياساً على التقدم الذي حققته الثقافة المعبرة على العولمة، أحياناً يتحول الاستعلاء إلى نظرة عدائية ملؤها الشك والريبة. وهي المشاعر التى تهيئ المناخ لإمكانات الصدام أكثر من احتمالات الالتقاء، تجسدها النظرة الغربية للهوية الثقافية العربية أو الإسلامية، ودعوتها إلى ضرورة الحذر منها. تأكيدًا لذلك أنه حينما فجرت الباكستان قنبلتها النووية تحدث الغرب وأثار الغبار حول قنبلة إسلامية، وكم يكون الأمر مضحكاً أو مثير للسخرية أو مثيراً للسخرية إذا تحدث المسلمون أيضاً عن قنبلة مسيحية أو هندوسية أو يهودية (Stephen Tovlmin:1990, p. 180)

وحينما وقعت انفجارات 11 سبتمبر 2001 ألصقت التهمة سريعاً بجماعات إسلامية في محاولة لإدانة الثقافة والحضارة الإسلامية. ذلك قد يدفع أبناء بعض الثقافات القومية أحياناً هروباً من الاتهام أو نظرة الاستعلاء إلى التخلي عن بعض جوانب ثقافتهم أو التخلي عن بعض تراثهم ليتبنوا نمط ثقافي حديث. يحدث ذلك في بعض مناطق العالم الإسلامي، في الريف أو في بادية النفط، حيث تصر الأسرة على تأثيث بيتها بالأثاث والتجهيزات الغربية النمط، بالإضافة إلى بعض الأثاث الذي يعود إلى أسلوب الحياة القديم. ومن ثم نرى في البيت مطبخاً حديثاً، إيطالي أو ألماني التراث، يظل لامعاً ونظيفاً، يبرز كجزء يشير إلى ديكور التغيير والحداثة، وإن ظل استخدامه شكلياً في حدود صنع القهوة أو العصير. فمازالت ربة البيت وأسرتها يفضلون الجلوس على الأرض، على طريقة الآباء والأجداد يتناولون طعامهم باليد وليس بالأشواك والسكاكين(جلال أمين: 1998، ص 58). قد

يستمر ذلك في الجيل الأول، غير أن ضغوط العولمة سوف تجعل الجيل الثاني أو الثالث يفضل العيش وفق طرائقها ونوعية حياتها.

خاصية سابعة لثقافة العولمة إنها تعمل على اختزال التعددية الحضارية والثقافية. وحتى تحقق ثقافة العولمة ذلك فإنها تتجمل وتخفي جملة عملياتها المفروضة وغير البريئة، فهي قد تتستر وتستند إلى مبادئ حرية انتقال الثقافات والأفكار. وبرغم أن هذه المبادئ نفسها هي التى تؤكد على التنوع الثقافي، وعلى حق جميع الشعوب والمجتمعات في التعبير عن ثقافاتها دون ذوبانها في تراث الثقافة المسيطرة السائدة (جلال أمين: 1998، ص 69). فإننا نجدها هي التى تحاول اختزال التعددية الحضارية، والغني الذي تختزنه ثقافات العالم، إلى نمط استهلاكي وغربي مؤمرك ووحيد. ومن الطبيعي أن يؤدى ذلك إلى إدانة العولمة باعتبارها متحيزة وتسيطر عليها القوة الأمريكية بنوعية حياتها. وفي هذا الإطار يشير الباحث الفرنسي " مارك أوجيه " في كتابه " حرب السلام " إلى غزو الصور الذي صار يغطى الأرض كلها، باعتباره " غزو يشبه نمط جديد من الخيال الذي يعصف بالحياة الاجتماعية. يصيبها بالعدوى ويخترقها إلى حد أنه يجعلنا نشك فيها، في واقعها ومعناها، وفي المقولات الخاصة بالذات ولآخر التى تتولى تكوينها وتعريفها ". وارتباطا بذلك ينبه وزير الخارجية الكندي السابق " فولكنر " مشيراً إلى أحد سلبيات الهيمنة المنفردة للولايات المتحدة على العالم بقولة : " لئن كان الاحتكار أمراً سيئاً في صناعة استهلاكية، فإنه أسوا إلى أقصى حد في صناعة الثقافة، حيث لا يقتصر الأمر على تثبيت الأسعار، وإنما تثبيت الأفكار أيضاً (جلال أمين: 1998،ص 66). ولا يتوقف الأمر عند آراء الباحثين الأفراد، بل يتعداه إلى سياسات الدول المتقدمة التى أدركت خطورة الاستفراد والهيمنة الأمريكية على مقدرات العالم وثقافته. ففي فرنسا هناك إجماع على اتخاذ كل الإجراءات الكفيلة بحماية اللغة والثقافة الفرنسيتين من التأثير الأمريكي، ومنها إصدار قانون يلزم

محطات البث التلفزيونية بألا تزيد نسبة البرامج الأجنبية من إجمالي البث عن 30%. وفي اتفاقية التبادل الحر بين أمريكا وكندا، فرضت الحكومة الكندية على الإدارة الأمريكية استثناء كل الصناعات الثقافية والإعلامية من الاتفاق المذكور (حامد عمار: 2000، ص 43).

ولم تكن دول عدم الانحياز أقل تخوفاً من العولمة وآثارها، فقد ورد في البيان الختامي لمنظمة دول عدم الانحياز أن العولمة تشكل تهديداً خطيراً للحريات التى اكتسبت حديثاً ما لم تتم حماية مصالح دول الجنوب بصورة فعالة. أن العولمة يجب آلا تجتاح الجميع أمامها، ويجب أن تتسم بالشمولية بل ينبغي أن تتم بشكل تدريجي، وبأسلوب يكون للغالبية التى تمثل البشرية رأي فيه. وألا يقتصر الأمر على قبول الغالبية لما تراه الدول القوية فقط (على ليلة: 2003، 29). وفي هذا السياق نذكر رأى " جوزيف ناى " أمين عام وزارة الدفاع الأمريكية في حكومة سابقة – الدولة الأقوى التى تحاول أمركة العلم وفق ثقافتها ونوعية حياتها – حيث أكد أن الدولة الأقوى هي التى تتبوأ ثورة المعلومات. ويتكامل مع ذلك فهم " ديفيد روشكوف " المدير المالي لمعهد كيسنجر للمعلومات " لمضمون القرية الكونية عندما قال: أن الهدف الأساسي للسياسة الخارجية في عصر ثورة المعلومات، يتحدد بالفوز في معركة التدفق الإعلامي، بالسيطرة على موجات البث مثلما كانت بريطانيا العظمي تسيطر على البحار" ويضيف موضحاً. أن من مصلحة الولايات المتحدة إذا تواصلت أطراف العالم عبر الراديو والتلفزيون والموسيقى أن تكون القيم الأمريكية هي قيم العالم المشتركة" (سليمان خلف: 1998، ص 190).

ومن الطبيعي أن تكون لمثل هذه الطبيعة والخصائص نتائج سلبية عديدة على الثقافات القومية، منها إضعاف الانتماء للثقافة القومية والوطنية. حيث يتكون إنسان جديد يأخذ ملامحه من عصر جديد، ولغته من لغة المسيطر، ويغدو انتماؤه للقرية الكونية، أقوى من الانتماء لأي أمة أو ثقافة (كريم أبو حلاوة: 2001، ص

190). ويتصل ذلك بتدمير الهوية حيث تنتشر نمطية الإنتاج والاستهلاك، عبر ساحات العالم، الطعام واحد والملبس مشترك، والموسيقى المفضلة تتكرر ومطلوب بإلحاح أن يشاهد البشر مادة تلفزيونية واحدة، ويسيرون في شوارع مدن متشابهة. ليس هناك فارق كبير بين التحول في شوارع روما أو مدريد، أو في وسط القاهرة أو نيودلهي أو جاكرتا أو المكسيك. حيث يسعى التقدم التكنولوجي إلى طمس الهوية الثقافية للأمم تحت شعار التنمية الاقتصادية، وبالمثل طمس الهوية الثقافية للفرد تحت شعار " زيادة الرفاهية الإنسانية " . ومن الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى خسائر كبيرة، أو يضاعف من مستويات التهديد والقلق (جلال أمين : 1998، ص 60).

وتتحدد الخاصية الثامنة لثقافة العولمة في كونها تسعى إلى فرض الاستتباع الحضاري بصورة ناعمة، تتجاوز أشكال الاستعمار القديم الذي كان يتحقق من خلال الاحتلال العسكري، أو عن طريق علاقات تجسدت في التبعية الاقتصادية لكيان الدولة القومية المستقلة. يصاحب ذلك ويدعمه هيمنتها على بنية ثقافات الجنوب لتدخل ثقافتها أو تنفذ إلى عقول مواطنيها. موظفة انفتاح أسواق الجنوب لمنتجات الشمال الحضارية دون قيد، وساعية لبث رسائله الإعلامية والإعلانية وقيمه المعنوية، ورموزه الاجتماعية في فضائها. هذا فضلاً عن تأكيد الاستعلاء المطلق لأساليب حياة الشمال باعتبارها أسمى ما وصل إليه التطور التاريخي في نهايته – على حد تعبير "فوكوياما" في كتابه نهاية التاريخ – وإلا فالمصير "صراع الحضارات" كما يتوقع هنتجتون، وصاحب الغالب معروف في هذا الصراع، والمغلوب مولع أبداً بتقليد الغالب كما يقول بن خلدون (كريم أو حلاوة: 2001، ص 193).

ولتحقيق ذلك سعت العولمة باتجاه تفكيك بناء الثقافات القومية، وإذا كانت الثقافة تشكل في الأصل كتلة متماسكة، فإن العولمة تحولها إلى أشلاء أو جزر متناثرة

تفقد تدريجياً العلاقة العضوية بين أجزائها، بالإضافة إلى ذلك تعمل ثقافة العولمة على تبديد عناصر الثقافة الواحد تلو الآخر.

وختاماً،هناك ملامح متعددة اقتصادية وسياسية وثقافية واتصالية للعولمة، ويتجه العلم اليوم نحو إقامة ثقافة تتناسب والعولمة ، أي صياغة ثقافة عالمية باتت اليوم هي المسيطرة على العالم ، وهذه الثقافة هي ثقافة الدول المتقدمة التي تتجه نتيجة ثورة الاتصالات نحو تنميط جميع ثقافات العالم، وتساعدها في ذلك وسائلها المختلفة مثل تقنيات الاتصال الحديثة، ونظم التعليم والتدريب ونشر المفاهيم و القناعات، واستخدام وكالات الأنباء والأخبار والأفلام والسياحة، مما شكل تحديا للثقافات الأخرى ،وهناك عدة أساليب للهيمنة الثقافية ، تبدأ أولا بتفكيك الثقافة القومية للمجتمعات التي تختلف ثقافتها عن ثقافة العولمة، ويتم ذلك من خلال ما يسمى بالاختراق الثقافي عبر تقنيات المعرفة والإعلام والتوغل في منظومة القيم والمفاهيم الأساسية وزعزعة القناعات، والترويج لقيم العولمة ، ثم تبدأ عملية طمس الهوية الثقافية القومية عن طريق تذويب الهويات في خضم الغزو الثقافي، فالعولمة تسعى إلى تذويب الفوارق وخاصة بين الأجناس والقوميات من خلال تكثيف عمليات الاختلاط عن طريق عملية الحراك الحضاري. ثم تبدأ عملية إعادة تشكيل الثقافات المحلية من خلال إفراز تجانس ثقافي تدعمه وسائط عولمية مثل اللغة، أي نشر لغة موحدة للعالم وهي اللغة الإنجليزية وأيضا تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وكذلك الشركات متعددة الجنسيات والإعلام وأدواته، جميع هذه الوسائط تعمل على عملية التجانس الثقافي الذي يؤدى إلى التغير الثقافي.

أن هذا التغير الثقافي هو نتاج تأثير العولمة على المجتمعات النامية ، ويمكن أن نستخلص من ذلك بأن العولمة تقوم بوسائلها المختلفة بتفكيك القيم الثقافية للشعوب ثم تعيد تشكيلها وفقا لثقافة المجتمعات الأكثر تطورا ، والمالكة لآليات العولمة ووسائلها المختلفة ،وهو ما يقرب وجهات النظر الثقافية

والاجتماعية بين الشعوب ، إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه مدى تقبل تلك المجتمعات المتلقية للعولمة بتلك الثقافة الوافدة إليها؟

المراجع:

1- أحمد الشرقاوي: ورقة عمل مقدمة حول صراع الحضارات أم حوار الثقافة، 2000.

2- أحمد مجدي حجازي: العولمة وتهميش الثقافة الوطنية، رؤية نقدية من العالم الثالث، سلسلة عالم الفكر (دورية)، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثاني، 1999.

3- جلال أمين : العرب والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث، في العرب وقضية الهوية الثقافية، مؤتمر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 12- 16 أبريل 1998.

4- حامد عمار : في مواجهة العولمة في التعليم والثقافة، مكتبة الدار العربية للكتاب، الطبعة الأولى، 2000.

5- حسين علوان: العولمة والثقافة العربية، بحث مقدم للمؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب، الأردن، 2003.

6- حلمي شعراوي: ثقافة التحرر الوطني في ظروف العولمة، ورقة بحثية ضمن مؤتمر العولمة وقضايا الهوية الثقافية، أبريل 1998، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.

7- سليمان خلف: العولمة والهوية الثقافية، تصور نظري لدراسة الخليج والجزيرة العربية، المجلة العربية للعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، العدد الحادي والستون، شتاء 1988.

8- صموئيل هينتجتون: صراع الحضارات، ترجمة: طلعت الشائب، ، إصدارات سطور، القاهرة، 1998.

9- عبد الوهاب المسيري ، في نهاية التاريخ وصراع الحضارات، ورقة بحثية ضمن المؤتمر الدولي (صراع الحضارات أم حوار الثقافات)، القاهرة، مارس 1997، تحرير فخري لبيب، مطبوعات التضامن.

10- عزمي بشارة: إسرائيل والعولمة (ندوة) العرب والعولمة، ط3، مكتبة مدبولي ، 2003.

11- علاء عبدالهادى: الأمن الثقافي العربي، أسئلة وتأملات نظرية، شئون عربية، عدد 112، شتاء 2002.

12- على حسين الشبكشي: العولمة من وجهة نظر أمريكية، النموذج الجاهز والمتمكن للتطبيق ، سلسلة مقالات الانترنت. www.dochet,com.15 march,2002

13- على ليلة : الأمن القومي العربي في عصر العولمة ، ط1، مكتبة لانجلوا المصرية، القاهرة، 2012.

14- على ليلة : الثقافة القومية ومواجهة العولمة، حدود التحدي وآفاق الاستجابة، اللجنة الوطنية لليونسكو ندوة 2003.

15- كريم أبو حلاوة: الآثار الثقافية للعولمة، خطوط الخصوصيات الثقافية في بناء عولمة بديلة، علم الفكر، المجلد 29، العدد 3، يناير – مارس 2001.

16- كريم بقرادون : تعقيب في العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية"ندوة" بيروت، تحرير أسامة الغزالي حرب، يونيو 1998.

17- ليلي شرف: تعقيب في العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية"ندوة" بيروت، تحرير أسامة الغزالي حرب، يونيو 1998.

18- مايك فيذر ستون : ثقافة العولمة، القومية والعولمة والحداثة، ترجمة، عبدا لوهاب علوبة، المجلس الأعلى للثقافة، 2000.

19- محمد إبراهيم منصور: تعقيب في العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية"ندوة" بيروت، تحرير أسامة الغزالي حرب، يونيو 1998.

20- محمد عابد الجابري: العولمة والهوية الثقافية ، عشر أطروحات، ندوة العرب والعولمة، ط3، مكتبة مدبولي، 2003.

21- محمد عابد الجابري: عشر أطروحات للعولمة، العرب والعولمة، مجلة المستقبل العربي، العدد 288، مايو 1998.

22- نجيب عضيان: قراءة في كتاب هينتجتون، صدام الحضارات: إعادة تشكيل النظام الدولي، مجلة المستقبل العربي، العدد (226)، سنة 1998

23- نوال السعداوى: الحراك والشراك عن الرأسمالية والتغيرات المحلية الاقتصادية والثقافية، (ندوة) العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي، تحرير عبد الباسط عبد المعطي، مكتبة مدبولي، 1999.

24- DrezherDanile: Globalization of the world, the center for tarategic and international studies, Chusett: Incite of Technology, hwwlssonwcomnet , LgilBinle, 2002.

25- Giddens, Anlong: The third way, the renewal of social democracy, policy press,1999.

26- Grant H.Cornwell and Eve Walsh: Global multiculturalism, perspectives on Ethnicity and Race, St. Lawrence University, Lanham Roman. and Littlefield Publisher, 2001.

27- Huntington Samuel: Clash of civilizations, foreign affairs, 72 No.3 Summer 1993.

28- J. Lander, Clairet: The retnloric of globalization: What in world? International Journal. Autumn 2004.

29- James and RsonAhd Alan Co horn: A global world, the open University Oxford, 1999.

30- JohnmicAdrin Ridge: A future perfect challenge and Hidch promise globalization, New York, Gron, Business, 2000.

31- MicrFeatherston: Undoing culture globalization, post modernism and identity. London, Sage publication, 1997.

32- Moreyd, and Robins K., : Spaces of identity Rutledge. London, 1999.

33- Samir Radwan: Globalization losers and gainers, key not address in globalization blessing or curse, Auc Cairo, June 2000

33- Stephen Tovlmin: Op, Cit, 1999.

34- Toulmin, Stephen: Cosmopolis,The Hidden Agenda of Modemity, New York, The Free Press, 1990.

35- WatterrAmbrust: Mass culture and modernism In Egypt, Cambridge University, Press. 1999.

بكاء الذات عند المعتمد بن عباد (432 -488 هـ)
دراسة تحليلية

د. يوسف إبراهيم محمد قطريب
كلية الآداب والعلوم. توكرة
جامعة بنغازي

أ. صلاح جادالله القديري
كلية الآداب والعلوم. توكرة.
جامعة بنغازي

المستخلص:

عمد الباحثان بهذه الدراسة (بكاء الذات عند المعتمد بن عباد) إلى تحديد البواعث والعوامل المثيرة للشاعر لرثاء نفسه، ومن ثَمَّ تحديد الأغراض والغايات التي وقفت وراء ذلك البكاء، وبيان موقف ابن عباد من مسألة الحياة والموت، واعتمدت الدراسة على ديوان الشاعر بالدرجة الأساس في استقصاء هذا النوع من أشعاره لاستجلاء حقيقة هذا الموضوع عند شاعرنا ابن عباد كما أن الدراسة هدفت إلى سبر أغوار النفس الإنسانية لديه، وهو في سجنه منتظراً نهاية حياته معتمدين في ذلك على المنهج التاريخي في استقصاء الأشعار، والمنهج الفني التحليلي في استجلاء القيم الجمالية ومجموعة الصور الفنية لشعر بكاء الذات لديه.

الكلمات المفتاحية: بكاء الذات – المعتمد بن عباد – بواعث بكاء الذات.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحابته، ومن سار على هدية إلى يوم الدين.

أما بعد:

لقد شهدت الحضارة العربية في الأندلس تطوراً كبيراً في زمن الدولة الأموية (إمارة قرطبة) الأمر الذي جعل الأدب الأندلسي يتعدا مرحلة التأسيس والبناء والخوف من التخلف والضعفاء، وأصبح يشار له بالبنان لاستقلاله عن الشعر المشرقي، وبالتالي لم يتأثر بعملية انقسام الأندلس مطلع القرن الخامس الهجري إلى دويلات وإمارات، بل يمكن القول أن ذلك الانقسام قد زاد من حركة تطوره وازدهاره إذا ما علمنا أن ذلك الانقسام كان من أهم العوامل والبواعث في نظم الشعر، فضلاً عن تعدد مراكز الإشعاع فيها، وعمل أمراء تلك الدويلات على تدعيم إماراتهم بالشعراء، فضلاً عن كونهم هم أنفسهم شعراء، ويعلمون قيمة الشعر والشعراء عند أمتهم، ومن أشهرهم وأكثرهم شهرة وأوسعهم ملكاً المعتمد بن عباد إلا أن عاديات الزمن دارت على ملكه أواخر القرن الخامس الهجري وأخذ عنوة من قبل جيش يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين إلى العدوة المغربية مكبلاً بالأغلال لينتهي به المطاف في مدينة أغمات المغربية سنة 484 ç، ويلقى مصيره فيها سنة 488 هـ، وقبل وفاته كانت له وقفات كثيرة في بكاء ذاته، وهنا يمكن تسجيل أكثر من نوع من بكاء الذات، بكاؤه هو وبكاء محبيه من شعراء الأندلس، وهذا الموضوع له أهميته كونه موضوعاً يخص النفس الإنسانية، ويبين موقف المعتمد بن عباد من حقيقة الموت والحياة، وبالتالي توثق الدراسة جانباً مهماً من جوانب حياة الشاعر الحربية والسياسية والاجتماعية قبل وبعد الأسر، وبالتالي تلك الأشعار تمثل وثائق حربية وسياسية واجتماعية عن الشاعر وعن أسره، فضلاً عن تصويرها للعواطف الإنسانية الصادقة والعفوية.

ولهذه الأهمية تم اختيار الباحثان للموضوع فضلاً عن كونه في الاختصاص نفسه ومما لا شك فيه هناك دراسات حول بكاء الذات عند العديد من

الشعراء إلا أننا لم نجد، أي دراسة بهذا الجانب عن شعر المعتمد بن عباد، وقد اعتمدت الدراسة على ديوان الشاعر بالدرجة الأساس إلى جانب بعض مصادر الأدب الأندلسي، ومعاجم اللغة التي أفادت الدراسة، واعتمدت على أكثر من منهج لتحقيق غايتها كالمنهج التاريخي والوصفي والفني التحليلي.

وجاءت مادة البحث على تمهيد ومبحثين هما:

تمهيد: المعتمد بن عباد: تعريف به وبمولده ونسبه.

المبحث الأول: بكاء الذات عند المعتمد بن عباد وبواعثه.

المبحث الثاني: بكاء الذات عليه في شعر محبيه وبواعثه.

أهمية الدراسة تكمن بالآتي:

1- التعريف بالمعتمد بن عباد.
2- البيان موقفه من حقيقة الموت والحياة، أي بيان قوة إيمانه بالله.
3- كونها تمثل موضوعاً خاصاً بالنفس البشرية الإنسانية.
4- تبين جانباً من جوانب حياة الشاعر الحربية والسياسية والاجتماعية.
5- تمثل وثيقة تاريخية مهمة لأي باحث في تاريخ الأدب الأندلسي.
6- كونها تظهر وتصور العواطف الإنسانية بصدمة وعفوية.

ولم يكن خالياً العمل من الصعوبات وفي مقدمتها نقص الدراسات النفسية لشعره.

وأخيراً لابد من القول بأن أعمال البشر يعتريها النقص دائماً، فالكمال لله وحده، لذا فهذه الدراسة عرضة للنقص والخطأ، فما كان من صواب فبتسديد من الله، وما كان من خطأ وتقصير ونقص فمنا، والله ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين.

التمهيد:

المعتمد بن عباد:

أولاً- نسبه:

هو أبو القاسم محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد بن عمر بن أسلم بن عمرو ولقب بالمؤيد أول الأمر ثم لقب بعد ذلك بالمعتمد بعد أن تعرف على زوجته اعتماد ويروي أنه لقب بالظاهر بحول الله (بدوي، عبد المجيد، 1951: ص40).

ثانياً- مولده ونشأته:

ولد سنة 432 هـ بمدينة باجة إحدى مدن شبه الجزيرة الأندلس من الجانب الغربي، ومع بداية القرن الخامس الهجري شهدت الأندلس انقساماً كبيراً في ملك الدولة الأموية نتيجة لتصارع حكامها وانشغالهم بمصالحهم الخاصة، فظهرت دويلات ملوك الطوائف إلى كان رأسها وأبرزها إمارة آل عبادي أشبيلية بزعامة والد المعتمد المعتضد فنشأ في ظلها وآل إليه حكمها، وهو في سنة 29 بعد وفاة والده وعرف بالشجاعة والبسالة والكرم، ويكون شاعراً مجيداً، وعارفاً بقيمة الشعر والشعراء فأكرمهم وفتح خزائنه لهم واستوزر منهم(بدوي، 1951: ص16- 17)، فأشادوا به وأطنبوا في مديحه ومديح دولته، فغدا أشهر امراء الأندلس شهرة.(الدقاق، 2006: ص 125- 126)

ثالثاً- أهم أعماله وبطولاته:

أفلح المعتمد بن عباد بالزحف على قرطبة وضمه لها، وأحسن إلى أهلها فأحبوه وأخلصوا له، وليس هذا كل ما كان له، بل حقق في حياته السياسية العديد من الانتصارات، فحسن اختياره لوزراء إمارته يعد خير انتصار، فقد أحسن اختياره لابن عماد الذي كان ساعده الأيمن بكل أعماله كما أنه أحسن عندما استوزرا من زيدون شاعر الأندلس حينئذ، وعلى الصعيد الحربي، فقد حقق انتصاراً عظيماً بمعركة الزلاقة (بدوي،1951: ص16)، فلهج الشعراء بالثناء عليه، وعلى زعيم

المرابطين يوسف بن تاشفين وبذلك يمكن القول بأنه بنى مجداً ودوله يهابها العدو قبل الصديق، وكانت محط أطماع العدو أدفونش فهاجمها سنة 479 هـ فتصدى له مع جيش المرابطين وعاد الكرة مرة أخرى بعد أن لمس العدو من حكامها اللهو والتمتع والأنس بملذات الدنيا فما كان من المرابطين إلا أن دحروا العدو وأطاحوا بالعديد من حكام الأندلس وفي مقدمتهم المعتمد بن عباد وسيق مكبلاً بالأغلال للعدوة المغربية يوم الأحد لإحدى وعشرين ليلة خلت من شهر رجب من سنة أربع وثمانين وأربعمائة ليقضي بقية حياته في سجن مدينة أغمات المغربية، إذ هيهات أن تصفى وتدوم الحياة لشخص مهما تبدت بزينتها وبهرجها لا تلبث أن تنقلب وتنحبهم وتكدر(بدوي، 1951: ص 16–17) سنة الحياة، وليس لها تبديلاً، ولعل آخر ما حققه من انتصار إن صح ذلك هو خروجه للجيوش المرابطين التي أحاطت قصره كفارس مقدام خرج ليدافع عن ملكه وشرفه دون خوف، أو جزع وفقد فيه ولديه (الراضي والمعتمد)(الدقاق، 2006: ص 126 – 129) وتميز ابن عباد بالعديد من الصفات والخصال التي منحته مكانة عالية شهد له بها العدو قبل الصديق، ويمكن الوقوف عليه بالعودة إلى ديوانه (بدوي، 1951: ص 33 – 35).

رابعاً–وفاته:

توفي المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن الملك المعتضد بالله أبي عمرو، قاضي إشبيلية، ثم ملكها، حكم المعتمد على المدينتين قرطبة وإشبيلية، وقد نشأ المعتمد بن عباد كغيره من أبناء الملوك على الميول والدعة والترف، وكانت نشأته في الأندلس، ولما أراد أن يستنجد بالمرابطين وقد حذره البعض من حاشيته أبى إلا الاستنجاد بهم. كان موصوفا بالكرم والأدب والحلم، حسن السيرة والعشرة والإحسان إلى الرعية، والرفق بهم، وقد حزن الناس عليه، وقال في مصابه الشعراء فأكثروا، ويعتبر من أشهر ملوك دولة الطوائف التي قامت في الأندلس في القرن الخامس الهجري، بعد انهيار دولة الخلافة الأموية. اشترك مع يوسف بن تاشفين في تحقيق النصر على القشتاليين في معركة الزَّلاَّقة، ثم زالت دولته على يد شريكه في النصر بعد أن دخل قرطبة، ومات المعتمد بن عباد غريبًا في منفاه بـ"أغمات" بالمغرب. (السقاف،2011: ج4 ص 126)

المبحث الأول: بكاء الذات عند المعتمد بن عباد وبواعثه

أولاً: البواعث:

1. الإحساس بالقهر والمذلة وضياع الملك.
2. الإحساس بدنوا الأجل والقلق على المصير.
3. التأسف على ضياع الشباب.
4. الشعور بالغربة والحنين للماضي.
5. الضيق والضجر من الحياة.
6. فقدان عزيز (ولد، أو زوجة، أو غيرهما).

بكاء الذات وبواعثه عند المعتمد بن عباد

1 –الإحساس بالقهر والمذلة وضياع الملك:

من الطبيعي ان يشعر المعتمد بالقهر والمذلة وهو الملك العزيز في أشبيلية والذي كان صاحب الحظ الأوفر من حيث الملك والسطوة بين أقرانه من امراء دويلات الأندلس، والذي كان امراء الأندلس يلجأون إليه في الشدائد ويأخذون بمشورته وفي لحظة بفقد سلطانه كله فضلاً عن فقده لولديه (الراضي والمعتمد) في ذلك اليوم المشؤوم، يوم سقوط مدن مملكته في ايدي المرابطين واحدة بعد أخرى، ويؤخذ عنوة مكبلاً بالأغلال فياله من موقف ويا لها من صورة بشعة وعظيمة على نفسه لاسيما وأنه هو من جلب الآسر، فيصور هذه اللحظة بقوله:(بدوي، 1951: ص 25)

قالـوا الخضـوع سياسـة فليبد منك لهم خضـوع

وألذ من طعم الخضوع علـى فمـي السـم النقيع

إن تستلب عنـي الدنـا ملكي وتسلمنـي الجموع

فالقلب بين ضلوعـه لم تسلـم القلب الضلـوع

قـد رمت يــوم نـزالهـم آلا تـحـضـنـي الـدروع

وبذلتُ نفسي كي يسيل إذا يسيـل بهـا النجيـع

أجـلـي تـأخـر لم يكن بهواي ذلـي والـخـشـوع

ما سرت قط إلى القتال وكـان من أملـي الرجوع

شـيــم الألـي أنـا منـهـم والأصـل تتبعـه الفـروع

فالقصيدة تحمل في طياتها أحاسيس ومشاعر ابن عباد اتجاه ما حصل معه في ذلك اليوم المشؤوم، فما هي إلا زفرة نابعة من أعماق مصورة تلك اللحظة الحالكة السواد والتي يجب عليه أن يقصِر مصيره ومصير أسرته وملكه فيها، فيالها من لحظة عبر عنها بعمق لأنها تجربة ما عاشه بكل ما فيه من مرارة بالرغم من كونه نظمها بعد أسره.

وما جاء فيها يدل على رباطة جأش وقوة لأنه يستعيد شريط المأساة التي لحقت به وبأسرته وبملكه بروح عالية وبجبين ناصع وهامة مرفوعة مفتخراً بإبائه الضيم والذل والهوان والذي كان عليه تجرع السم أهون من ذلك كيف لا، وهو سليل النسب والحسب وصاحب بطولات وشجاعة يقتدى به فيها!!، وكان لا يهاب الموت وصاحب قلب جسور يدفع به إلى ساحات الوغى مؤمناً كل الايمان بأن الأعمار بيد الله وحده ولم يكن يدور في فكره في يوم من الأيام أنه سيعود حيا في، أي معركة مع الأعداء، بل كان على يقين بأنه لن يموت إلا عندما يحين أجله الذي كتبه الله له، وقد اعتبرها البعض من أصفى الشعر الحماسي عند العرب (الدقاق، 2006: ص 130).

والباحثان لا يران هذا صحيحاً؛ لأن شعر الحماسة ظروفه ومكانه ، فالشاعر لم يكن في موقف يبعث على الحماسة، إنما هي صرخة نفسية ذاتية، ومحاولة لإثبات الذات وإعادة التوازن بعد قراءة متأنية للكارثة التي حلت به، وحرفة مدونة ي وجه عدوه الذي أراد له الذل والهوان، وهذا ما عبر عنه في الأبيات الأخيرة من القصيدة.

ومنها قوله لما دعا له الوزير زهر بن عبد الملك –زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان ابن زهر، أبو العلاء، من بني إياد: فيلسوف، طبيب، أندلسي من أهل إشبيلية. نشأ في شرق الأندلس، وسكن قرطبة. واشتغل بالحديث والأدب، ثم أقبل على الطب– (الذهبي، 1985: ص 596/19)

بمراكش بطول العمر:

دعا لي بالبقاء، وكيف يهوى أسير أن يطول به البقاء.

أليس الموتُ أروحُ من حياة يطول على الشقي بها الشقاء.

إلى قوله:

أرغب أن أعيشَ أرى بناتي عواريَ قد أضربها الحَفاءُ.

خوادم بنت من قد كان أعلى مراتبه – إذا أبدو – النداءُ.

وطرد الناس بين يدي قمري وكفّهمُ إذا غصُّ الفناء.

وركض عن يمين، أو شمالٍ لنظم الجيش إن وقع اللواءُ.

إلى قوله:

سيلي النفس عمن فات علمي بأن الكلَّ يدركهُ الفناء.

فقد صور لنا شعور الأسير، وهو في ذل وقهر، وتساءل كيف لمثل من يعاني ذلك أن تطيب له الحياة أليس الموت أرحم من البقاء، وهو يرى بناته عاريات خادمات لمن كن بالأمس القريب خدم لهن، وفي ظل هذا القهر والأسى كله يخلص إلى أن العزاء أنه يعلم حق العلم واليقين بأن الموت كأس الكل شاردة وواردة.

2 –الإحساس بدنو الأجل:

نعم الأجل هو المصير المحتوم لأي إنسان خلقه الله على وجه البسيطة، فليس له، أي فكاك من براثنه مهما اجتهد وحاول والإنسان لم يركن، لهذا المصير

المحتوم، بل سعى منذ الأزل وراء الخلود متعلقاً بكل ما آمن من أسباب، غير أنه لـم يحصـل إلا علـى الخيبـة والخسـران إلـى أن أيقـن بحتميـة المـوت وضـرورة الانصياع والاستسلام للقدر، ومع مجيء الإسلام أصبحت الصورة واضحة ولم تعد بتلك القتامـة المأسـاوية التـي كانـت عليهـا فـي المجتمعـات الوثنيـة، بـل أصـبحت النفس تطمئن وتسكن؛ لأن حتمية الموت لم تعد ترهبها، فهي مقبلة على حياة أبدية بعده أفضل من حياة الدنيا لمن آمن بالله وعبده حق عبادته عكس ما كانت عليه الإنسان في المجتمعات الوثنية، إذ كان ينفر من الموت ظناً منه أنه المآل الأخيـر للإنسـان انظـر(الشهرسـتاني ،1986: ج 2 / 235ص، و الصـائغ، :1986ص 17 – 18).

ابن عباد لم يكن لديه أي أمل بالنجاة والحرية، وكان الهم يحطمه والأسى بوهنه، وكان يشعر بدنوا أجله، بل كان يتخيل ذلك اليوم وأحسن بذلك الإحساس والشعور بعد أن قضى أربع سنوات في أسره معبر عن ذلك بقوله، وقد أوصى بكتابتها على قبره:(بدوي، 1951: ص 29، 96).

قبر القريب سقاك الرائح الفادي حقاً ظفرت بأشلاء ابن عباد.

نعم هو الحق حاباني به قدر من السماء فوافاني لميعادِ.

ولم أكن قبل ذاك النعش أعلمه أن الجبال تهادي فوق أعوادِ.

كفاك فارفق بمااستودعت من كرم رواك كل قطوب البرق رعّادِ.

نعم بمنتهى اطمئنان الإنسان المسلم لحتمية مصيره يقبل ويستسلم له ابن عباد مؤمناً بأنه الحق الذي حباه الله به، أي أكرمه به من السماء، لهذا أكدنا أن نظرة الإنسان المسلم تختلف كلياً عن نظرة الإنسان الوثني إلى حتمية الموت.

ومنه قوله في ذم الدنيا وملذاتها وأنها فانية وأن كل من يلهث خلف ملذاتها ما هو إلا إنسان فاقد للعقل والحكمة وعليه أن تيقظ ويعود إلى رشده قبل فوات الأوان: (بدوي، 1951: ص 108).

قُبحَ الدهر فماذا صنعا كلما أعطى نفيساً نزعا.

قل لمن يطمع في نائله قد أزال اليأس ذاك الطمعا.

3 –التأسف على ضياع العمر والشباب:

يخلق الله الإنسان ضعيفاً، فينشأ ويشتد ساعده ويعيش حياة شبابه ثم يرده إلى أرذل العمر فينتهي ضعيفاً، ولكن مرحلة شبابه هي أكثر مراحل حياته إنتاجاً ونفعاً له، لذا يبقى تواقاً لها عندما يتقدم به العمر ويصل إلى مرحلة الشيخوخة التي يفقد فيها عنفوان الشباب ويقف عاجزاً أمام ملذات الحياة، وفي تلك اللحظة تهيج النفس ذكريات الماضي وأيام الشباب والقوة فيعبر عنها بنوع من الأسى والحزن على فقدانها، يقول أبو عمرو بن العلاء فيروي صاحب العقد الفريد عن أبي عمرو بن العلاء قوله بهذا: (ابن عبد ربه، 1983:مج 2 /ص 361).

" ما بكت العرب شيئاً كما بكت على الشباب وما بلغت به ما يستحقه".

وشاعرنا المعتمد بن عباد أحد الشعراء الذين أحسوا بفقدان شبابهم وملكهم وأولادهم وأشياء كثيرة، وقد انتابه هذا الشعور والإحساس ووقف عنده ملياً ومنه قوله في أسره عندما دعا له الوزير أبو العلاء زهر بن عبد الملك في مراكش بطول العمر: (بدوي، 1951: ص 90).

دعالي بالبقاء، وكيف يهوى أسير أن يطول به البقاءُ

أليس الموتُ أروحَ من حياة يطولُ على الشقيِّ بها الشقاءُ

فمن يكُ من هواه لِقاءُ حبٍ، فإن هَواي من صَفي اللقاءُ

أأرغبُ أن أعيشَ أرى بناتي عوارىَ قد أخرَّ بها الحفاءُ

خوادمَ بنت من قد كان أعلى مراتبه إذا أبدُو النداءُ

فبهذه الأبيات شكوى من الأسر وما يلاقيه فيه ويؤكد على أن الموت أريح له من البقاء وطول العمر أسيراً، وكيف تطيب له الحياة، وهو سليك الملوك ويرى بناته عاريات حافيات يخدمن من كان عندهن خادماً قبل أسره وبهذه الأبيات أسف

وحسرة على الأيام الخوالي لكنه يستسلم للقضاء والقدر الحقيقة التي سيدركها كل ابن انثى، وإن طالت سلامته يقول:

سيُسلي النفسَ عمن فات علمي بأن الكلّ يدركهُ الفنـاءُ.

ومثلها ما جاء في رده على رجل يعرف بأنه الزنجاري، وقد سأل المعتمد أن يزوده من شعره، فقال رد عليه: (بدوي، 1951: ص 90).

لو أستطعُ على الزويدِ بالذهب فعلتُ لكن عدانـي طارقُ النوبِ.

يا سائل الشعر يجتابُ الغلاة به تزويدُك الشعر لا يُغني عن السَّغبِ.

غلى قوله:

أصبحتُ صفراً يدي مما تجود به ما أعجب الحادثَ المغدور في رجبِ.

ذل وفقرٌ أزالا عـزّة وغنـى نعمى الليالـي من البلوي على كثبِ.

قد كان يستلـب الجبـار مهجته بطشى ويحيا قتيلُ الفقر في طلبـي.

فقد أوضح فيها أن أيام عزه وشبابه التي كان فيها يكرم كل من يقصده ويجزل لهم الذهب بدل الشعر قد مضت وعدا عليها طارق النوُّبِ، فالحسرة على تلك الأيام واضحة في قوله لاسيما بذكر أن حاله أصبح لا يسر لا عدو ولا صديق، فقد ذهبت العزة والكرامة والغنى وحل محلها الذل والفقر.

وأيضاً يستسلم لحتمية الموت قائلاً: (بدوي، 1951: ص 93).

أرى الدنيا الدنية لا تؤاتـي فأجمل في التصُّرف والطِّلابِ.

ولا يغُررك منـها حُسنُ بُردٍ له عَلَمـان من ذهب الذِّهابِ.

فـأوَّلـهـا رجـــاءٌ مـن سَرابٍ وآخـرُهـا رِداءٌ مـــن ثُـــرابِ.

ويتحسر على أيامه الخوالي في قصوره في الأندلس قائلاً: (بدوي، 1951: ص 95).

بكى المباركَ في أثر ابن عبـاد بكـى علـى إثر غزلان وآسـادِ.

ولما أحسن بدنوا أجله رثى نفسه بأبيات أوصى أن تكتب على قبره وفيها نوع من التحسر على ذهاب العمر، ومنها قوله: (بدوي، 1951: ص 96).

قبر الغريب سقاك الرائحُ الفادى حقاً ظفرت بأشلاء ابن عباد.

ويتحسر على دهره الذي انقضي في أشبيلية، وكان مسروراً به في قصيدة قالها عندما دخل على بناته في العيد، وقد رآهن بغزله للناس قائلاً: (بدوي، 1951: ص 101).

4-الشعور بالقربة والحنين إلى الماضي:

الإحساس بهذا الشعور ليس شرطاً أن يكون لدى الذين تعرضوا للنفي فحسب، فقد شعر الإنسان بهذا، وهو في مسقط رأسه عندما يعامل كأنه غريب، أو درجة أدنى من الآخرين بالمجتمع نفسه، لكن شاعرنا تعرض للأسر والنفي، وليس في وطنه وبين أهله ومحبيه، فقد عاش أسيراً في سجنه مدينة أغاث المغربية عليه ليس غريباً أن يشعر بغربة المكان والمجتمع، وليس غريباً عليه أن يحن إلى الماضي ولاسيما أن ذلك الماضي كان له فيه مجداً وذكريات تبهج النفس وتسعد، مجداً كان فيه عزيزاً كريماً، يعطي ويأمر، وينهى، وأفراد أسرته جميعاً من حوله، وقد عبر شاعرنا عن هذا قائلاً: (بدوي، 1951: ص 99).

غريب بأرض المغربين أسير سيبكي عليه منبر وسرير.

وتندبه البيض الصوارم والقنا وينهل دمع بينهن غزير.

فياليت شعري هل أبيتن ليلة أمامي وخلفي روضة وغرير.

بمنبته الزيتون مورثة العلا تغني قيان، أو ترن طيور.

بزاهرها السامي الذرا جاد والحيا تثير الثريا نحونا ونشير.

قضى الله في حمقى الحمامَ وبعثرت هناك منا للنشور قبور.

فقد سجل لنا في أبياته ما ظفر به من متع الدنيا الجميلة، كما سجل لنا حنينه إليها ولجمالها بغاية الشوق بعد ناي عنها.

بقوله لابن عمار: (بدوي، 1951: ص 20).

آلاحي أوطانـي بشلب أبـا بكـر وسلهن: هل عهد الوصال كما أدري.

وسلم على قصرا الشراحيب عن فتى له أبدا شـوق إلـى ذلك العصـر.

وولعـه بالجمـال النـاطق (المـرأة) جعلـه لا يلتفـت كثيـراً إلـى الجمـال الصامت(الطبيعة)لا في عهده قبل الأسر ولا بعده.

والمعتمد بن عباد في أسره وجد في رثاء بنيه وبكائهم تنفساً له وتعويضاً لحالته النفسية فأوحت له قوله: (بدوي، 1951: ص 26).

يقولون: صبراً، لا سبيل إلى الصبر سأبكي وأبكي ما تطاول من عمري ويناجي ولديه فيقول: (بدوي، 1951: ص 26).

فلو عدتما لاخترتما العود في الثري إذا أنتما أبصرتُماني في الأسر.

وإن كان ظاهر البيت وغرض القصيدة رثاء ولديه إلا أن قوله فيه بكاء لذاته وما تلا فيه في الأسر من مذلة وفقد للملك لدرجة أن ولديه سيتمنيان العودة للموت على أن يرياه مقيداً مأسوراً ومنه قوله عندما مر به سرب قطا فاهتاجت مشاعر الشوق والحنين لديه، وهو في غربته مأسوراً ومكبلاً: (بدوي، 1951: ص111).

بكيتُ إلى سرب القطا، إذ مررن بي سوارحَ لا سجن يعوقُ ولا كبلُ.

ولـم تـكُ – والله المعـيـذ – حسـادة، ولكن حنيناً أن شكلي لها شكلُ.

فـأسرحُ لا سـمـل صـديـعُ ولا الـحشا وجـيـعٌ، ولا عيناي يبكيهـا ثكلُ.

إلى قوله:

آلا عصم الله الـقطـا فـي فراضـهـا، فإن فراضي خانتها الماءُ والظلُ.

وفيها بكاء لذاته في كونه أسيراً مكبلاً، ويحن فيها إلى أيامه الخوالي عندما كان طليقاً مثل سرب القطا ملموم الشمل ومبتهج القلب والعيون فرحي لا تبكي على ثكلي.

5 –الضيق والضجر من الحياة بسبب الشيخوخة وظهور الشيب:

وهذا الإحساس، أو الشعور يرافقه شعور واحساس بالغربة التي يمكن أن تكون غربة زمانية، أو مكانية، أما الزمانية، فهو شعور الإنسان بأنه يعيش في عصر مختلف عما ألفه في سالف أيامه، وهذا الشعور يناب الإنسان الذي يعمر طويلاً فيشهد أجيالاً مختلفة عنه بالأعراف والتقاليد والعادات وتنبوا المراكز السياسية والاجتماعية على اختلافها وبالتالي يخفت صوت الكبار فيدركون أنهم يحيون في زمان مختلف عن زمانهم، ويتعاظم هذا لديهم كلما تقدم بهم العمر، أو أنه يعيش بين أشخاص تنكروا لما قدم لهم في سلف الأيام وأياً كان سبب هذا الشعور، فلا يمكن لصاحبه التخلص منه إلا بالموت فيطلب هروباً من ذلك الشعور (ضيق الحياة والضجر منها).

وأما المكانية: فهو شعور الإنسان بأنه قد أبعد قسراً عن مكان نشأته وأهله ووطنه وبالتالي يولد لديه شعور واحساس بالضيق والضجر من الحياة والمعتمد بن عباد قد واجه كلاهما معاً أثناء أسره في مدينة أغمات المغربية، فقد تولد لديه شعور الغربة الزمانية عندما تنكر بعض من أحسن إليه وأكرم وفادته أيام عزه، ومن ذلك قوله لمن أقبل عليه من الشعراء، وهو في أسره يطلبون العطاء عندما سمعوا بعطاء المعتمد للحصري الشاعر في طنجة: (بدوي، 1951: ص 29 – 90).

شعراء طنجة كلهم والمغرب ذهبوا من الإعراب أبعد مذهب.
سألو العسير من الأسير وإنه بسؤالهم لاحق منهم، فأعجب.
لولا الحياء وعزة لحمية طي الحشا لحكا همو في المطلب.
قد كان إن سُئل الندي يُحزِلْ، وإن نادى الصريخُ ببابه اركبْ يركبِ.

ويضجر المعتمد في أسره فيزهد بالدنيا ومتعها التي تمتع بها أيام ملكه، وهو زهد من، فقد عنفوان الشباب وما كان يتمتع به من مجد والعديد من متع الدنيا، وليس تديناً، وهذا ما نجده في قوله:

وإذا ما اجتمع الدّين لنا فحقيرٌ ما من لدينا افترق.

ويقبل عليه العيد، وهو في أسره ويدخل عليه بناته ويراهن بثيابهن البالية يغزلن للناس تى لمن كان خادماً لهن فتمزق قلبه ويضجر من تلك الحياة البائسة التي يعيشها وتعيشها مع أسرته فيقول:

فيما مضى كنت بالأعياد مسروراً مساعك العيد في أغمات مأسورا.

تـرى بـنـاتك في الأطمـار جـائعـة يغـزلن للنـاس ما يملكن قطميرا.

إلى قوله:

قـد كـان دهـرك إن تـأمره متمـثـلاً فـردّك الـدهـر مـنـهبـاً ومأمورا.

يشير إلى شعوره بالغربة التي ألبسته الذل والمهانة والوحشة ومما زاد الطين بلة وزاد في ذلك الأسى القيد الذي غلت به قدماه الأمر الذي جعل شعره جلة حسرات وشكوى وبكاء ويضجر من قيده الذي نال من جسده فيقول: (بدوي، 1951: ص 28).

قيدي، أما تعلمني مسلماً؟؟! أبيت أن تشف، أو ترحما.

دمي شـراب لك، واللـحـم قـد أكلتـه، لا تهشم الأعظما.

ومنه ضجره من قيد، ومن مكان أسره كما جاء بقوله(بدوي، 1951: ص 93).

قضى وطراً من أهله كلُ نازحٍ وكَرُ يُداوي علَّة في الجوارحِ.

سـوايَ فـاني رهـنُ أدهـم مبـهـم سبيلَ نجـاتي آخذ بالمبـارح.

وفيها يصنف حاله كيف أن نازح عن أهله في وكرٍ يداوي فيها أمراض جوارحه وأنه رهن ليل أسود مظلم، وأنه فاقد لأي أمل بالنجاة والحصول على الحرية، أو العودة إلى سالف مجده.

ويضجر منه مرة أخرى فيقول: (بدوي، 1951: ص 94)·

تبدّلت من عز ظل البنودِ بذل الحديد، وثقل القيـودِ.

وكان حديدي سنانا ذليقاً وعضباً رقيقاً صقيل الحديد.

فقد صار ذاك وذا أدهما يعضُّ بساقي عض الأسود.

ومنه أيضاً ضجره من الكبل الذي كان ملتفا على معصمه ويتضح هذا من قوله: (بدوي، 1951: ص 111).

تعطّفَ في ساقي تعطُّف أرقمِ يساورها عضاً بأنياب ضيغم.
وإني من كان الرجالُ بسيفه، ومن سيفه في جنة وجهنم.

6 –فقدان عزيز (ولد، أو زوجة...):

لقد انتاب المعتمد بن عباد شعور الفقد والأسى كيف لا، وهو من، فقد ولدين له (المأمون والراضي) فراح يبكيها وبأشعاره التي منها قوله: (بدوي، 1951: ص 69).

فمالي لا أبكي!! أم القلب صخرة وكم صخرة في الأرض يجري بها نهر.
بكت واحداً لم يُشجها غيره فقده وأبكى لألاف عديدهم كُثُر.
بني، صغيرُ، أو خليلٌ موافق يمزق ذا قفر، ويفرق ذا مجرُ.
ونجمان، زين للزمان، احتواهما بقرطبة النكداء، أو رندة القبر.

وبينهما في مكان آخر فيقول: (بدوي، 1951: ص 105).

يقولون صبراً، لا سبيل إلى الصبر سأبكي وأبكي ما تطاول من عُمري.

إلى قوله:

يُعيد على سمعي الحديدُ نشيده ثقيلاً فتبكي العينُ بالحسن والفقرِ.

ويبكيهما في قصيدة آخر فيقول: (بدوي، 1951: ص 70).

بكيت فتحاً، فإذ ما رُمتَ سلوتَه ثوى يزيد، فزادا القلبُ يزانا.
يا فلذتي كبدي بأبي تقطعها من وجدها بكا ما عشتُ سلوانا.

إلى قوله:

مني السلامُ، ومن أم مُضجعة عليكما أبدا، مثنى ووحدانا.
أبكى وتبكي ونبكي غيرنا أسفاً لدى التذكُرِ، نسوانا وولدانا.

المبحث الثاني: بكاء أصدقاء المعتمد عليه، وعلى ذاته.

وكان الوفاء أهم بواعثه، ولقد وفى له ثلاثة من شعرائه وهم:

1 –أبو بكر الداني.

2 –ابن حمديس.

3 –ابن عبد الصمد.

بكاء أصدقاء المعتمد عليه، وعلى ذاته

لقد وفي له ثلاثة من شعرائه وهم:

1 –أبو بكر الداني.

2 –ابن حمديس.

3 –ابن عبد الصمد.

وسنحاول الوقوف على بعض ما قالوه في بكاء المعتمد بن عباد، حيث ضرب ابن اللبانة مثلا رائعا فى الوفاء للمعتمد بن عباد، فقد بكى دولته مرارا وتكرارا، ومن أروع ما قاله من ذلك دالية، وهو يفتتحها على هذه الشاكلة:

تبكى السماء بدمع رائح غادى ... على البهاليل من أبناء عباد
على الجبال التى هئدت قواعدها ... وكانت الأرض منهم ذات أوتاد
عريسة دخلتها النائبات على ... أساود منهم فيها وآساد
إن يخلعوا فبنو العباس قد خلعوا .... وقد خلت قبل حمص أرض بغداد
يا ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ ... فى ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
ويا مؤمل واديهم لتسكنه ..... خف القطين وجف الزرع بالوادى

(ضيف، شوقي، 1960: ص 342)

فأبو بكر الداني قصده في أسره زائراً كنوع من الوفاء لمن كان ولي نعمته فيما مضى من أيام مجد المعتمد بن عباد في أشبيلية فما كان من المعتمد إلا أن أعطاه بعض ما يملك فأبى الداني أن يأخذها مقبراً أن زيارته لسيده وولي نعمته هي من باب الوفاء، وليس للتكسب (بدوي، 1951: ص 29)، ودار بينهما حوار شعري جاء فيه قولهما بـ قال المعتمد الداني: (بدوي، 1951: ص 102).

إليك النزر من كفِ الأسير، فإن تقبل تكن عين الشكورِ.

تقبل ما يذوب له حياءُ، وإن عذرته حالاتُ الفقير.
حاش لله أن اجيح كريماً يتشكى فقراً وكم سدّ فقرا.
إلى قوله:
لم نمت إنما المكارم ماتت لا سقى الله بعدك الأرض قطرا.
ولا تعجب لخطب غض منه أليس الخفُ ملتزمَ البدورِ.
إلى قوله:
نحوسٌ كُن في عقبى سعود كذاك تدور أقدارُ القديرِ.

فرد عليه الداني بقوله: (بدوي، 1951: ص 103)

سقطتَ من الوفاءِ على خبير فذرني والذي لك في ضميري.
إلى قوله:
أسيرُ، ولا أسير إلى اغتنام معاذ الله من سوء المصير.
ومنها قوله:
غني النفس أنت، وإن ألّحت على كفيك حالات الفقير.
أحدث منك عن نبع غريب تفتح عن حتى زهرِ نضيرِ.
وأعجبُ منك أنك في ظلام وترفع للعفاة منارَ نورِ.
رويدك سوف توسعني سروراً إذا عاد ارتقاؤُك للسرير.

فراجعه المعتمد: (بدوي، 1951: ص 104).

رد بري بغياً عليّ، وبِراً وجَفا فاستحق لوماً وشكراً.
عاف نزري، إذ خاف تأكيد ضري فاستحق الجفاءَ، إذ عاف نزراً.
إلى قوله:
يا أبا بكر الغريبَ وفاءً لا عدمناك في المغارب ذخراً.

فأجابه الداني بقوله:

أيها الماجدُ السميدَع عذراً صَرفي البِرَّ إنما كان بِراً.

وأما ابن حمديس، فقد قصده في أسره زائراً إلا أ خدم المعتمد قد صرفوه عن مقصده فعلم المعتمد بن عباد فيما بعد بذلك فتأسف على ما حصل من الخدم

وأرسل له بقصيدة يعتذر فيها عن تصرف خدمه معه جاء فيها قوله: (بدوي، 1951: ص 101).

حُجبتَ، فلا والله ما ذاك من أمري فاصغ فدتك النفسُ سمعاً إلى عذري.

فما صار إخلالُ المكارم لي هوى ولا دَار إحجالُ لمثلك في صدري.

إلى قوله:

عدمتُ من الخُدام كلّ مهذب أشير إليه بالخفي من الأمر.

وفي النهاية يقول:

وأنت ابن حمديس الذي كنت مُهدياً لنا السحر إن لم نأت في زمن السحر.

فجاوبه ابن حمديس بقصيدة مطلعها: (بدوي، 1951: ص 102).

أمثلك مولى يبسط العبدَ بالعذر بغير انقباض منك يجري إلى ذكر.

أما ابن عبد الصمد، فقد قصد قبره بعد وفاته بعد صلاة العيد وأنشد على قبره قصيدة طويلة منها قوله:

ملك الـمـلوك، أسـامع، فـأنادي أم عدتك عن السماع عوادي.

لما خلت منك القصور فلم تكن فيها، كما قد كنت في الأعياد.

أقبلت في هذا الثري لك خاضعاً وتخذتُ قبرك موضع الإنشادِ.

ويروي أنه خر يبكي ويعفر وجهه في تراب قبر المعتمد فأبكى كل من كان معه.

الخاتمة

الحمد لله أولا واخرا الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، الحمد لله الذي منحنا الصبر والمثابرة في اعداد هذا البحث المتواضع والذي نسأل الله أن يكون باكورة متبوعة للتعاون في أبحاث أخرى وأن يكون فاتحة خير لغيرها من الدراسات الادبية التي تثري المكتبة العربية.

اما بعد فان تتبع النصوص الرثائية في النفس شاق من جهتين، الأولى كثرة المصادر التراثية القديمة، والأخرى تمييز النصوص مجال الدراسة عن غيرها من النصوص التي تلتقي معها في جوانب كثيرة.

ثم ان استكانة نفسية الإنسان تنطوي على مخاطر ومزالق سيما نفس الشاعر المقبل على الموت، أو احساسه بالقهر والمذلة وضياع الملك ماله، أو ملكه كذلك حصرته على ضياع شبابه، أو غيرها من الظروف المحيطة به.

بهذا وصلنا لعدة نتائج بعد التدقيق في الظروف المحيطة بحياة الشاعر وما مر به وما قدمه في شعره على النحو التالي:

1- كان الشاعر المعتمد بن عباد يرثي نفسه إذا أحس بدنو أجله؛ وأكثر المثيرات، لهذا الإحساس الاحتضار والمرض والشيخوخة والغربة وفقده شبابه وكلما اقترب منه الموت كان أكثر صدقا.

2- كشفت الأبيات المأساة التي أحاطت به وردة الفعل للرجل خاضعة للسيطرة يتذكر الصدمة التي حلت به وبأسرته وبلده بكل فخر وابتسامة، ولم يرضخ للظلم والذل والهوان وهذه الحماسة هي من نسج خيال الشاعر وغير حقيقية مقارنة بالظروف المحيطة بالحدث.

3- كون الشاعر مسلم نجده مطمئن لحتمية مصيره يقبله ويستسلم له، ابن عباد مؤمنًا أن هذه هي الحقيقة التي وهبها الله له، ودليل زهده إنه يلعن الدنيا ومتعها ويصفها بالعابرة، وأن كل من يشتهي ملذاتها ما هو إلا إنسان، فقد العقل والحكمة، وعليه أن يستيقظ ويعود إلى رشده.

4- استسلام الشاعر للموت دون الحياة ويؤكد أن الموت أريح له من البقاء طول العمر أسيرًا، وكيف تنفعه الحياة، وهو عبد بعد كل ذلك الملك ويرى بناته عاريات تهان من الخدم.

5- نجد أن الشاعر يميل إلى الشعور بالحنين إلى الماضي، وهذا يرتبط بتجربة المشاعر السلبية والاكتئاب والندم الذي يعيشه، ويجد متعة ولذة في استعادة الأزمنة القديمة واسترجاع الذكريات.

6- يلاحظ على الشاعر انه يعاني من مشاكل نفسية بسبب الشيخوخة الذي وجد فيها سجن غير السجن الذي يحيط به، وكيف، فقد شبابه وعنفوانه وقوته، وهذا ما يدل ان فقدانه ملكه لفت نظره إلى صحته، وكيف تفقد شعره ووجده قد اشتعل تغطى بالبياض.

المصادر والمراجع

1. ديوان المعتمد بن عباد –جمع وتحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد طبعة دار المعارف –ط 1951.
2. ملامح الشعر الأندلسي –د. عمر الدقاق –دار الشرق العربي ط1/ 2006.
3. الملل والنحل –أبو الفتح الشهرستاني تحقيق محمد سيد كيلاني –دار صعب –بيروت 1986.
4. عبد الله الصائغ –الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام –دار الشؤون الثقافية العامة –بغداد ط/ 1986.
5. العقد الفريد –ابن عبد ربه –تحقيق مفيد محمد قميحة –دار الكتب العلمية – بيروت.
6. ضيف، شوقي(1960) تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ط1.
7. مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف (2011) الموسوعة التاريخية–الدرر السنية.
8. الكتاب: سير أعلام النبلاء
9. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (1985) سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3.

التحليل الجغرافي للمخطط الشامل لمدينة الاصابعة المعتمد لسنة 2000 والوضع القائم لسنة 2020م.

د. إبراهيم محمد الصغير
كلية التربية يفرن. جامعة الزنتان

أ. فاتح إبراهيم رمضان عبدالله
كلية الآداب الاصابعة. جامعة غريان

أ. حامد ساسي دغيم
كلية الآداب الاصابعة. جامعة غريان

المستخلص:

إن دراسة واقع في استخدام الأرض في مدينة الاصابعة يعد انعكاسًا لتأثير البيئة الجغرافية لمنطقة الدراسة من ناحية، كما أنها تعبر عن شخصية المدينة ووظيفتها من ناحية ثانية، ولمعرفة مدى توافقه مع المخطط العام للمدينة تم الوقوف على الواقع لهذه الاستخدامات ومقارنته بالمخطط المعتمد للمدينة لعام 2000م، والتعرف على طبيعة الاستخدام وأنواعه والأثار السلبية المترتبة على التجاوزات به، في ظل حاجة المدينة إلى مخططات عامة حديثة وعصرية لمختلف الاستخدامات، تم الاعتماد على نتائج المخطط العام للمدينة ومستوى تنفيذه ومراحله على فترات زمنية (1980- 2020) وتم مقارنته بخرائط تمثل الواقع التخطيطي للمدينة، وتبين وجود تباين واضح بين المخطط المعتمد والواقع الحالي ومرد ذلك الى العديد من الاسباب اهمها ضعف الادارة المحلية وغياب الرقابة على المخططات ومستوى التنفيذ بها الى جانب اصطدام معظم أجزاء المخطط بالملكيات الخاصة.

الكلمات الدالة: المخطط– استعمالات الارض– مدينة الاصابعة– الاستخدام الحضري.

المقدمة:

إن الصورة العامة لاستخدامات الأرض بالمنطقة الحضرية بمدينة الاصابعة عبارة عن خليط من الاستخدامات تتشابك مع بعضها البعض، وذلك لأن لكل استخدام متطلباته الأساسية، الأمر الذي يسبب كثير *من المشكلات والاختناقات الناتجة عن التضارب بين المصالح الفردية والعامة، مما يؤثر سلبًا على التخطيط* الأمثل لاستخدامات الأرض في المستقبل، ولما كانت استخدامات الأرض الحضرية هي انعكاس لأنشطة السكان داخل المدينة، وهذه الأنشطة تتأثر بعلاقات غير مستقرة منها اقتصادية كتغير مستوى الدخل ومستوى المعيشة ومنها اجتماعية كالهجرة، فأي تغير أو اختلاف بنمط هذه العلاقات يصاحبه حتماً تغير في الأنشطة وبالتالي تغير في استخدام الأرض بالمدينة، باعتبارها انعكاسًا لتأثير البيئة الجغرافية لمنطقة الدراسة من ناحية، كما أنها تعبر عن شخصية المدينة ووظيفتها من ناحية ثانية، كما تؤثر استخدامات الأرض بالمدينة على حجمها ودرجتها في الترتيب الهرمي للتجمعات العمرانية بالبلدية ومدى مركزيتها بقدر ما تحويه من خدمات ووظائف مركزية من ناحية ثالثة.

ولدراسة الواقع في استخدام الأرض ومدى توافقه مع المخطط العام للمدينة تم الوقوف على الواقع لهذه الاستخدامات ومقارنته بالمخطط المعتمد للمدينة لعام 2000م، والتعرف على طبيعة الاستخدام وأنواعه والأثار السلبية المترتبة على التجاوزات به، في ظل حاجة المدينة إلى مخططات عامة حديثة وعصرية لمختلف الاستخدامات.

أهدف الدراسة:

1. الوقوف على مدى التوافق بين المخطط العام لمدينة الاصابعة لسنة 2000م، والواقع للاستخدامات الأرض لعام 2020م.

2. التعرف على الخلل الناشئ من سوء تنفيذ أو استحداث استخدامات غير معتمدة ضمن الاستخدام الحضري للمدينة.
3. ما هو مستقبل الاستخدام الحضري لمدينة الاصابعة في ظل الحاجة إلى مختلف الخدمات.

تم تناول هذا الموضوع بالدراسة اعتمادا بعض تقنيات نظم المعلومات الجغرافية ومن أهمها(Arcgis10.4) على النحو التالي :

أولاً :ضوابط استخدام الأرض بمدينة الاصابعة :

1. الضوابط الطبيعية :

أ- **الموقع الجغرافي:** يمثل موضع المدينة وموقعها الفلكي، أحد أهم الضوابط الجغرافية المؤثرة في استخدام الأرض، فموقع مدينة الاصابعة في الجزء الشرقي من الجبل الغربي ترتب عليه نشأة هذه المدينة على قمم جبلية متظرسة، وباعتبار أن المدينة جزء من إقليم جغرافي يعرف إداريا ببلدية الاصابعة تقدر مساحتها بحوالي 1286.2كم². في حين تشكل المدينة المركز الحيوي للبلدية بحيث تبعد عن مدينة غريان مسافة 20كم تقريباً وعلى مسافة 100كم تقريباً من مدينة طرابلس، ويمكن تحديدها فلكياً بين دائرتي عرض(00 ″ 15 ′32°، 00 ′ 28 ″ 31° شمالاً) (وخطي طول00 ′ 45 ″12° ، 00 ′ 25 ″ 13° شرقا). ويحد الإقليم الذي تقع به المدينة من الناحية الشمالية منطقة الرابطة و وادي الحي وجنوباً الشقيقة ومزده وشرقاً العربان وغريان " بني خليفة " ومن الغرب القواليش وككله، وبالتالي تظهر درجة تأثير الموقع الجغرافي على المناطق المجاورة والقريبة للمدينة بشكل واضح، وهذه العلاقات محددة بمدى ربط هذه المجاورات بالمدينة بشبكة من طرق المواصلات، فوجود شبكة من الطرق

الرئيسية والفرعية تربط المدينة بمختلف المناطق المجاورة تسهم بدرجة كبيرة في تنوع وزيادة الخدمات والوظائف في صورة استخدامات متنوعة ومتعددة.

شكل: 1 الموقع الجغرافي والفلكي والنسبي لمدينة الاصابعة

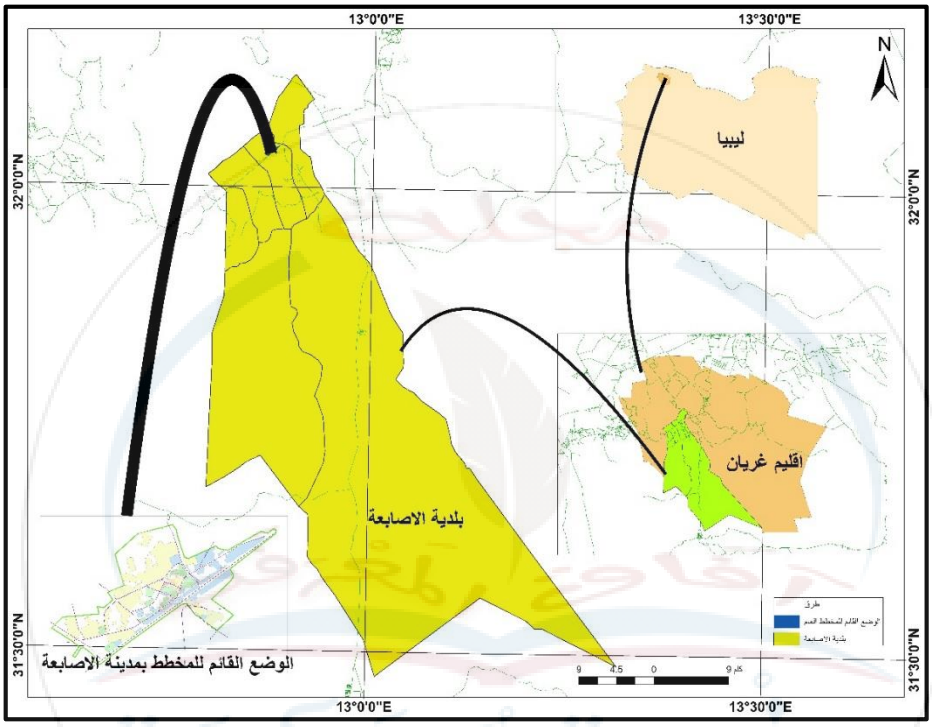

المصدر : اعتمادا على منشورات مصلحة المساحة2006م، والأطلس الوطني1978م باستخدام تقنيات GIS.

ب- **طبوغرافية المدينة:** أسهمت بشكل كبير في توجيه أشكال مختلفة كطرق المواصلات وشبكة المياه وخطوط الكهرباء بسبب موضعها الجغرافي والسطح العام للمدينة ووجود المنحدرات وتقطيع المجاري المائية، والأودية العميقة لها، مما أدى إلى توجيه هذه الاستخدامات بما يتناسب مع طبيعة السطح كالاعتماد على درجة الانحدار سواء في اتجاه تصريف المياه، أو اتجاهات الشوارع وامتدادها ومدى اتساعها وتعرجاتها فهي تخضع لطبيعة الشكل المتضرس للمدينة، فمثلاً اتساع الشوارع وضيقها بمركز المدينة قد اعتمد على مدى قرب

الحافة الجبلية من المباني الموازية للشوارع، أيضا أثر شكل السطح بالمدينة على مسارات الخدمات واتجاهاتها كمسارات شبكة الكهرباء وشبكة المياه وتوزيعها وعدم وصولها إلى كافة التجمعات العمرانية بسبب صعوبة السطح وتأثيره على مد الأنابيب و حفر الخزانات، كما أدت طبوغرافية المدينة إلى توزيع التجمعات السكنية بشكل مبعثر وتشتت النسيج العمراني للمدينة، واختراقها بشبكة من الأودية والحواف المتقطعة، هذا التوزيع أثر بشكل كبير على توزيع مختلف الاستخدامات كالاستخدام السكني والاستخدام العام .

ج- **المناخ** : يمثل أحد ضوابط البيئة الطبيعة المؤثرة في أشكال استخدام الأرض في الاصابعة ويمكن ملاحظة ذلك من خلال تحليل عناصره، وعلاقتها بأوجه استخدام الأرض كالتالي:

1. **درجة الحرارة** : أسهم اعتدال درجات الحرارة بشكل عام بالمدينة بوجود بيئة مناسبة للاستخدام السكني، كما شجع على تنوع النشاط السياحي بها، كما أسهم اعتدال الحرارة على التنمية الزراعية في ضواحي المدينة ومحيطها (محلات الهنشير واسنان والوسط والظاهر) فقد شكل المعدل الفصلي لدرجات الحرارة (12,2°م شتاءً) و(24,4°م صيفاً) .
2. **الأمطار**: سمحت معدلات الأمطار(252ملم (2018) بالمدينة والمناطق المجاور على توفر ظروف مناخية متنوعة جعلتها في نطاق مناخ البحر المتوسط، هذه الظروف تختلف نتائجها بين الجوانب السلبية المتمثلة في عدم فاعلية وردائة شبكة تصريف المياه، وانجراف الحواف الجبلية القريبة من التجمعات السكنية، في حين يبرز الجانب الإيجابي في تنمية النشاط الزراعي بظهيرها المجاور سواءً أشجار الزيتون أو تغذية الخزان الجوفي، وري أنواع أخرى كاللوزيات والموالح والكروم والفاكهة.

3. **الرياح** : تتعرض المدينة للرياح سرعةً واتجاهاً، كعامل مؤثر في ضرورة اختيار مواطن بعض الخدمات الصناعية كالمصانع الصغيرة والورش حسب المخطط العام ، في حين تأثرت بعض الأنشطة الزراعية إيجاباً وسلباً بسبب هبوب الرياح المحلية الجافة (القبلي)، كمساهمتها في نضج بعض المنتجات الزراعية كالكروم والتين والفاكهة، في حين يتلف قدر كبير من محاصيل الحبوب وأشجار الزيتون.

2. **الضوابط البشرية** :تتمثل في السكان والخصائص الديموغرافية التي تمثل أهم الضوابط البشرية في أنماط استخدام الأرض، فمعطيات الواقع السكاني من حيث النمو والتوزيع والكثافة والخصائص الديموغرافية الاخرى تمثل معياراً لكثافة وتنوع استخدام الأرض في مدينة الاصابعة، حيث بلغ معدل النمو عام2020 م (1,91%)، هذا المعدل يقابله زيادة مماثلة في الطلب على استخدامات الأرض (سكنية، خدمية، تجارية، صناعية، أخرى)، كما أن نمو السكان أدى إلى وجود تباين في المساحة المبنية للسكن، فكانت في المخطط لعام 2000م نحو 31.6 هكتار وبنسبة 38% وكان عدد السكان عام 1995م (**23961**) نسمة في حين انخفضت المساحة المبنية لعام 2020م 28.3هكتار وعدد السكان(65960) نسمة، وبالتالي عدم وجود توازن بين الزيادة السكانية والطلب المتزايد على الاستخدامات السكنية وارتفاع استخدامات أخرى على حساب الاستخدام السكني، وتجدر الإشارة الى أن ما نسبته 49% من سكان البلدية (اسنان، الهنشير، الظاهر) يقطنون داخل المدينة ويشغلون الاستخدام السكني بشكل فعلي، فيما يستفيد إجمالي سكان البلدية الباقون من جميع الخدمات في مركز المدينة.

جدول :1 التوزيع العددي والنسبي للسكان في إقليم الاصابعة لسنوات 1995 و2006 و2020

المحلة/السنة	1995	%	2006	%	2020	%
اسنان	2444	10.2	2896	9.6	9850	14.93
الظاهر	4113	17.2	6256	20.8	9380	14.22
الهنشير	4628	19.3	5329	17.7	11960	18.13
الوسط	4923	20.5	5819	19.3	13320	20.20
جندوبة	3333	13.9	3845	12.8	9870	14.96
الشرف	4520	18.9	5937	19.8	11580	17.56
المجموع	**23961**	**100**	**30082**	**100**	**65960**	**100**

المصدر :

1- الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق ، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان ، بلدية الجبل الغربي،1995 ، ص 375 .

2- الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق ، النتائج الأولية للتعداد العام للسكان ، شعبية الجبل الغربي ، 2006، ص 16 .

3 . قسم المعلومات والتوثيق بمكتب السجل المدني الاصابعة، مكتب إصدار الاصابعة، يونيو 2022م .

أ- **نظـام الملكية والإنتفاع العام :** تأثرت مختلف جوانب تنفيذ المخططات بعد ما آلت آلية تنفيذها الى الشركات المحلية وجهاز الأعمال العامة بسبب الظروف السياسية التي حصلت في البلاد في فترة بداية التسعينيات (الحصار) فكانت الملكية وحق الانتفاع من العناصر الأساسية في تنظيم وتنفيذ المخططات العمرانية بالمدن وخارجها، فنـظام التملك والانتفاع للصالح العام سوآءا كـان عقاراً أم أراضـي في ليبيا بوجه عام يخضع لقـوانين وتشريعات وأحـكام، غير أن بعض مواد هذه القـوانين ألغيت وبعضها تم

تعديلها، وهذا أحد أهم الأسباب وراء الارتباك والبطء في تنفيذ المخططات ومعالجتها وسوء استخدام الأرض، بيد أن هناك قوانين قد أشـارت إلى مسائل خاصة بنزع الملكية للمنفعة العامة في نصوص قانونية متنوعة، مما يشير إلى عدم الوضوح والفاعلية في النظام القانوني لنزع الملـكية في القانون الليبي خـلال الفترة الماضية، وهذه القوانين(*) اختلف بعضها عن الآخر بل وناقض بعضها الآخر نتيجة للتغيرات السياسية للبلاد، هذه القوانين بالرغم من تغيرها وما نتج عنها من تأثير مباشر على مسارات التنمية العمرانية ألا أنها حددت بموجبها الاطار العام للمنفعة العامة وما يدخل في ضمنها من استخدامات الأرض وسلطة الانتفاع بها وبتحديد أنواع الاستخدام من واقع المخططات والتطوير العمراني ومدى حاجة المدينة إلى استخدامات محددة في أماكن معينة.

تتباين أنظمة الملكية بالمدينة فبعضها محدد بسلطة القانون في صورة انتفاع عام تمثله الاستخدامات المتنوعة، وبعضها ذات ملكية خاصة في صورة عقارات وأراضي مملوكة لمواطنين، وهذه الملكية قد تكون عائقاً أمام تنفيذ مشاريع التنمية وخاصة مع غياب دور الإدارة المحلية في تحفيز الملاك على تركهم لهذه الأراضي للتنمية العمرانية، وقد تصطدم بعدم توفير الضمانات الكافية لمن تنزع ملكياتهم الخاصة لأغراض المنفعة العامة اقتضاء تحصيل التعويض العادل، والبديل المناسب وفق إجراءات محددة، وهنا تبرز حاجة

(*) صدر قانون (10لعام1961م) المتعلق بنزع الملكية من عقارات وأراضي لصالح الانتفاع العام ، بحيث آجار ذلك للمنفعة العامة مع التعويض وفقاً لأحكام هذا القانون .وفي عام 1984م صدر قانون (رقم 21) الخاص بنزع الملكية من العقارات والأراضي الواقعة ضمن مسارات مشروعات المنفعة العامة لصالح الدولة دون تعويض أو اعتبار في إطار تنظيم مشاريع التطوير العمراني(الجريدة باستثناء بعض العقارات والمنشآت الخاضعة لسلطات معينة ،(الجريدة الليبية الرسمية ، أبريل 1963م، مايو 1984م).

التخطيط لاستخدام الأرض إلى مرجعية هذه الأراضي للدولة لتسييرها في الانتفاع العام للسكان، فمن خلال التقيد بأنظمة الميراث والتصرف الشخصي في الأرض، تكمن أهمية دور مؤسسات القضاء والتسجيل العقاري وغيرها من مؤسسات الدولة التي تنظم عملية نزع الملكية الخاصة، وجعلها ملكية للدولة وفق القوانين المنظمة لذلك، وبما لا يمس حرية المالك الأساسي لهذه الأرض أو العقار، وتجدر الإشارة إلى القانون 5 لسنة 1969م قد حدد نسبة 35% من استخدامات الأرض في المخططات العامة للمدن للأغراض العامة (عمورة،1998م، 343) هذا التشريع الذي يعتبر من القوانين الأساسية في التخطيط العمراني للمدن والقرى وتنظيمها.

أدت أنظمة ملكية الأرض في مدينة الاصابعة إلى تباين في استخدام الأرض بما لا يتفق مع المخطط العام للمدينة، فمثلاً استحدثت خدمات في مواطن معينة لا تتماشى وظروف المكان القائمة عليه.

ب- **الضوابط الاقتصادية** : حددت العوامل الاقتصادية حيز الاستخدامات المختلفة وتوزيعها الجغرافي في المدينة، فالاستخدامات التجارية والإدارية وخاصة المصرفية والبلدية تميل إلى التركز بقلب المدينة (C.B.D) في حين تنوعت تجارة التجزئة من محلات ومراكز تجارية بين الارتباط بأماكن التجمعات السكانية والتركز في الشوارع الرئيسية عند مركز المدينة، أما الاستخدام الصناعي فتوطن في اطراف المدينة بعيدًا عن مركز المدينة وتجنباً للمشاكل البيئية الناجمة عنه كالضوضاء والتلوث البيئي، وبحثاً عن أراضي واسعة ورخيصة الثمن، وقريبة من الطرق الرئيسية كما هو الحال عند مدخل المدينة الغربي أو الشرقي، أما الاستخدام العام المتمثل في الاستخدام التعليمي والصحي والديني فقد ارتبطت بتوزيع السكان من جهة واعتبارات تخطيطية من جهة ثانية.

ثانيا : مقارنة الوضع القائم لعام 2020م بالمخطط الشامل المعتمد لعام 2000م .

قبل الخوض في حيثيات المقارنة والمقاربة تجدر الإشارة الى أن هذه المخطط وضعت من أجل معالجة وحلحلة المشاكل المترتبة عن طبيعة الاستخدام الحضري ونقل المدن الليبية من النمط القديم والاستخدام العشوائي للأرض بالمراكز الحضرية إلى وضع اكثر مرونة وحيوية واستجابة لمتطلبات النمو السكاني وحاجة السكان الى مختلف الخدمات الأساسية، وترسيخ مبدأ التفاعل بين المدينة وسكانها والحفاظ على الاستقرار السكاني للمدن والتقليل من معدلات الهجرة الداخلية والضغط على المدن الرئيسية.

وبالنظر الى صورة المخططات بشكل عام نجد ان تنفيذها أخذ مسارات غير المسارات المعتمدة وتم تنفيذ معظم المخططات العامة والتفصيلية بصورة يشوبها الضعف والفشل أحيانا وتمت معالجة الخلل بها بصورة غير مدروسة بشكل جيد، كما اصطدم تنفيذ المخططات بمختلف المشاكل الإدارية والاقتصادية وأيضا جانب الملكية، فأصبحت المدن وخاصة ذات المخططات صغيرة او متوسطة المساحة تعاني العديد من المشاكل في البنى التحتية والاختناقات المرورية والخدمات الأرضية، أيضا هناك استخدامات ظهرت على حساب استخدامات أخرى لأسباب متعددة واستخدامات أخرى تمت إزالتها بصورة متعمدة، ومن هنا يمكن ان نقارن المخطط الشامل لمدينة الاصابعة المعتمد لعام 2000م والوضع القائم لعام 2020م وملاحظة التغيرات والنواقص والخلل بهذا المخطط .

المنهجية العامة لدراسة المخطط العام لمدينة الاصابعة

المرحلة الاولى : جمع البيانات والدراسة الحقلية

المرحلة الثانية تحليل البيانات باستخدام GIS

النتائج والتوصيات

شكل 2: المخطط الشامل لمدينة الاصابعة المعتمد لعام 2000

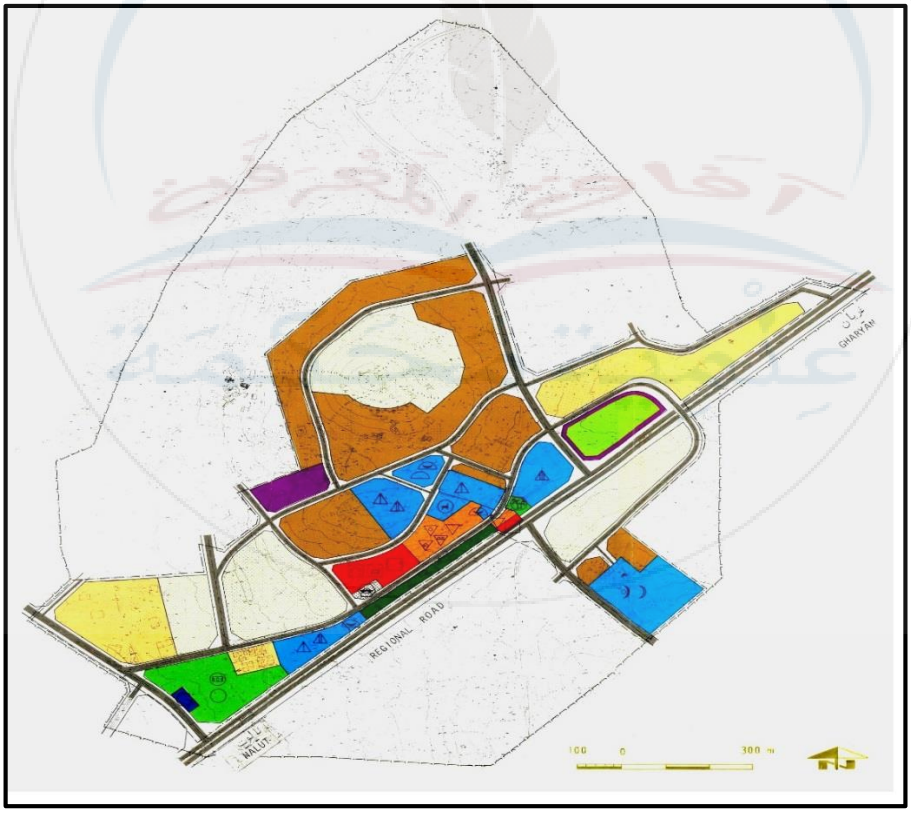

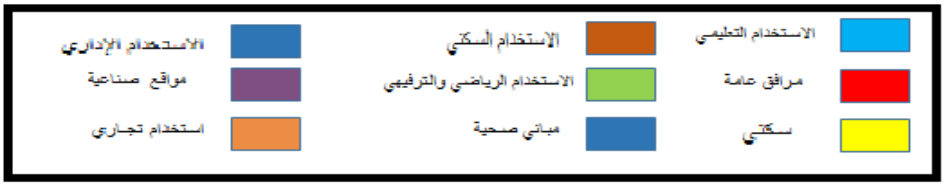

المصدر : بوليسرفس، التقرير النهائي لمخطط الاصابعة الشامل 2000، تقرير رقم ط ن-67، 2000، ص55.

الجدول2: توزيع استعمالات الأراضي بالمخطط الشامل المعتمد لعام 2000

نوع استعمال الأراضي	المساحة بالهكتار	%
سكنية	31.6	38.3
تعليمية	5.5	6.7
صحة وضمان اجتماعي	3.1	3.7
المرافق الدينية والثقافية	1.0	1.2
الرياضة والترفيه ومناطق الحماية	3.5	4.2
إدارة وخدمات عامة	1.5	1.8
تسويق وأعمال	1.8	2.2
صناعة وتخزين	1.4	1.7
خدمات زراعية	2.5	3.0
نقل وموصلات	30.6	37.0
منافع عامة	0.2	0.2
إجمالي استعمالات الراضي الحضرية	82.7	100.0
الزراعة	19.3	-
إجمالي مساحة المخطط	102.0	-

المصدر: بوليسرفس، التقرير النهائي لمخطط الاصابعة الشامل 2000، تقرير رقم ط ن– 67، 2000، ص55.

شكل 3: الوضع القائم للمخطط لعام 2020م بمدينة الاصابعة

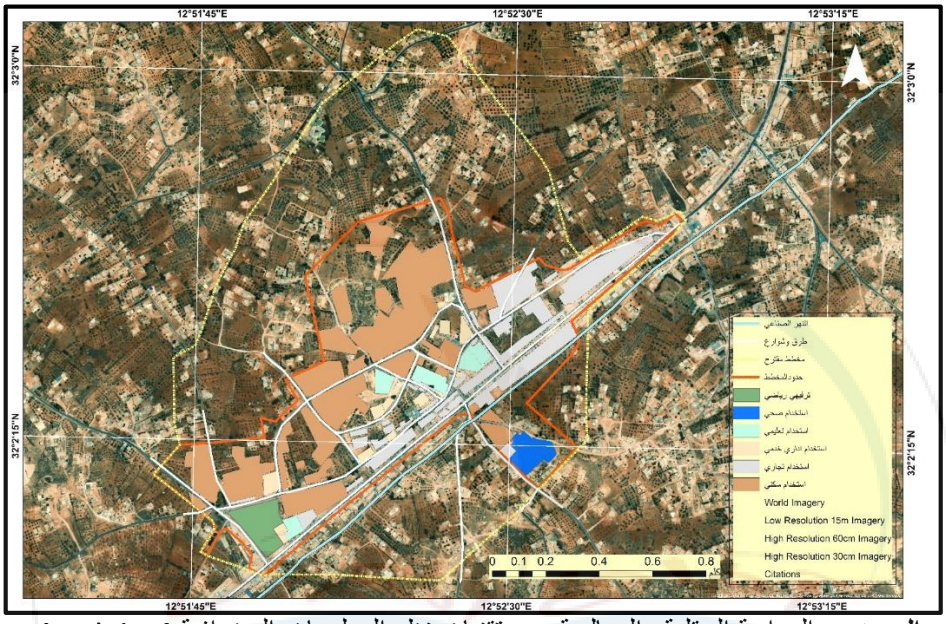

المصدر : الدراسة الحقلية والمعالجة عير تقنيات نظم المعلومات الجغرافية Arcgis1o.4.

شكل 4: الاختلاف المساحي بين المخطط المعتمد لعام 2000م والوضع القائم 2020م

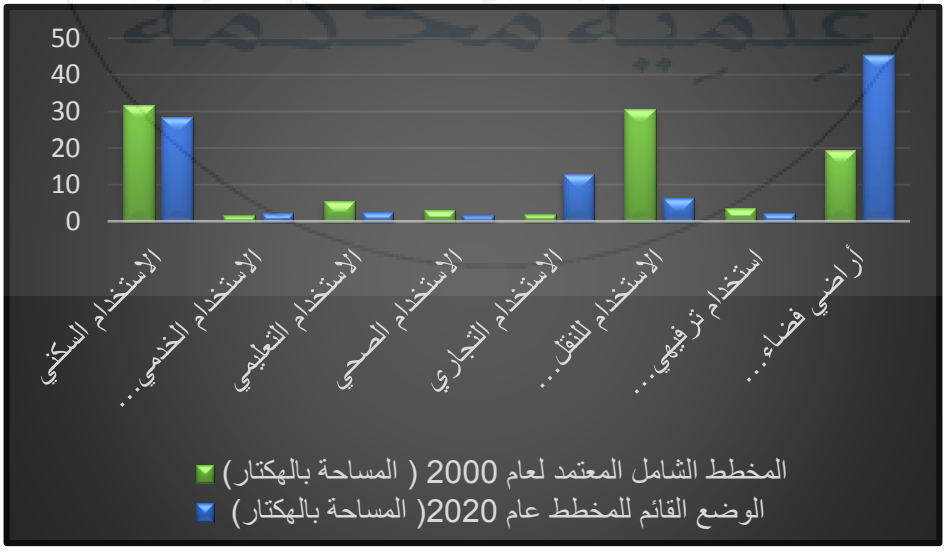

المصدر : بيانات الجدولين (2-3)

شكل 5: الوضع القائم للمخطط لعام 2020م بمدينة الاصابعة

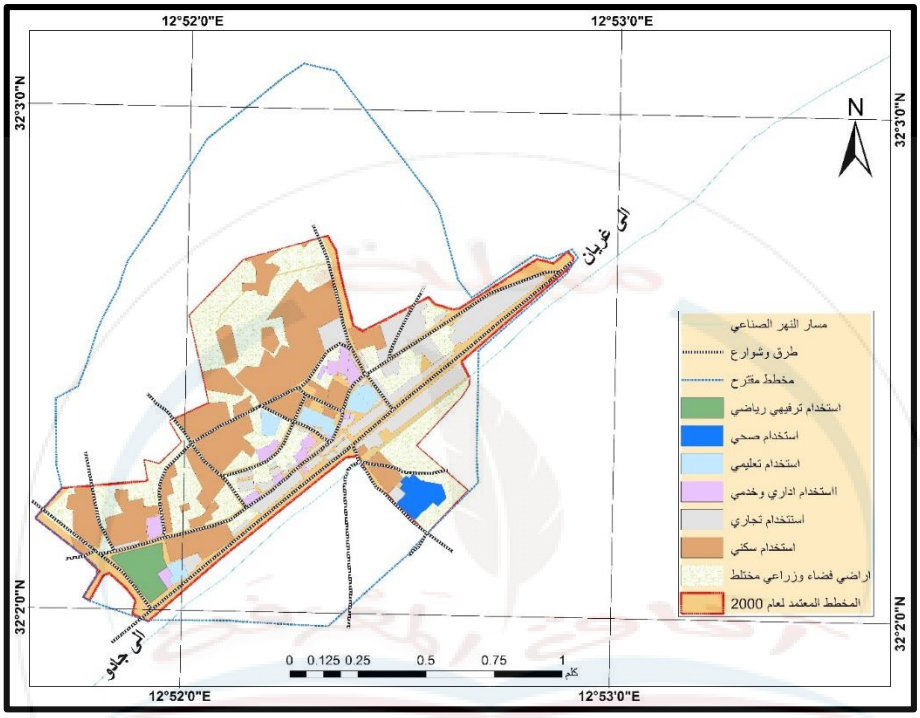

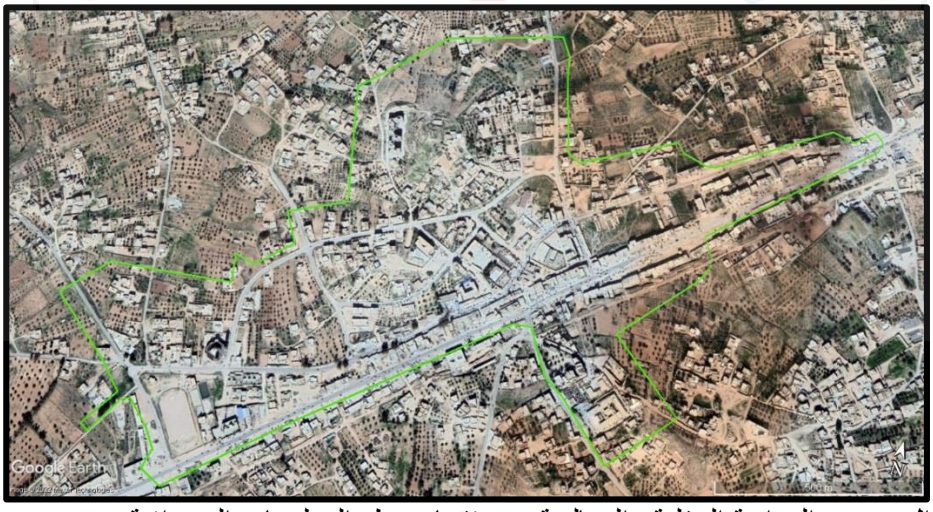

المصدر : الدراسة الحقلية والمعالجة عير تقنيات نظم المعلومات الجغرافية .Arcgis1o.4

الجدول: 3 الاستخدامات الحضرية بالوضع القائم للمخطط لعام 2020م لمدينة الاصابعة

نوع استخدام الأرض	المساحة بالهكتار	%	التغير في استخدام الأرض
سكنية	28.3	50.33	انخفاض المساحة المخصصة
تعليمية	2.5	4.44	انخفاض المساحة المخصصة
صحة	1.74	3.11	انخفاض المساحة المخصصة
الإداري والخدمي (مرافق عامة – استخدام ديني – استخدام ثقافي)	2.16	3.84	انخفاض المساحة المخصصة
الرياضة والترفيه	2.14	3.80	اختلاط الاستخدام باستخدامات أخرى
التجاري والتسويق	12.9	22.9	زيادة في المساحة المخصصة على حساب استخدامات أخرى
نقل وموصلات وشبكة شوارع	6.320	11.23	انخفاض المساحة المخصصة بشكل كبير
منافع عامة(مسار النهر الصناعي)	0.168	0.29	انخفاض المساحة المخصصة
إجمالي استعمالات الراضي الحضرية	56.228	100.0	انخفاض كبير في المساحة المخصصة للاستخدام الحضري نتيجة قصور وخلل في تنفيذ معظم جوانب المخطط
أراضي مختلطة (زراعة وأراضي فضاء)	45.44	-	زيادة في المساحة القائمة لهذه الأراضي داخل المخطط بشكل
إجمالي مساحة المخطط	102.0	-	

المصدر : الدراسة الحقلية 2020م .

النتائج:

1. الاختلاف الواضح بين المخطط المعتمد لعام 2000 والوضع القائم لعام 2020م .
2. الملكية الخاصة كانت عائقا امام تنفيذ مختلف جوانب المخطط الشامل للمدينة
3. ان 45% من سكان البلدية هم يقطنون داخل المخطط وأن نوع السكن يختلف من سكن عام عالي الكثافة (سطحي – وعمودي) الى مساكن خاصة منخفضة الكثافة .
4. ان الخدمات الصحية تتمثل في المستشفى العام والمركز الصحي الاولي وان باقي الخدمات الصحية هي خارج المخطط (مستوصفات – مراكز صحية أولية – مبان إدارية صحية) في المحلات العمرانية بالبلدية
5. الجمع بين الاستخدام الإداري والتجاري تارة وبين التجاري والخدمي (محطات الوقود – مكاتب إدارية لخدمات عامة) .
6. عدم وجود تصنيف واضح واستقلالية لمعظم الخدمات والمنافع العامة بالمخطط وانما تتوزع بشكل عشوائي غير متوازن بين توزيع السكان والخدمات
7. يلاحظ انخفاض المساحة المخصصة للنقل والشوارع والخدمات المصاحبة لها في المخطط المعتمد لعام 2000م عما هو في الوضع القائم نتيجة للأسباب الواردة في البحث ومن أهمها عدم استكمال تنفيذ المخطط بالصورة الفعلية وعقبات أخرى كالملكية وسوء الإدارة والانتقال الى القطاع الخاص في تنفيذ المخطط .

التوصيات :

ليس من المنصف اعتبار المخطط الشامل والمعتمد المنفذ خلال الفترة (1980-1995م) مخطط غير ذا جدوى أولا فائدة منه، ولكن يجب أن تكون هناك مراجعة شاملة لهذا المخطط بالأساليب الحديثة وجعل المنطقة مركز حضري خدمي تتركز به الخدمات الأساسية (بنوك – شركات – مباني الإدارة المحلية – الخدمات العامة – الإدارات الخدمية للقطاعات) مع وجود شبكة من الشوارع والبنى التحتية والارضية .

المراجع :

1. أبو القاسم العزابي (1995م): النقل والمواصلات في كتاب الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، تحرير الهادي أبو لقمة، سعد القزيري، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس.
2. بولسيرفيس(1980م): استشارات هندسية (مكتب المشاريع البلدية – فاديكو وارسو- بولندا)، التقرير النهائي لمخطط الاصابعة الشامل 2000، تقرير رقم ط.ن – 67.
3. صبحي قنوص وآخرون(1989م): التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، الثورة في عشرون عام، دار الكتب الوطنية بنغازي.
4. فتحي محمد مصيلحي(2001م): جغرافية الخدمات، الإطار النظري وتجارب عربية، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية.
5. اللجنة الشعبية للإسكان والمرافق سابقا، شعبية غريان(2007م): تقرير عن خطط توزيع المياه ببلدية الاصابعة، دراسة وتصميم جهاز الأعمال العامة بالشعبية.
6. اللجنة الشعبية للمواصلات والنقل والاتصالات(2005م): استبيان عن شبكة الطرق العامة شعبية غريان "الاصابعة"، تقرير عن الطرق في الاصابعة من (1970-2005م).

مؤسسات المجتمع المدني في ليبيا: الواقع والتحديات

د. أسامة جمعة العجمي

أستاذ مشارك. علم الاجتماع

المستخلص:

لقد أدت التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ليبيا إلى بروز مؤسسات المجتمع المدني لما لها من دور بارز في المجتمع بوصفها قطاع ثالث مهم وشريك أساسي للدولة، يساندها ويكمل ما عجزت عنه الأخيرة ولا سيما في ظل الظروف الراهنة. ومن هذا المنطلق فإن هذه الورقة البحثية تسلط الضوء على واقع مؤسسات المجتمع المدني وطبيعة عملها والأدوار التي تقوم بها في شتى المجالات، ومعرفة التحديات التي تعيق دورها. وتوصلت هذه الورقة إلى جملة من الاستنتاجات من أهمها:

– أن المجتمع المدني في ليبيا ضعيف، ويوجد تخبط واضح في أداء المهام المناطة به، ويعزي ذلك لتدني ثقافة العمل التطوعي.

– يواجه المجتمع المدني في بلادنا كثيراً من التحديات المجتمعية التي تؤثر على دور مؤسسات المجتمع المدني وفعاليته.

الكلمات المفتاحية: المجتمع المدني، مؤسسات، التحديات، ثقافة، العمل التطوعي.

مقدمة

بادي ذي بدء نشير إلى أن المجتمع المدني ليس فكرة مرتبطة بالعالم الغربي فقط، وإنما لو أمعنا النظر في تراثنا العربي ولا سيما الإسلامي فنجده في مفاهيم عدة: الشورى والمساواة والتعددية وغيرها. حيث زاد الاهتمام بالمجتمع المدني في الأونة الأخيرة على المستوى العالمي والمحلي على حد سواء وصاحبه عناية واهتمام أكثر من قبل النخب والباحثين والأكاديميين بالدراسة والبحث، يعزي ذلك للفوائد الجمة التي قدمها ويقدمها في شتى المجالات والتي ربما عجزت الدولة ومؤسساتها الحكومية القيام بها.

لذا أصبح المجتمع المدني ضرورة مجتمعية لما حققه من خدمات للأفراد والجماعات على جميع الأصعدة الثقافية والسياسية والاجتماعية والتنموية والبيئية، علاوة على ما يقدمه من حماية لحقوق الأفراد ومصالحهم من أجل ضمان المساواة بينهم معتمدا على عدة آليات وطرق وبرامج وأنشطة بعيدة إلى حد ما عن تدخل الدولة وسيطرتها. وخاصة مع تطور المجتمعات حيث تعددت احتياجات المجتمع ومطالب أفرادها الأمر الذي قد يصعب على الدولة بمفردها إشباع تلك الحاجات مما ساعد على ظهور المجتمع المدني ليساند جهود الدولة ويكملها لتحقيق أهدافها تجاه أفرادها.

المجتمع المدني مجتمع مستقل إلى حد ما عن إشراف الدولة المباشر، ويراه البعض أنها مؤسسات ثانوية تساند المؤسسات الأساسية الحكومية، حيث تنحصر تلك المؤسسات المدنية في الجمعيات الأهلية، والنقابات العمالية والمهنية، والغرف التجارية والصناعية، والمؤسسات الخيرية والحقوقية والنوادي الرياضية وغيرها من المؤسسات التي تعتمد على العمل التطوعي ولا تسعى للربح.

بناء على ما تقدم شاع مفهوم المجتمع المدني ليشير إلى جملة من المؤسسات التي يؤسسها مجموعة من الأفراد بمحض إرادتهم ورغبة منهم دون إجبار من أحد وذلك لتقديم خدمة معينة للآخرين أو للمجتمع ككل.

أولاً: تحديد موضوع البحث وتساؤلاته:

لقد برز دور مؤسسات المجتمع المدني كمساند ومكمل للدور الحكومي، باعتبار الأول – المجتمع المدني– مؤهل للقيام بدور هام ورئيسي وخاصة في الفترات التي تقصر أو تعجز الأخيرة –الدولة– عن حل بعض القضايا والمشكلات المجتمعية. ومن هذا المنطلق لعبت المؤسسات المدنية دور في تنمية المجتمعات باعتبارها أكثر مرونة وفاعلية وتأثير لقربها من المجتمع ومعرفة أكثر عن احتياجاتها للخدمات، حيث تقدم أساليب عمل وتبتكر حلولا أكثر واقعية وملاءمة للظروف المحلية، لذلك تنامي دور مؤسسات المجتمع المدني وأصبح لها قوة لا يستهان بها فلم تعد قاصرة على العمل الخيري والإنساني فقط بل أصبحت شريكا حقيقيا مؤثرا وفاعلا على جميع الأصعدة. وأيضا لتعقد وتتعدد مهام الدولة وهياكلها الإدارية المختلفة فأنه من الصعب تقديم الخدمات الاجتماعية والإنسانية والتنموية المناسبة لجميع فئات المجتمع ولا سيما بعض الفئات المحتاجة مما ساعد على ظهور المجتمع المدني لما له من أدوار وسهولة الوصول إلى تلك الفئات قد تفقدها المؤسسات الحكومية بالدولة، من هنا جاءت الحاجة الماسة لمؤسسات المجتمع المدني لسد الفجوة بين الدولة والمجتمع فهي أكثر نشاط وحماسة دون تعقيدات بيروقراطية أو إجراءات وتوجيهات وتعليمات إدارية رسمية معقدة.

كما تعد مؤسسات المجتمع قوى فاعلة ووسائط هامة في تقديم الخدمات وتنفيذ البرامج التنموية وتفعيل عدد هائل من أفراد المجتمع للمشاركة في صنع القرار ووضع السياسات العامة التي تمس حياتهم بوصفها عاملاً مساندا ومكملا للعمل الحكومي يمكن أن تلعب دوراً فعالاً ومؤثراً وقوياً في خدمة المجتمع وتنميته،

حيث عكفت مؤسسات المجتمع المدني على القيام بخدمات متنوعة وبرامج ومشاريع متعددة وتنفيذها لسد الفراغ التي قد لا تقدر الدولة بمؤسساتها الرسمية على سدها ولا سيما لبعض الحالات التي تحتاج إلى تلك الخدمات.

نحاول في هذه الورقة تسليط الضوء على نشأة المجتمع المدني في ليبيا وتطوره وواقع مؤسساته ومعرفة التحديات التي تواجهها. وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات الأتية:

- ما واقع مؤسسات المجتمع المدني في ليبيا ودورها في المجتمع؟
- ما طبيعة العلاقة بين مؤسسات المجتمع المدني والدولة؟
- ما التحديات التي قد تحد من دور مؤسسات المجتمع المدني وفاعليته؟

ثانياً: نشأة وتطور المجتمع المدني

إن بداية التكوين التنظيمي للعمل الأهلي في ليبيا وصفت في العصر العثماني حيث ساعد المناخ في ذلك الوقت على التنافس في جميع المؤسسات وتنفيذ المشاريع التعليمية التي كانوا في حاجة إليها ويسعون للقيام بها كمدرسة الفنون والصنائع الإسلامية التي أسست على أرض تبرع بها الوالي (باشا) سنة 1898 وزد على ذلك قيام الأهالي بجمع التبرعات لتصل إلى الشكل الذي عليه اليوم. ولقد تم إنشاء معظم دور العلم والمنارات الدينية لتعليم علوم القرآن والمدارس القرآنية من خلال الدعم المالي الذي يقدمه القادرون مادياً من الليبيين أو مشاريع الأوقاف التي كان أفراد المجتمع من الأغنياء يتسابقون للإنفاق عليها وعلى المساجد. كما اهتم الليبيون بجمع التبرعات من بيع الثمار والزروع واعتبروها وقفا للحرمين الشريفين وكانوا يرسلون تلك الأموال مع الحجاج الليبيين الذين يذهبون لأداء فريضة الحج والذين يقومون بتسليمها للمشرفين على إدارة الحرمين الشريفين.

أما المجتمع المدني في العهد التركي: فقد كانت ليبيا تابعة للإدارة التركية قبل الاحتلال الإيطالي حيث كان الاهتمام بالتعليم العصري المتمدن، حيث بدأ الأهالي يهتمون بجمع التبرعات لتلقي العلم وإرسال وفود من الطلبة لتلقي العلم في تركيا التي كانت وجهتهم الوحيدة وذلك لتعليم الشباب الليبي في جميع المجالات العلمية. أما بالنسبة للنشاط النسائي فقد بدأ بالتعليم وبعدها بالعمل التطوعي: حيث تم افتتاح أول مدرسة أهلية للبنات بمدينة طرابلس وكانت بدعم من الأهالي القادرين، واعتمدت على عدد من المعلمات اللاتي يجدن اللغتين العربية والتركية وكان يدرس فيها الحساب والتاريخ والجغرافيا والتدبير المنزلي والحياكة والتطريز والموسيقى.

وفي عام 1908 نشأت أول جمعية نسائية أهلية في ليبيا سميت باسم (نجمة الهلال) وذلك للعمل الإنساني وكان من أهم أعمالها داخليا تدريس الفتيات الحساب والقراءة والكتاب وتعليم القرآن وحفظه وكانت المدرسات متطوعات من ربات البيوت يعرفن باسم (العريفة) بمعنى المعلمة وكانت هذه الجمعية تقوم بتقديم المساعدات العينية للعائلات المحتاجه. هذا بالنسبة لمشاركتها في العمل التطوعي داخل ليبيا، أما خارج ليبيا فقد قامت هذه الجمعية الأهلية بجمع التبرعات لصيانة وإصلاح آبار المياه في مكة المكرمة وجبل عرفات، وأيضا قامت بحملة تبرعات لصالح إنشاء السكة الحديدية في الحجاز وهو المشروع الذي تم الإعلان عنه عالميا وساهمت فيه بلدان العالم الإسلامي وذلك بالتبرع له ماديا كانت هذه الجمعيات أو منظمة من منظمات المجتمع المدني التي ساهمت بأعمال تطوعية داخل ليبيا وخارجها.(البشاري، 2013: ص6-8)

أما المجتمع المدني في ليبيا بعد الاحتلال الإيطالي: فقد بدأ العمل الأهلي في الانتكاس، والتراجع وكان بسبب الهزائم المتلاحقة التي مر بها الجيش الايطالي، فلم يكن أمام الإدارة الايطالية إلا تغيير سياستها العسكرية في ليبيا وذلك بإحضار

الجنرال الدموي – غريستياني – الذي استعان بالمجرمين الايطاليين من السجون الايطالية وأحضرهم إلى ليبيا، كما استعان بسكان الجنوب الايطالي الذين اشتهروا بالتخلف والجهل وسمح لهم بالقتل والسلب والنهب وعاثوا في الأرض فسادا فارتكبوا. أفظع الجرائم التي تحرمها الإنسانية من عصابات خارجة على القانون وتزايدت حالات الاغتصاب والقتل الجماعي ومصادرة الأراضي، وهذا مما دفع بكثير من الليبيين للهجرة إلى البلاد المجاورة مثل مصر وتونس وبلاد الشام ولذلك فإن الاستعمار الايطالي قد مثل أخطر وأقذر صور الاستعمار في العالم مما أدى إلى إحباط العمل المدني وتدنيه وتراجعه.

أما المجتمع المدني في عهد الإدارة البريطانية: فقد تنفس الليبيون بعض أنفاس الحرية في العمل المدني في الستينات حيث قاموا بتأسيس الأحزاب، أما بالنسبة لعمل المجتمع المدني فقد أسست الجمعيات الأهلية فيما بين 1943_1949م فوافقت الإدارة البريطانية على إعطاء الترخيص لمزاولة العمل لأكثر من ثلاثين مؤسسة منهم الجمعيات الأهلية والأندية الرياضية والصحف والأعلام وأيضا بقيام الأحزاب والمظاهرات والجمعيات العامة.

أما المجتمع المدني بعد الاستقلال: بعد ما استقلت ليبيا وكان أول دستور لها في 1954 وهو الدستور الملكي وصدر مرافقاً لبعض القوانين التي قام بإعدادها لجنة من الأمم المتحدة وبعض الكفاءات الليبية وبمشاركة خبراء مصريين حيث استعانوا بالقوانين المصرية مع بعض التعديلات التي تناسب الواقع الليبي بعد الاستقلال.

وبالنسبة للمجتمع المدني فقد كان هناك القانون الذي ينظمه ولقد كانت هذه الفترة من أخصب الفترات التي تأسست فيها مؤسسات المجتمع المدني المتمثلة في الجمعيات الأهلية والخاصة بالمرأة والطفل ومحو الأمية وأيضا مراكز الشباب والأندية الرياضية والحركة الكشفية ونقابات العمال والنقابات المهنية وغيرها.

وبعد اكتشاف النفط في ليبيا عاد كثير من المهاجرين الليبيين إلى بلادهم، وفتحت البعثات للدراسة في الخارج. وأيضا عند عودتهم ساهموا في البناء الاجتماعي والتربوي في ليبيا. مما أدي إلى انتشار التعليم بأنواعه وفتح التعليم العالي ولاسيما الجامعة الليبية التي ساهمت في إنشاء وتفعيل العمل الأهلي والاهتمام بوسائل الإعلام.

وقد سعت هذه المؤسسات على تقديم الكثير من الأعمال التطوعية التي ساهمت في نهضة ليبيا وتنميتها في جميع المجالات، وكانت مدعومة من وزارة الشئون الاجتماعية والشباب والرياضة آنذاك.(المرجع السابق، 2013: ص ص9-10)

أما المجتمع المدني إبان الفترة 1969 – 2011: في هذه الحقبة صدر قانون رقم 111 لسنة 1970 بشأن الجمعيات ولم يختلف عن قانون السابق إلا بعض المواد وتواصل العمل به إلى 2001 حيث صدر قانون 19 بشأن تنظيم الجمعيات الأهلية. وقام بإصدار هذا القانون مجموعة من المتخصصين والمهتمين بالعمل القانوني والأهلي ووضعت بعض المواد التي قيدت العمل الأهلي وجعلته صعباً للغاية.(قانون 19، 2001)

ويعد هذا القانون من أصعب القوانين الموجودة في المجتمعات العربية نظراً لوجود بعض المواد التي جعلت من العمل الأهلي أمراً يصعب تحقيقه، علاوة على أن العمل الأهلي في ليبيا في هذه الفترة من حياة ليبيا والليبيين كان مسيساً. ولقد واجه هذا القانون كثيرا من الانتقادات أهمها:

- أن الشرط المتعلق بعدد المؤسسين للجمعية يشترط أن لا يقل عددهم عن خمسين عضوا وهذا يصعب تحقيقه.
- يشترط أن يكون مقر الجمعية مكان خاص لممارسة أعمالها وفي نفس الوقت تمنع الحكومة استخدام الأسقف والأماكن الإدارية التابعة للدولة.

- إن الدولة ألغت الدعم المادي للعمل ألأهلي وسمحت للجمعيات الأهلية بالاستثمار. واعتمد العمل الأهلي على إدخال عضوية أشخاص قادرين مادياً وذلك بقصد الحصول على الدعم المادي للعمل الخيري.
- اقتصرت الدولة على تقديم بعض الإعفاءات الضريبة وتسهيل الإجراءات وكانت المشاكل المادية تهدد الجمعيات مما جعلها تسلك طريق الاستثمار الذي أبعدها عن دورها الإنساني.
- اشترط القانون تدخل اللجنة الشعبية العامة في كثير من المواد لتعطيل عمل الجمعيات الأهلية بتعقيدات إدارية.
- اشتراط الموافقة الأمنية لتأسيس الجمعية الأهلية تعقد عمل هذه الجمعيات في كثير من الأمور.

لقد كان المجتمع المدني في ليبيا إبان الفترة الماضية (1969 – 2011) مقيداً ومسيساً بقوانين شاده مسيطرة ومكبلة لحرية مؤسسات المجتمع المدني بكل مجالاته وأهدافه كما يلي:

- إن النقابات العمالية والمهنية والاتحادات والروابط والجمعيات في ليبيا كانت مسيسه وغير تنافسية وإلزامية وليس لها أي فعالية في تطور المجتمع وازدهاره وأن نشأتها وتنظيمها (هيكلها التنظيمي) وحلها كان يتم بقرارات ولوائح وقوانين رسمية.
- إن مؤسسات المجتمع المدني لا تمثل مجالا مستقلاً ومنفصلاً عن الدولة وجهات ضاغطة على سياستها وإنما هي منفصلة في البنية التنظيمية الرسمية وتعتبر جزءاً من آليات النظام السياسي (السلطة الحاكمة) في ليبيا والذي اسند وللأسف على سياسات النظرية الجماهيرية وغيرها.(البشاري، 2013: ص 11-13)

أما المجتمع المدني بعد 17 فبراير 2011: في الواقع إننا لو رجعنا إلى ما قبل 2011 في ليبيا، فإن عدد مؤسسات المجتمع المدني قليل جدا إذا ما قورن بعددها الحالي وإن جل الجمعيات الأهلية في العهد السابق كانت بعضها مراقبة والبعض الأخر مسيسه. وفي نهاية 2011 حدثت تطورات ملحوظة في العمل التطوعي والنشاط الأهلي من خلال ظهور مبادرات فردية وجماعية، وتكوين جمعيات أهلية وخيرية وأحزاب سياسية. حيث بادر المجلس الوطني الانتقالي بإنشاء وزارة الثقافة والمجتمع المدني حيث قامت بتشجيع وإنشاء وتأسيس الجمعيات الأهلية ودعمها مادياً وتشريعيا حتى وصل عددها إلى نحو (4500) تقريبا مؤسسة مجتمع مدني.

وقد ساهم المجتمع المدني بمؤسساته في ليبيا ولا سيما عندما بدأت ليبيا تنتقل من نظام غير ديمقراطي إلى ديمقراطي وذلك من خلال المشاركة والمراقبة في انتخاب المؤتمر الوطني العام والحكومات المتعاقبة الانتقالية والمؤقتة، وما شهدته خلال انتخاب الهيئة التأسيسية لصياغة مشروع الدستور (لجنة الستين) وكذلك ما شهدنا في مساهماتها من انتخابات المجالس البلدية في جميع أنحاء ليبيا. كما لعب المجتمع المدني في الآونة الأخيرة دوراً كبيراً في تقديم الخدمات في جل المجالات الانسانية منها والخيرية ولاسيما الدور التوعوي الذي يعد من أهم الأدوار.

يتضح مما سبق أن المجتمع المدني أصبح أحد أدوات التغيير الفعلية النشطة والذي لم يستقر دوره على تقديم الخدمات التنموية فحسب بل أصبح من أهم الأدوات التي تدافع عن الديمقراطية والحقوق والحريات ومحاربة الفساد بكل ألوانه وأشكاله والدعوة للمشاركة في صنع سياسة المجتمع وأيضا من أهم أدوار المجتمع وهو تمكين الشعب من التمسك بمبدأ المواطنة وبناء الدولة.

ثالثاً: واقع المجتمع المدني في ليبيا

تعرض المجتمع المدني في بلادنا خلال الحقبة السابقة لسيطرة النظام وأجهزة الدولة حيث تم تسييسه وتقييده بقوانين لعل من أهمها قانون رقم 111 لسنة 2001م وكذلك إلغاء الأحزاب السياسية وتجريمها وغيرها من اللوائح والقوانين التي قلصت من دوره. إلا أنه في العقد الأخير بعد 2011م ساهم التحول الديمقراطي في ليبيا إلى وجود مجتمع مدني فاعل حاول القيام بحل القضايا الشائكة والمشاكل العالقة. حيث شهدت ليبيا في بداية 2012م تطورا ملحوظاً وانتشارا متسارعا وأعداداً متزايدة في مؤسسات المجتمع المدني التي اضطلعت آنذاك بدور هام في سد الثغرات التي قصرت الدولة عن ملئها حيث قامت الأولى بتقديم الخدمات الإنسانية والخيرية والاجتماعية علاوة على البرامج والمشاريع التنموية والثقافية والبيئة وغيرها.

ونتيجة للتغيرات السياسية والإدارية التي حدثت على مستوى ليبيا في الأونة الأخيرة زاد الاهتمام بالمجتمع المدني وتأسيس مؤسسات مدنية في مختلف المجالات منها ما هي مهتمة بالبيئة والتنمية والصحة، وأخرى بحقوق الإنسان والمرأة والشباب وذلك من أجل المشاركة في خدمة المجتمع وتنميته.

لقد نشط المجتمع المدني في ليبيا رغم الوضع السياسي والإداري للبلاد وحاول أن يمارس دوره من خلال الجمعيات والمنظمات والمؤسسات كل حسب مجاله وأهدافه. حيث وصل عددها إلى (4500) مؤسسة مجتمع مدني في 2012م مسجلة في مفوضية المجتمع المدني في طرابلس، وتزايد عددها إلى أن وصلت إلى (9000) مؤسسة بحلول عام 2022م على مستوى ليبيا. وعلى الرغم من التطور الهائل الذي عرفه المجتمع المدني والزيادة الهائلة في عدد مؤسساته فأنه يواجه العديد من التحديات التي تحد من دوره وتقلل من فاعليته وربما يؤدي إلى تلاشى تلك المؤسسات وتبقى أعداد وأسماء مسجلة – حبر على الورق– دون أي دور فعال وايجابي.

إن تجربة مؤسسات المجتمع المدني ما تزال في بداياتها الا أنه من الملاحظ تراجع دورها ويظهر ذلك جلياً من خلال التخبط الواضح في تحقيق أهدافها ومهامها المناطة بها يعزي ذلك إلى حداثة المجتمع المدني في ليبيا، أي أنه مازال ضعيف على الرغم من الزيادة الطردية في عدد مؤسساته وهذا يعزي إلى جملة من الأسباب لعل من أهمها: أن المجتمع الليبي يتميز ببعض الخصائص الاجتماعية التي لا تشجع الأفراد للانخراط فيها، علاوة عن الظروف المعيشية والأوضاع السياسية والأمنية التي تمر بها البلاد.

رابعاً: أدوار مؤسسات المجتمع المدني

إن لكل مؤسسة من مؤسسات المجتمع المدني مجالاً محدداً وأهدافاً تسعى لتحقيقها، وربما تتداخل بعض المهام بين مؤسسة وأخرى، فهناك مؤسسات تهتم بالتوعية والتثقيف وأخرى بالأعمال الإنسانية والخيرية، وبعضها يهتم بالدفاع عن حقوق الإنسان: كحقوق المعاقين والمرأة والطفل وغيرها يهتم بالبيئة والتنمية حيث تقوم تلك المؤسسات بدور في المجتمع من خلال برامج وأنشطة تتمثل في: أنشطة توعوية تهدف إلى توعية وتثقيف أفراد المجتمع، وأنشطة، وقائية تهدف إلى إدراك القضايا والمشكلات المجتمعية، وأنشطة علاجية تهدف إلى مواجهة المشكلات المجتمعية. ويمكن عرض بعض الأدوار التي تقوم بها مؤسسات المجتمع المدني على النحو التالي:

– تقدم مؤسسات المجتمع المدني في مجال التعليم خدمات لبعض فئات المجتمع كفتح فصول محو الأمية للحد من ظاهرة الأمية.

– تسعى مؤسسات المجتمع المدني إلى تقديم الرعاية الاجتماعية للأفراد ولا سيما الأشخاص ذوي الإعاقة، وكبار السن، والأطفال وكذلك المحتاجين والفقراء.

– تقوم بعض مؤسسات المجتمع المدني بدفع تنمية المجتمعات اقتصاديا كالقيام بأنشطة اقتصادية في مجال المشروعات الصغرى. كإقامة مراكز تدريب والاسهام في تشغيل الشباب للحد من مشكلة بطالة الشباب.

– تهتم مؤسسات المجتمع المدني بالبيئة وذلك من خلال أنشطة وبرامج فعلية تقوم بها: كحملات التشجير وحملات النظافة وأنشطة علمية كالندوات وورش العمل والمؤتمرات وأنشطة تثقيفية كالاحتفال بالأيام والمناسبات البيئية على المستوى المحلي أو الوطني أو العالمي. لخدمة وتنمية البيئة والنهوض بها وتحسينها وحمايتها من التدهور والتلوث البيئي. (حجازي، الشرقاوي، 1434: ص201)

– بعض مؤسسات المجتمع المدني تقوم بتعبئة الأعضاء بالجانب السياسي، فهي تعمل على تعزيز المشاركة السياسية، وتمكن الأفراد من الإسهام في الحياة السياسية وترسيخ الديمقراطية.

– مؤسسات المجتمع المدني المهتمة بالجانب الثقافي تعمل على تشجيع الفنون الجميلة ونشر ثقافة التسامح.

– هناك مؤسسات مجتمع مدني مهمتها التواصل مع شعوب أخرى تحت مسمى جمعيات الصداقة تسعى لتوثيق علاقات الود والتفاهم بين تلك الشعوب.

– تقوم مؤسسات المجتمع المدني بمكافحة الحروب، أي جماعات السلام التي تهتم بتوطيد السلام ومكافحة الاتجاهات العدوانية.

– تهتم مؤسسات المجتمع المدني بمراقبة الحكومات، إما بدعوى مكافحة الفساد أو بحماية المواطنين والوقاية من الاعتداء عليها.(الشمري، 2008: ص39–40)

وبناء على ما تقدم تسعى مؤسسات المجتمع المدني بجهودها التطوعية إلى خدمة المجتمع وتحسين نوعية الحياة لأفراده في شتى المجالات الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والبيئية وغيرها.

خامساً: التحديات التي تواجه مؤسسات المجتمع المدني

تواجه مؤسسات المجتمع المدني كثيراً من التحديات التي تؤثر على قيامها بأدوارها في خدمة المجتمع وتنميته. ومن هذه المعوقات ما يلي:

أ. ما يتعلق بالدولة: يمكن حصر بعض التحديات ذات العلاقة بالدولة فيا يلي:

– رقابة الأجهزة الحكومية ولا سيما الأمنية والاستخباراتية، والمتابعة من المؤسسات الإدارية ذات العلاقة تأخذ شكلاً بيروقراطيا يعد من التحديات التي تعيق مؤسسات المجتمع المدني وتؤثر على استقلاليتها.

– عدم دعم الدولة لتلك المؤسسات المدنية بأي دعم مادي أو معنوي أو فني أو لوجستي أو معرفي.

– صعوبة حصول مؤسسات المجتمع المدني موافقة لتنفيذ بعض الأنشطة والبرامج ولا سيما ذات العلاقة بالدولة، علاوة على منعها من الحصول على تمويل من منظمات دولية أخرى إلا بعد الرجوع إلى المؤسسات الحكومية ذات العلاقة وتعقيد الإجراءات وتطوليها الأمر الذي يحرمها من ذلك الدعم المقدم من الخارج.

– إقصاء وتهميش مؤسسات المجتمع المدني وعدم إشراكها من قبل الدولة في رسم السياسات وصنعها وكذلك في عمليات التخطيط التنموي، الأمر الذي يؤثر على تنفيذ تلك السياسات وفاعليتها.

– حساسية العلاقة بين بعض مؤسسات المجتمع والدولة ولا سيما عند ما تتلقى التمويل الأجنبي الذي تتحصل عليها تلك المؤسسات حيث يمثل إشكالية للدولة لتحسسها منه باعتقادها أنه يستغل في أغراض ضد الدولة.(الشاعري، 2019: 218)

مما تقدم يبدو أن هناك حاجة إلى تنظيم هذه العلاقة وتوضيح حدودها في إطار الاعتماد المتبادل والتعاون والشراكة بما يمكنهما كقطاعين (حكومي، ومدني) من المساهمة في تحقيق التنمية الشاملة وتقدم المجتمع ونموه وتطوره.

ب. تحديات تتعلق بالمجتمع: نظراً لحداثة المجتمع المدني في ليبيا، فهناك تدني بأهمية ودور مؤسسات المجتمع المدني الأمر الذي يؤدي إلى عزوف في عدد الأعضاء المنخرطين في تلك المؤسسات، وهذا قد يعزي لتدني ثقافة العمل التطوعي خاصة والمجتمع المدني عامة، وإلى الثقافة العربية التي تتسم بكثير من الصفات أهمها: غياب ثقافة التطوع والمواطنة واحترام التعددية، بالإضافة إلى الالتباس بشأن مفهوم المجتمع المدني ومجالات عمله وممارساته، علاوة على الظروف المعيشية الصعبة وظروف الحياة اليومية المعقدة.

ومن التحديات الأخرى التي تواجه المجتمع المدني وجهة النظر التي ترى أن المجتمع المدني بشكله الحديث ليس نتاجاً طبيعياً لتطور المجتمعات العربية، ولكن تم استيراده من الخارج، وبالتالي يظل مرتبطاً بالخارج من خلال التشبيك والتمويل.(الشاعري، 2013: ص219)

ج. تحديات تتعلق بمؤسسات المجتمع المدني: ثمة تحديات داخلية من المؤسسات نفسها تعيق وتحد من دورها وبالتالي يمكن أن تفشل من فاعليتها وإدائها واستمرارها لعل من أهمها ما يلي:

– نادراً ما يوجد تعاون وتنسيق بين المؤسسات المدنية فيما بينها، ولا سيما تلك التي تعمل في نفس المجال، علاوة على أن بعض المؤسسات وخاصة التي لديها موارد مالية كافية لا تنظم برامج وأنشطة مشتركة بينها هذا من جهة، ومن جهة اخرى لا تحفز أعضائها والمواطنين على المشاركة في العمل المدني.

– إن عدم إدارة المؤسسات المدنية بشكل ديمقراطي من قبل أعضائها يؤثر سلباً على فاعليتها ونشاطها كوجود رؤساء وأعضاء ومدراء على رأس المؤسسة دون التداول السلمي على تولي تلك المهام من أعضاء آخرين بالمؤسسة نفسها، يؤثر على استدامة المؤسسة، ويخلق نوع من الاحباط والفتور من الأعضاء الآخرين ولا سيما الشباب، علاوة على عدم مشاركتهم في صنع القرار بالمؤسسة وعادة ما تتم بشكل فردي وليس جماعي.(الشاعري، 2013: ص83)

– عدم خبرة الأعضاء المنخرطين بالمؤسسات المدنية والعاملين بها ونقص المعرفة بالأمور المالية ووضع الخطط والاستراتيجية وإعداد الميزانية أو الموازنة لبعض المشاريع يعد تحدي لها.

سادساً: الاستنتاجات التوصيات:

أ. الاستنتاجات: من خلال البحث نستنتج ما يلي:

– تزايد أعداد مؤسسات المجتمع المدني في ليبيا بشكل غير مسبوق في الأونة الأخيرة (كماً وليس كيفاً) أي من غير النهوض بمستوى أدائها وعدم قدرتها على القيام بتحقيق أهدافها، واقتصارها على بعض الخدمات البسيطة كالتوعية والتثقيف والأعمال الخيرية فقط.

– المجتمع المدني في ليبيا ضعيف لازال في بداياته الأولى وهناك تخبط واضح من مؤسساته في أداء المهام المناطة بها يعزي ذلك لتدني ثقافة العمل التطوعي.

– المجتمع المدني في ليبيا يحتاج إلى تعبئة الجهود على المستوي المحلي والوطني.

– تراجع دور مؤسسات المجتمع المدني في الأونة مقارنة ببداية نشأتها وتأسيسها نتيجة للظروف الراهنة في البلاد كالانقسام السياسي والحروب والظروف المعيشية.

– يغلب على مؤسسات المجتمع المدني في ليبيا برامج وأنشطة تقليدية خدمية ورعائية، بينما تنظر إلى التنمية باعتبارها مسئولية الدولة.

– دور مؤسسات المجتمع المدني موجود بدرجة ضئيلة يحتاج إلى تكاثف وتضافر الجهود للنهوض بها لتقدم خدمات في جل المجالات كلاً حسب مجال تخصصها.

– تسد مؤسسات المجتمع المدني بعض الثغرات والفراغ التي لا تقدر الدولة ومؤسساتها الحكومية على سدها.

– تواجه مؤسسات المجتمع المدني العديد من التحديات المجتمعية التي تؤثر على القيام بأدوارها على أكمل وجه في خدمة المجتمع وتنميته.

ب. التوصيات: في ختام هذا البحث نوصي ببعض التوصيات لتعزيز عمل مؤسسات المجتمع المدني على النحو التالي:

– ضرورة دعم برامج مؤسسات المجتمع المدني وأنشطتها ومشاريعها من قبل الدولة ومؤسساتها وأجهزتها الحكومية.

– نشر ثقافة العمل التطوعي لدى فئات المجتمع، وكذلك إبراز أهمية ودور مؤسسات المجتمع المدني من خلال وسائل الإعلام المختلفة.

– العمل على تدريب النشطاء والعاملين والقياديين بتلك المؤسسات من الناحية الإدارية والفنية، وكذلك في مجالات وميادين العمل التطوعي.

– ضرورة التنسيق بين مؤسسات المجتمع المدني ولا سيما التي تعمل في نفس المجال وتوحيد جهودها لتحقيق أهدافها على أعلى مستوى والوصول إلى نتائج مثمرة.

– الاستعانة بخبرات الهيئات والمنظمات الدولية والاستفادة من تجاربها وخبراتها في إدارة مؤسسات المجتمع المدني المحلية وتعزيز قدراتها.

المراجع

- منيرة أحمد البشاري، مؤسسات المجتمع المدني في إطارها القانوني، دار النهضة العربية، القاهرة، 2013.

- وفاء كاظم الشمري، المجتمع المدني، الدار الاكاديمية للطباعة والتأليف والترجمة والنشر، طرابلس، 2008.

- سالمة عبدالله الشاعري، المجتمع المدني "النشأة والتطور"، دار ابن خلدون للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2019.

- هدى محمد الحجازي، نجوى إبراهيم الشرقاوي، العمل التطوعي ومؤسسات المجتمع المدني، دار الزهراء، الرياض، 1434.

- قانون رقم 2001/19م، بشأن إعادة تنظيم الجمعيات الأهلية في ليبيا، مؤتمر الشعب العام(سابقاً)، لسنة 2001م.

Ponte-Sucre A, Gamarro F, Dujardin J et al (2017) Drug resistance and treatment failure in leishmaniasis: a 21st century challenge. PLoS Neglected Tropical Diseases, 11:e0006052.

Ritt, JF; Raymond, F; Leprohon, P; Legare, D; Corbeil, J. and Ouellette, M. (2013) Gene amplification and point mutations in pyrimidine metabolic genes in 5-fluorouracil resistant *Leishmania infantum*. PLoS Neglected Tropical Diseases, 7(11), e2564.

Rogers, MB, Hilley, JD, Dickens, NJ, Wilkes, J, Bates, PA, Depledge, et al., (2011). Chromosome and gene copy number variation allow major structural change between species and strains of *Leishmania*. Genome Research, 21, 2129-2142.

WHO. (2022). Fact Sheet. ed. WHO World Health Organization.

determined by whole genome sequencing. PLoS Negl Trop Dis, 6, e1512.

Ali, JAM; Creek, DJ; Burgess, K; Allison, HC; Field, MC; Maser, P. and de Koning, HP. (2013). Pyrimidine salvage in *Trypanosoma brucei* bloodstream forms and the trypanocidal action of halogenated pyrimidines. Molecular Pharmacology, 83, 439-453.

Alzahrani, KJH; Ali, JAM; Eze, AA; Looi, WL; Tagoe, DNA; Creek, DJ; Barrett, MP. and de Koning, HP. (2017) Functional and genetic evidence that nucleoside transport is highly conserved in *Leishmania* species: Implications for pyrimidine-based chemotherapy. Int J Parasitol Drugs Drug Resist. 7(2):206-226.

CFSPH. (2009). African Animal Trypanosomiasis. Nagana, Tsetse Disease, Tsetse Fly Disease. ed. The Center for Food Security and Public Health Jowa State University.

de Moura TR, Santos MLB, Braz JM et al (2016) Cross-resistance of *Leishmania infantum* isolates to nitric oxide from patients refractory to antimony treatment, and greater tolerance to antileishmanial responses by macrophages. Parasitol Res 115:713–721.

Ghosh, S; Verma, A; Kumar, V; Pradhan, D; Selvapandiyan, A; Salotra, P; Singh, R; (2020) Genomic and transcriptomic analysis for identification of genes and interlinked pathways mediating artemisinin resistance in *Leishmania donovani*. Genes (Basel). 11(11):1362.

Li, H; Handsaker, B; Wysoker, A; Fennell, T; Ruan, J; Homer, N; Marth, G; Abecasis, G; Durbin, R. 1000 Genome Project Data Processing Subgroup. (2009). The sequence alignment/map format and SAMtools. Bioinformatics, 25, 2078-2079.

Chromosome 31: Both the parental line (*L. major* sFriedlin-WT) and Lmaj-5FURes appear to have 5 copies of chromosome 31. Among the potential genes of interest on this chromosome are three hypothetical genes LmjF.31.0030, LmjF.31.0040 and LmjF.31.0300, with 12, 11 and 12 TM domains, respectively. The parental line appears to have lost the first ~78 kb of this chromosome sequence from 3 of its 5 chromosome copies. In addition, Lmaj-5FURes seems to have lost the region 518,000 - 524,000 from two or three of its five chromosome copies, which carries gene LmjF.31.1280 (ABCC5) and borders gene LmjF.31.1290 (ABCC6) with 6 and 10 TM domains, respectively.

Chromosome 33: Lmaj-5FURes has halved coverage around position 759,000 which affects two genes: peptidase M20/M25/M40 LmjF.33.1610 and LmjF.33.1600, a hypothetical protein without any TM domains.

The generation of genome sequences for *Leishmania* species resistant to 5-FU showed multiple changes in each resistant strain. These findings were consistent with Ritt *et al*. (2013), who found a number of factors contribute to 5FU resistance in *L. infantum*. In our resistant *Leishmania* strains, there was only one gene independently targeted by 5-FU in both *L. mexicana* and *L. major*, and this was a hypothetical protein identified as LmxM.03.0370 and LmjF.03.0370, respectively. Interestingly, the gene carries 5 TM domains, which might be a candidate gene for 5-FU resistance in *Leishmania* spp. On the other side, several reductions and elevations have been observed on a whole chromosome or chunk of it on *Leishmania* resistant strains. Therefore, we recommend further investigation on the suspected genes that were known or unknown function and potentially associated with resistance to fluorinated pyrimidines.

List of References

Adriano, CAC, Boisvert, S, Angana, AM, Philippe, PL, Jacques, JC & Marc, MO. (2012). Multiple mutations in heterogeneous miltefosine-resistant Leishmania major population as

Genome analysis of *L. major* resistant to 5-FU

Strains of *L. major* promastigotes with high levels of resistance to 5-FU were generated and abbreviated Lmaj-5FURes. The extracted DNA from the adapted cell lines was full genome sequenced in parallel parental wild type, *L. major* sFriedlin-WT. The adapted *L. major* clones displayed CNVs on several different chromosomes: 2, 12, 14, 18, 20, 31 and 33.

Chromosome 2: Lmaj-5FURes has apparently lost a section from chromosome 2 around positions 97,000 - 110,000 carrying phosphoglycan galactosyltransferase genes.

Chromosome 12: in Lamj-5FURes, apparent CNV for surface antigen protein, this coverage is very likely irrelevant to the pyrimidine uptake or metabolism.

Chromosome 14: Lmaj5FURes has 50% reduction in coverage over region 550,000 - 579,000 carrying 9 genes, including the gene encoded a pteridine transporter (LmjF.14.1355). This gene has only 3 TM domains; the other eight genes have various functions and are not linked to pyrimidine transporter since they have no TM domains, with exception of delta-4 fatty acid desaturase (LmjF.14.1340) which has 4 TM domains. Interestingly, one of these eight genes that is located in the same region is LmjF.14.1320. The gene encodes serine hydroxymethyl transferase, which may contribute to Lmaj-5FURes resistance to 5-FU, as the enzyme involved in the dTMP cycle.

Chromosome18: Lmaj5FURes has double coverage around position 704,000 carrying one hypothetical gene LmjF.18.1570, which has no TM domains. As the protein has no known function it is not possible to speculate on any role it may have in Lmaj-5-FURes resistance.

Chromosome 20: Lmaj5FURes has 50% coverage around position 535,000 bp carrying two calpain-like cysteine peptidase genes; neither LmjF.20.1180 nor LmjF.20.1185 has TM domains.

unlikely to be linked to a loss of pyrimidine transport phenotype. Also this region contains LmxM.04.0250, which encodes RNA pseudouridylate synthase, the enzyme that catalyses the isomerisation of uridine to pseudouridine.

Chromosome 8: surprisingly, there was higher coverage in chromosome 8 of *L. mexicana* M379-WT compared to the final drug-resistant lines for a patch around position 1,456,000 that carries LmxM.08.0720, an amastin-like gene, which is transmembrane glycoprotein found on cell surface. This coverage has no link with the resistance to 5-fluorouracil since it was amplification on the parental wild-type strains.

Chromosome 11: The normalized row sequence read depth shows that chromosome 11 has higher coverage in all Fin-Lmex-5FURes, particularly in Fin3-Lmex-5FURes, than the parental line. This is of particular interest as chromosome 11 carries many transporter genes including amino acid transporter LmxM.11.0520 with 9 TM domains and a nucleobase transporter (NT4) LmxM.11.0550 with 11 TM domains.

Chromosome 29 has a slight increase in coverage in all Lmex-5FURes cell lines compared to the parental wild type particularly around position 786,000 kbp, which includes gene LmxM.29.2200. As this gene encodes a hypothetical protein without TM domains, we cannot here suggest whether/how this coverage may be associated with the resistance phenotype. Instead, the data appears to suggest that a reduced copy number is favourable for chromosome 29, upon exposure to fluoro-pyrimidines, but that this was not possible for the locus containing LmxM.29.2200, perhaps because this is encodes an essential protein.

Chromosome 31: the parental line appears to have a trisomy for a large section of chromosome 31 but none of the drug-resistant lines do.

Chromosome 32: all drug-resistant lines have double coverage in the region ~916,000 - 1,175,000, compared to the parental line, which includes UDP-glc 4'-epimerase (LmxM.32.2300) and UDP-*N*-acetylglucosamine pyrophosphorylase (LmxM.32.2520).

these cells were finally cloned out and designated Fin-Lmex-5FURes. We obtained three clones of adapted cells (Fin1, Fin2 and Fin3-Lmex-5FURes). The whole genome of each resistant clone was sequenced and compared with parental wild-type. The genome analysis of *L. mexicana* resistant to 5-fluorouracil showed different copy number variations (CNVs) compared with *L. mexicana* M379-WT. Changes in chromosomes 3, 4, 8, 11, 29, 31 and 32 in drug resistance lines were observed in various clones; all other chromosomes are presumably normal diploid.

Chromosome 3: the Fin2-Lmex-5FURes strain had lost the start of this chromosome on one of its 2 homologous chromosomes. It could be speculated that, as the loss of the start of the polycistron on this chromosome is also likely to impact the transcription of the rest of this polycistron, this CNV could impact on the expression of all genes up to LmxM.03.0680, including eight hypothetical proteins (LmxM.03.0370, LmxM.03.0380, LmxM.03.0400, LmxM.03.0410, LmxM.03.0490, LmxM.03.0550, LmxM.03.0650 and LmxM.03.0660). These open reading frames (ORFs) started from 124,634 to 126,607 and their function was given as "unspecified product"; however, they were predicted to contain more than 4 trans-Membrane domains. Furthermore, Fin2-Lmex-5FURes and Fin3-Lmex-5FURes lost heterozygosity over the first 140 kb of chromosome 3, which is a difference from the parental line *L. mexicana* M379-WT and from Fin1-Lmex-5FURes. Only Fin2-Lmex-5FURes showed a deletion of the first 90 kb of the chromosome sequence in one of the two chromosomes.

Chromosome 4: *L. mexicana* M379-WT and all the three Fin-Lmex-5FURes strains have increased coverage for chromosome 4. However, Fin3-Lmex-5FURes has half the copy number for the start of the chromosome 4, and Fin2-Lmex-5FURes has double copy number up to ~35 kb. This area includes: LmxM.04.0020 which encodes a pteridine transporter with 12 TM domains, but the coverage was amplification not deletion, so this CNV was

Illumina sequencing: genomic DNA preparations were used to create Illumina paired-end sequencing libraries that were sequenced on Illumina HiSeq machines using standard procedures yielding paired sequence reads of 75 bases length. For each parasite strain, the data yield from the sequencing machines (passing the default purity filter) was between 12.5 million and 36.6 million read pairs (median of 17.3 million) which corresponds to a nominal genome coverage of between 58.5-fold and 171.1-fold (median of 81.6-fold).

Mapping of the paired sequencing reads to the genome reference sequences from GeneDB (*Leishmania major* Friedlin, and *L. mexicana*-M379) carried out with SMALT (http://www.sanger.ac.uk/resources/software/smalt/), version 0.5.7 using the following parameters: wordlength -k = 13, skipstep -s = 7, maximum insert size -i = 1000, minimum Smith-Waterman score -m = 65, and with the exhaustive search option (-x) enabled. Of the sequencing reads, the following percentages were thus mapped as "proper pairs" (i.e. with the two mates of a sequence read pair mapped within the expected distance and in the correct orientation) to the genome reference sequences between 42.3% and 42.8% of reads. The median insert size between read pairs was between 467 and 601 nucleotides. Only sequence reads mapped as "proper pairs" were used for subsequent analyses and the first 5 and last 15 nucleotides were clipped from all reads prior to subsequent analysis.

Genotypes for every genomic position were determined with SAMtools version 0.1.17 (Li *et al.*, 2009) by using the "samtools mpileup" command with minimum baseQ/BAQ ratio of 15 (-Q) followed by SAMtools' "bcftools view" command with options -c and -g enabled.

Results and Discussion

Genome analysis of *L. mexicana* resistant to 5-FU

When *L. mexicana* cells were adapted to survive and proliferate in very high concentrations of 5-FU (up to 5 mM);

the number of transmembrane (TM) domains in indicated genes. Also the CLC workbench software was used to create sequence alignments.

DNA Extraction

Leishmania cells were grown in a large culture flask to mid log phase. The cells were spun down for 5 minutes at 2500 rpm. The pellet was resuspended in 1 ml of phosphate buffered saline (PBS) and transferred to Eppendorf tube and spun again for 5 minutes at 1500 rpm. After removing the supernatant, a volume of 500 µl lysis buffer (100 mM NaCl, 10 mM Tris-HCl pH 8.0 and 5 mM EDTA), 25 µl of 10% SDS and 50 µl of 10 mg/ml RNase A was added to the sample and incubated overnight at 37 °C. The sample was washed twice in an equal volume of phenol:chloroform:isoamyl-alcohol (25:24:1; saturated with 10 mM Tris, pH 8.0 and 10 mM EDTA). The sample was shaken gently for 5 minutes then spun for 5 minutes at high speed. The aqueous phase was washed again twice more in an equal volume of chloroform, shaken and spun for 5 minutes. Next, the aqueous phase was transferred to a clear 15 ml polystyrene tube contains 1.5 ml absolute ethanol. The cloud of DNA was removed and transferred to 1 ml of 70% ethanol in a centrifuge tube. The DNA was spun down at top speed for 10 minutes, then the supernatant was removed and the precipitated DNA was drained off. Finally, DNA was resuspended in 30-50 µl of 1× Tris-EDTA buffer (10 mM Tris-HCl, pH 7.5 and 1 mM EDTA) and left overnight at 4 °C (without mixing).

Full genome sequences

DNAs from *Leishmania* cells were extracted as described above. The used DNA was 2-5 µg of double stranded DNA in TE buffer at a concentration greater than 20 ng/µl, in a volume of 20-100 µl, and in fragments >500 bp. In collaboration with the Sanger Institute in Hinxton, UK we sequenced the extracted DNA from promastigote forms of *L. major* (Friedlin strain), *L. mexicana* (MNY/BZ/62/M379), Lmaj-5FURes, and Lmex-5FURes.

Material and Methods

Growth and maintenance of *Leishmania spp*

Leishmania promastigotes (wild type) were subcultured in vitro from liquid nitrogen stocks. The cells were maintained in HOMEM medium (Gibco) pH 7.4 provided with 10% FBS at 25 °C. The genotyping of wild type promastigotes of *L. mexicana* (MNY/BZ/62/M379 strain) and *L. major* (Friedlin strain) was confirmed by restriction analysis of the amplified ITS1 region.

Resistance induction

Resistance induction in *Leishmania* promastigotes was performed as published by Alzahrani *et al*. (2017). Strains adapted to 5-FU were derived from *L. mexicana* M379 and *L. major* Friedlin through *in vitro* exposure to increasing levels of the drug. The first drug concentration used, starting the adaptation process, was the half EC_{50} value. Surviving cells were passaged to three flasks, one flask contained drug free, other flask contained the same sub-lethal concentration and the last flask contained twice the previous concentration. The procedure was repeated until a high level of tolerance to the drug was obtained. When the leishmania strains became viable in higher concentration of 5-FU, adapted strains were cloned out (derived from a single cell) by limiting doubling dilution. We obtained three *L. mexicana* strains adapted to 5-FU, which abbreviated Fin1, Fin2 and Fin3-Lmex-5FURes. *L. major* adapted to the same drug was called Lmaj-5FURes.

Genome libraries and sequence similarity visualization

Leishmania strains whole genome sequencing read libraries containing samples from Lmex-5FURes and Lmaj-5FURes were used in this study. The nucleotide and amino acid sequences for genes were found by searching in GeneDB or TriTrypDB websites. These websites were used for searching with the Basic Local Alignment Search Tool (BLAST) to compare genes sequences. In addition, the TMHMM server at http://www.cbs.dtu.dk/services/TMHMM/ was used to estimate

Introduction

Leishmaniasis is a group of parasitic diseases caused by members of the genus *Leishmania*. The parasites cause a range of diseases, encompassing cutaneous, mucocutaneous and visceral leishmaniasis. Nowadays, it is estimated that more than 1 billion people are at risk of leishmaniasis in the world population, and 1 million new cases of cutaneous leishmaniasis occur annually (WHO, 2022). Untreated visceral leishmaniasis causes a mortality rate of 75–95%, whereas cutaneous leishmaniasis may affect the mucosa resulting in death from secondary infection (CFSPH, 2009). Although antimonial compounds have been used for many years to treat leishmaniasis, several studies reported the resistance of *Leishmania* species to these drugs (de Moura *et al.*, 2016 and Ponte-Sucre *et al.*, 2017). In the last few years, however it was found that several pyrimidine analogues showed anti-metabolite activities against *Trypanosoma* (Ali *et al.*, 2013) and *Leishmania* (Alzahrani *et al.*, 2017).

The sequencing of whole genomes has become a possible avenue to investigate drug adaption in kinetplastid parasites (Ghosh *et al.*, 2020). Despite the fact that the chromosome copy number was found to be diverse within different species and strains of *Leishmania* (Rogers *et al.*, 2011), the whole genome of *L. major* resistant to miltefosine drug was generated and this allowed the identification of the resistance factors connected with miltefosine resistance in *Leishmania* (Adriano-Coelho *et al.*, 2012).

Previously, Ritt and others (2013) reported that several independent *L. infantum* mutants were introduced for resistance to 5-fluorouracil (5-FU), however, the genome of the rest of *Leishmania* species that were responsible for resistant to 5-FU has thus far not been examined. Therefore, this study aims to identify genes potentially associated with resistance to 5-FU in *L. mexicana* and *L. major*.

Genome analyses of *Leishmania* lines resistant to 5-fluorouracil

Juma Ahmed Mohamed ALi and Amal Abdussalam Ali Hmaid
Zoology Department, Faculty of Science, Gharyan University, Gharyan, Libya

Abstract

Leishmania parasites cause a number of medical conditions all over the world. As the pathogens have become resistant to most of the drugs currently used, new therapeutic strategies are urgently needed. The sequencing of whole genomes has become a possible avenue to investigate drug adaption in kinetoplastids. In this study, the whole genome of *Leishmania maxicana* and *Leishmania major* parasites that were resistant to 5-fluorouracil (5FU) were sequenced, and the genome analyses data of resistance cell lines were compared with their background strain *L. mexicana* (MNY/BZ/62/M379 strain) and *L. major* (Friedlin strain), respectively. The genome analysis of *L. mexicana* resistant to 5FU showed different copy number variations (CNVs) compared with *L. mexicana* M379-WT. Changes in chromosomes 3, 4, 8, 11, 29, 31 and 32 in drug resistance lines were observed; all other chromosomes are presumably normal diploid. The adapted *L. major* clone displayed CNVs on several different chromosomes 2, 12, 14, 18, 20, 31 and 33. These genes, which might be candidate genes for 5FU resistance, should be investigated.

Key words: L. maxicana, L. major, 5-fluorouracil, Copy Number Variations